المسيحية والإسلام

دين واحد وشرائع شتى

تأليف

الدكتورة لينة الحمصي

تقديم

د. الشيخ رجب ديب   د. محمد خير هيكل

د. مصطفى سعيد الخن   د. محمد شريف الصوّاف

دار العصماء

الطبعة الأولى

1432 هـ - 2012 م

دار العصماء

فرع أول: سورية - دمشق - برامكة - جانب دار الفكر
قبل دار التوليد - دخلة الحلبوني
هاتف: 2224279 - تلفاكس: 2457554
فرع ثاني: دمشق - ركن الدين - السوق التجاري
جانب مجمع الشيخ أحمد كفتارو
هاتف: 2770433 تلفاكس: 2752882
ص.ب: 36267 - موبايل: 0944/349434
E-mail:daralasma@gmail.com

الإهداء

إلى كل من ينشد الحقيقة العلمية من المسلمين والمسيحيين

أقدم دراستي هذه

د. لينه

تقديم الشيخ رجب ديب

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له صاحبة ولا ولد، ولم يكن له كفواً أحد.

الحمد لله الذي اختار الدين السليم لعباده، وضمَّنه كمال ما سبق في الديانات الأخرى فقال: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾[1] فالحمد له كل الحمد أن جعلنا نرضى لأنفسنا من الدين مارضيه لنا.

وأفضل الصلوات وأطيب التحيات المباركات على سيدنا محمد النبي الأمي، من جعل نفسه متمماً لما بناه إخوانه قبله من الأنبياء والمرسلين، ولم يشأ أن يفضل ذاته على أحد منهم، فصلى الله عليه وعلى جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين، حملة مشاعل الهدى وأئمة الصلاح والسعادة لمن بهم اقتدى، وعلى آلهم وأصحابهم ومن سار على الصراط المستقيم إلى يوم الدين.

وبعد:

إن الله تبارك وتعالى، خلق الإنسان في هذا الكون، وشرّع له الشرائع التي تضمن له الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة، ولم يتركه لاجتهاداته فقط، لأنها عرضة للخطأ لامحالة، فصوابها مقبول، وخطؤها مردود، ليحسن بهذا الإنسان

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

قيام الحياة السعيدة بوقت نسبي من الزمن، فقد اختصر الله تعالى له نهج الطريق، وسنّ له وشرّع، واختار له الأنبياء والرسل ليقتدي بهم فيفوز ويسعد، قال الله تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[1].

غير أن الإنسان بقصور فهمه عبث بتلك الشرائع، وغيّر فيها وبدّل، حتى غدت منحرفة بعيدة عن الصواب، مما حدا بالإنسان المعاصر للعلوم والآخذ بمنهجها أنه يأبى ويرفض تلك الشرائع، الأمر الذي ولّد الإلحاد، وأوجد الجرأة على شرائع السماء، وإنها لجرأة على الشرائع المزيفة، لا على الشرائع الحقيقية التي ما إن تظهر للعقول السليمة على حقيقتها التي جعلها الله عليها حتى تهفو إليها العقول وتعتنقها تلك الأذهان، وكم من ملاحدة أقلعوا عن إلحادهم، وعادوا إلى الشريعة السمحاء عندما رأوها على حقيقتها، لقد تجاوزوا الإلحاد إلى الإيمان بجرأة وحرارة.

نعم، إن ديانات السماء ذات منشأ واحد، كما قال عليه الصلاة والسلام: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[2]، وإن هذه الديانات لترتكز على قواعد ثابتة من الإيمان بالله تعالى رباً واحداً ﴿ليس كمثله شيء﴾[3] ﴿وهو على كل شيء قدير﴾[4]، ﴿يُطعِمُ ولا يُطعَم﴾[5]، ﴿لم يلد ولم يولد﴾[6]، ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾[7]، ولا يمكن لأحدٍ من خلقه أن يشابهه في صفة من صفاته الذاتية ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[8].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.
(٢) حم ٢/٤٠٦ خ ٤/٢٠٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١٢٠.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٤.
(٦) سورة الإخلاص، الآية: ٣.
(٧) سورة الجن، الآية: ٣.
(٨) سورة يونس، الآية: ١٨٠.

كذلك فإن هذه الديانات متفقة على مكارم الأخلاق وفضائلها، ولم يؤمن بالله ودينه ورسله حقيقة الإيمان من لم يتمتع بمكارم الأخلاق مع القريب والغريب، مع الصغير والكبير، مع الذكر والأنثى، ومع الحيوان كذلك، وربما مع العدو في حال الأسر.

كذلك فإن هذه الديانات متفقة على وجوب تحقيق السعادة للإنسان في الدنيا وفي الدار الآخرة، وليس بدين كامل دين قام على الاهتمام بالدنيا على حساب الآخرة أو على الاهتمام بالآخرة على حساب الدينا، وماأروع منطقية وعلمية الحديث النبوي في هذا الصدد إذ يقول نبينا محمد ﷺ: «ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولاآخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً، فإن الدنيا بلاغ الآخرة، ولاتكونوا كلاً على الناس»(١).

نعم، إن أصل الديانات السماوية واحد لاريب، ولئن أبى بعض الناس مااختاره الله تعالى، فإنهم يجب أن يقفوا الآن بعلمية واضحة وعقلانية صادقة في مطلع القرن الواحد والعشرين ليجيبوا الأجيال المتلاحقة على أسئلة ما كان لها جواب علمي منطقي من قبل، ولن يكون هذا الجواب من بعد، مما يحدو بأجيالهم للانحراف إلى الإلحاد، أو يدفعهم للبحث عن الدين الذي اختاره الله تعالى للخلق والعباد.

وأقول: لماذا يوجد في بعض الأديان أسرار، أو أنها اختلقت لعدم وجود الإجابة على أسئلة محرجة؟ أو هروباً من الإجابة؟ والدين الحق لايجوز أن يكون فيه سر أبداً.

وهناك أسئلة لاتعد ولاتحصى، كلها تتردد على الأذهان المتفتحة للأجيال التي غدا العلم رائدها، وإنها لتأبى كل ذلك لتنافيه مع العلم والواقع، وإذا ماأجبنا:

---

(١) أخرجه ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه (الفتح الكبير للسيوطي ٣ : ٥٩).

إنها من أسرار الآلهة أو أسرار الدين، فإننا سنقذف بأجيالنا إلى الإلحاد ومجانبة الدين.

إننا نحن المسلمين تواقون إلى أن تتكاتف الأيدي مع إخواننا المسيحيين، وأن نتراصّ معاً في سبيل الله تعالى، لنكون على أهبة الاستعداد لاستقبال السيد المسيح الذي سيأتي في آخر الزمان مصلحاً لما أفسدته يد الإنسان، مصححاً ماغيّرته الأذهان، داعياً إلى عبادة الواحد الأحد، وإننا بادرنا في السابق ولانزال وسنبقى نبادر في الاتجاه الصحيح ـ بإذن الله ، فمتى سيبدأ إخواننا المسيحيون بالمبادرة؟ متى سيجمعون القرآن الكريم إلى إنجيلهم؟ فهو ـ لاريب ـ أجدر من التوراة التي ادّعى أصحابها بالزور والبهتان على المسيح وأمه المطهرة البتول.

هل فكّر إخواننا المسيحيون ولو لمرة واحدة بتقديس القرآن والإسلام والمسلمين للسيد المسيح وأمه ـ عليهما السلام ـ ؟

هل حاول المسيحيون أن يطّلعوا بعين العلم والعقل إلى مسيحيتهم الحقيقية في قرآن المسلمين؟ إنها شيء رائع لايوجد حتى في المسيحية ذاتها.

لماذا يبقى المسيحيون بعيدين عن المسلمين؟ لماذا يحْذرُونهم؟ لماذا لايسعون إليهم كما يفعل المسلمون؟

كل هذه الأسئلة وسواها لها إجابات مقنعة ترشد إلى الصواب بإذن الله تعالى، وإنها لفحوى هذا الكتاب المبدع وجوهره، وإنك أيها الأخ القارئ ـ مسلماً أو مسيحياً أو غير ذلك ـ ستجد ـ بإذن الله ـ بغيتك وتفوز بمقصدك، مما يروي غليل العلم عندك ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾[1].

وإنما أردت بما أسلفت ذكره أن أجعله مقدمة لهذا السفر المبارك الذي قامت بإعداده الدكتورة لينة الحمصي، كريمة أخي في الله الدكتور محمد حسن الحمصي،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٤.

بارك الله بالأصل وبالفرع، فهي ثمرة مباركة من أصل طيب مبارك، وإنها ـ جزاها الله خيراً ـ قد قامت بجهد كثيف كما هو ملحوظ في هذا الكتاب لتجعله مدعاة خير لأولي الألباب من كل فئات الناس، وليكون دفعاً علمياً سليماً في اتجاه الحق والحقيقة، ومما لاريب فيه ـ كما سيرى القارئ ـ أنها استقصت الحقائق من عمق مصادرها، وأتت بالبينات على أكملها، كي يكون ذلك كله ذكرى وبياناً ﴿**لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾[1]، لمن كان الحق مبتغاه، والهدى طلبته، وسعادة الدارين أمله.

جزى الله الكاتبة المؤمنة الموفقة الدكتورة لينة الحمصي أفضل الجزاء على هذا النتاج العلمي الدنيني الموثق والموفق ليكون حرزاً لأولي النهى، وبياناً لذوي العلم والمعرفة، وزادها الله من فضله أكثر فأكثر لنغني المكتبة العربية الإسلامية، بل والمكتبة الإنسانية بما فيه الخير والهدى والسعادة والرشاد لبني الإنسان، فتلك هي الدعوة الإسلامية التي حوت أسلوبية وإنسانية السيد المسيح عليه السلام، وتلك هي مبادئنا التي نهلناها من معين القرآن الكريم،ووفق مابينه سماحة شيخنا المفتي العام للجمهورية العربية السورية الشيخ الدكتور أحمد كفتارو ـ حفظه الله ورعاه.

اللهم وفقنا جميعاً لما فيه الخير للبلاد والعباد، وخذ بأيدينا لرضاك عنا، وصلِّ وسلم على الحبيب النبي المصطفى وعلى آله وأصحابه وإخوانه من الأنبياء والمرسلين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تقديم الشيخ رجب ديب

المدرس الديني في إدارة الإفتاء

---

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الأستاذ الدكتور محمد خير هيكل

الحمد لله على نعمة الإسلام، وكفى بها من نعمة.

والصلاة والسلام على رسول الله، الرَّحمة المُهْدَاة، محمد بن عبد الله، وعلى جميع الأنبياء والرسل، من لدُن آدم... إلى عيسى ابن مريم، وعلى الآل والصَّحب الكِرام، ممَّن حملُوا الرِّسالة التي حملها جميع الأنبياء، ألا وهي رسالةُ التوحيد:

- لتنظيف العقول من أوهام الشِّرك، وخرافات الوثنيَّة!
- وتنقية القلوب من التوجه إلى غير الله!
- وتطهير المجتمعات من المآثم والمظالم!
- وهداية البشرية ـ بمنهج الله ـ إلى كلِّ خير وفضيلة!

وبعد:

فقد ورد أنَّه قيل لـ «عمرو بن العاص»: ماأبطأ بك عن الإسلام، وأنت في عقلك! ولا يخفى عليك حسن الإسلام؟ فقال: إنَّا كنَّا مع قوم لهم علينا تقدم (شرف ورياسة).. فلَّما بعث النبي ﷺ أنكروا عليه فأنكرْنا!! فلما ذهبوا.. وصار الأمر إلينا.. نظرْنا وتدبَّرنا.. فتبيَّن لنا الحقّ، فوقع في قلبي الإسلام...

أقول:

عندما قرأت هذا الكتاب، عرض للخاطر هذا الخبر.. فقلت في نفسي: لا أشكُّ في أن أي نصراني من نصارى اليوم ينشد الحقيقة المجرَّدة، فيما يتصل بالدين

الذي يتعيَّن على الإنسان أن يعتقده ـ إذا اطّلع على هذا الكتاب ـ وكان مثل «عمرو بن العاص» بعد مانظر بعقله هو، لابعقل غيره أو هوى رؤسائه،لا أشكُّ في أنه سيدرك ماأدركه «عمرو» من بعد ماكان عليه. . . عن الدين الحق الذي ارتضاه الله لبني البشر. . ! وأنَّ ماجاء في الإسلام عن «المسيح» عليه السلام، وعن الدين الذي بشَّر به هو الحق الذي لاريب فيه، وأنَّ ماآلت إليه «النصرانية» من جعل «الألوهية» شركة مساهمة بين الآب والابن وروح القدس، ومن عقيدة الصلب والفداء، وماإلى ذلك. . . يستحيل أن يكون هذا كله مما أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يهدي الناس إليه، أو يدلهم عليه!!

ـ هل من الهداية تزوير حقيقة الألوهية الواحدة؟!

ـ أم هل من الهداية تهوين أمر الشرود عن العفاف والفضيلة والأخلاق كما هو مقتضى عقيدة «المخلِّص» والفداء؟!. . .

ومن هنا، فإنَّ كثيراً من العقلاء، من أهل الدِّيانة المسيحية الحالية ـ نظروا بعقولهم إلى ديانتهم، وإلى الإسلام، وإلى مايجب أن يكون عليه الدين الحق ـ في موازين العقل السليم ـ من تقرير للحقائق القطعية عن الألوهية، وتنزيهها عن شوائب الشرك والوثنية، فرأوا أنَّ الحق كل الحق هو ماقرَّره الإسلام، وأنَّ كلَّ ماكانوا عليه من دين. . بينه وبين الحق بعد مابين المشرقين!!

ومن ذلك:

«أنَّ البروفسور (هاني كونج) من أشهر رجال الكنيسة الكاثوليكية وأستاذ كرسي (توحيد الديانات) بجامعة «توبنجن» بألمانيا أعلن:

ـ أنَّ القرآن وحيٌ من عند الله!

ـ وأن محمداً هو رسول الله!

كما انتقد الكنيسة في قولها بعصمة (البابا)، وأهم ما انتقده هو عقيدة التثليث التي يرجعها إلى تأثير هيلليني (يوناني) غريب عن المسيحية الحقَّة، كما أشار إلى تحريفات وإضافات بشرية في الإنجيل . .

ومن ذلك أيضاً ماجاء في الصفحة نفسها ـ في إنكار مقرَّرات المسيحية الحالية المنحرفة عما جاء به «المسيح» عليه السلام ـ جاء مايلي :

«نشرت صحيفة الديلي نيوز بتاريخ ٢٥/ ٦/ ١٩٨٤م تحت عنوان «دراسة مصدقة حول آراء الأساقفة الإنجليكيين» وقد ورد في المقال مايلي :

«لا يلزم النصارى أن يعتقدوا أنَّ المسيح عيسى هو الله، لقد تمَّ استفتاء ٣١ من ٣٩ من أساقفة انجلترا فأنكر معظمهم ألوهية عيسى (عليه السلام) . . . » .

هذا، ولا أطيل في نقل ماجاء في الكتاب من أخبار موثَّقة حول هذه المسألة . .

ولكن قبل أن أختم هذا التقديم أودُّ أن أوضح أمراً يتصل بعنوان الكتاب، لأنَّ غير المختص بالدراسات الدينية قد يلتبس عليه الأمر بشأنه . . فأقول :

ـ المراد بـ «المسيحية» في العنوان هي المسيحية التي نزل بها الوحي على عيسى عليه السلام، وليست المسيحية الحالية .

أيْ: المراد بالمسيحية في العنوان هي التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿إذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأميٍّ إلهين من دون الله؟ قال : سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق، إن كنت قلته فقد علمته، تعلم مافي نفسي، ولا أعلم مافي نفسك إنك أنت علام الغيوب، ماقلت لهم إلا ماأمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم، وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم، فلما توفيتني كنت

أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ / المائدة ٥/ ١١٦ ـ ١١٧/ .

ـ كما أنَّ المراد بما جاء في عنوان الكتاب من تعبير «دين واحد» هو: العقيدة، وليس الأحكام الشرعية التي تضبط سلوك البشر في معاملاتهم، ومعترك حياتهم.

فالدِّين بهذا المعنى هو دين واحد، وهو دين التوحيد الذي حمل رايته جميع الأنبياء من آدم أبي البشر إلى محمد بن عبد الله، صاحب آخر رسالات السماء إلى الأرض.

ـ وأن المراد بـ «الشرائع» التي وردت في العنوان هي: الأحكام التي قضى الله عزوجل بحكمته أن تتغير بحسب مايناسب أهل كل زمان ومكان! **﴿لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾** / المائدة٥/ ٤٨/ .

وأخيراً:

فقد عشت ساعات مديدة، مع هذا الكتاب القيم الذي شدَّني إليه مافيه من:

ـ حقائق موثقة!

ـ ومحاكمات رصينة!

ـ وتحليلات بارعة!

ـ وغيرة حارة على عقيدة التوحيد، لما أصابها من تشويه، ولما لحق دين المسيح من تزوير!

ـ مع شمول لكثير من جوانب الموضوع . . .

ـ إلى وفرة في مصادر البحث.

هذا،

وقد وفقت الباحثة الفاضلة الدكتورة لينة الحمصي، في صياغة هذا البحث:

ـ في لغة نقيَّة!

ـ ونسج محكم!

ـ وتعبير شفّاف!

ـ وأسلوب سلسٍ مطواع!!

•

وبعد:

فلا يسعنا مع هذا كلّه إلا أن ندعو للباحثة الفاضلة بمزيد من التوفيق، والعطاء...

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الشيخ الدكتور مصطفى سعيد الخن

الحمد لله الذي أرسل رسوله محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، القائل في محكم كتابه المبين: ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾.

والصلاة والسلام على سيدنا ورسولنا محمد الذي أرسله الله كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون**﴾ وجعل رسالته عليه الصلاة والسلام ناسخة للشرائع قبله، وأخذ على من قبله من النبيين والرسل العهد والميثاق أنهم إذا أدركوا زمنه فعليهم أن يؤمنوا به وينصروه ﴿**وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**﴾.

اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى أن يقوم الناس لرب العالمين، وبعد:

فإن المناقشة بين الإسلام والنصرانية لم تكن وليدة هذا العصر الحديث، بل إنها كانت منذ جاءت الرسالة المحمدية، ولقد تكفل القرآن الكريم آنذاك بالردّ عليها، وأقام البراهين الواقعية والعقلية على فساد ماذهبت النصرانية إليه من تأليه لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، أو جعله ابناً للإله أو جزءاً منه، مما جعل العالم كله على بصيرة وهدى من هذا الأمر الذي له التصاق بأصل العقيدة بالإيمان بالله سبحانه وتعالى.

غير أنه في هذا العصر الحديث لأمر ما أصبحت تعقد الندوات وتصنع المؤتمرات وتلقي المحاضرات وتكتب الأبحاث للمقارنة بين الإسلام والمسيحية، ولست أدري لماذا هذا الاهتمام بهذا الموضوع في هذا العصر، أهو للوصول إلى الحقيقة، أم لوجود مناسبات تظهر فيها الدعوة النصرانية للاستيلاء على عقول السذج من الناس، فيكون ذلك وسيلة حديثة من وسائل التبشير الذي بدا للعالم إخفاق هذه الوسائل، وتمزق عن وجوده أصحابه هذا القناع المزيف بعد أن أنفق في سبيلها ملايين الملايين من الدولارات؟

وعلى كلٍ فقد ألهم الله سبحانه وتعالى الأخت الكريمة السيدة الباحثة الدكتورة لينة الحمصي وفقها الله تعالى ألهمها أن تبحث في هذا الموضوع وتجلي وجه الحقيقة بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة، وتثبت أن النصرانية المسيحية لم تبق على النحو الذي نادى به ودعا إليه سيدنا عليه الصلاة والسلام من توحيد حقيقي لله تعالى: ﴿**ماقلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد**﴾ ذلك التوحيد الذي عبر عنه القرآن الكريم في قوله: ﴿**قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له**

كفواً أحد﴾، ذلك التوحيد الذي هو أيضاً رسالة الرسل قبل عيسى كإبراهيم وموسى ونوح وغيرهم عليهم جميعاً الصلاة والتسليم.

لقد سلكت المؤلفة في كتابتها مسلكاً لايمت إلى التعصب بصلة، بل هو على تحكيم العقل والمنطق، ونبذ الأنانية والتبعية، وفتح باب التأمل والتفكير ولقد لاحظت فيما كتبت الأخت الكريمة أنها عرضت أموراً هامة:

١ ـ لقد طلبت ممن يخوض في هذا الموضوع ويجعل من نفسه داعية إلى الحق، أن يستعمل الحكمة واللين في القول، تأسياً بقوله تعالى: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين﴾**، وقوله: **﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب، فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وإليه المصير﴾**.

وهذه لفتة كريمة من الأخت، إلا أنه يجب أن نقول: إن دعوتنا لهم باللين والحكمة لايجوز أن يدفعنا إلى درجة مجاراتنا إياهم بما يقولون بحجة جذبنا لهم، ولا أن يدفعنا أن نتكلم بكلام يوهمهم أنهم على الحق فيما يدعون، فهذا مما لايجب أن يكون، إذ إننا بذلك نكون منحرفين عن الحق كما انحرفوا، وضالين عن الطريق كما ضلوا.

٢ ـ لقد حرصت الأخت فيما كتبت أن تظهر وتبرز حقيقة هي أن العقيدة الصحيحة التي نادى بها المسيح عليه الصلاة والسلام ودعا إليها ليست هي العقيدة التي نادى بها كهنة المسيحيين فيما بعد، إذ إن العقيدة التي دعا إليها هي ـ كما أسلفنا ـ ماجاء به القرآن الكريم من أنه عبد الله ورسوله.

٣ ـ كما إنها أثبتت أن رسالة المسيح ليست رسالة عامة لكل بني البشر كما هي الحال في الرسالة المحمدية، بل هي رسالة خاصة مقصورة على بني إسرائيل اليهود لتخرجهم من وثنية عبادة المادة التي كانوا قد انغمسوا فيها إلى عبادة الواحد الأحد.

٤ ـ كما إنها قد أثبتت بما لايقبل الشك أن هذه الأناجيل الموجودة مقطوعة الصلة بالسيد المسيح، إذ لم تنقل عنه بطريق تواترية متصلة إذ قد مضى عليها حقب من الزمان لم تكن بادية للعيان ولا حاضرة في الأذهان حتى جاء من لملم شملها وقيدها بالتسجيل بعد أن لم تكن كذلك.

٥ ـ كما إنها قد أثبتت بما لايقبل الشك أن هذه الأناجيل فيها من التعارض والتناقض ما الله به عليم مما يحيل العقل أن ينسب ذلك إلى الله تعالى ويقال:هذا من عند الله، لأن مايكون من عند الله لايكون فيه تعارض ولاتناقض، ولقد قال الله سبحانه في شأن القرآن الكريم: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**﴾.

٦ ـ كما أثبتت أن هذه العقيدة المسيحية قد كانت عرضة للتغيير والتطوير عبر التاريخ وأحدث فيها مالم يكن منها، ولم تستمر على وتيرة واحدة وبخط واحد.

٧ ـ كما أثبتت أن السياسة كان لها دخل في تقرير وتثبيت بعض القضايا التي لم تكن موجودة في أصل المسيحية.

٨ ـ كما أثبتت أنه قد وقع عبر التاريخ اختلاف كبير بين أساقفة هذه الديانة مما دعا إلى تكفير بعضهم بعضاً.

٩ ـ ومما أكدت عليه في كتابتها أنها فرقت بين الأمور التي لايصل العقل إلى معرفة حقيقتها ويعجز عن إدراكها وهذا من الممكن أن يكون لأن العقل ليس الصفة المحيطية، وبين الأمور التي يحكم العقل باستحالتها، وإن كثيراً من دعاواهم مما يحكم العقل باستحالتها وبطلانها.

١٠ ـ ولقد أوصلها بحثها إلى أن الأناجيل الأربعة المنسوبة إلى أصحابها هنالك شك في نسبتها إليهم.

لقد بحثت الأخت الكريمة في هذه الأمور وغيرها غير مستندة في ذلك إلى الكتب الإسلامية فحسب، بل هي مستندة أيضاً إلى كتب النصارى، وإلى كلام زعمائهم وعلمائهم ورؤسائهم قديماً وحديثاً.

هذا وإن الناظر فيما كتبته يد الأخت الكريمة وأدى إليه بحثها وعقلها وفكرها ليجد أنها قد بذلت جهداً كبيراً في إعداد هذا البحث القيم مما جعلنا نكل إلى الله تعالى أن يجزيها خير الجزاء وأن يوفقها لما فيه الخير والصلاح.

هذا وإنني بعد التأمل الطويل في هذا الكتاب وجدت أنه من الحق أن أقول: إن هذا الكتاب قد سدّ فراغاً في المكتبة الإسلامية، وإنه حري به أن يكون في الكتب المتصدرة في مكتبة المسلم وغير المسلم، عسى أن يجد فيه ما يروي غليله ويجيب عن تساؤلاته، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

د. مصطفى سعيد الخن

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الدكتور محمد شريف الصواف

الحمد لله القائل في كتابه: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [سورة آل عمران ٣/٦٤].

وهو القائل: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٢٩/٤٦].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل: «**أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة... والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي**» [صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول اللّه: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ...**﴾، الحديث رقم ٣٤٤٢].

لقد خلق اللّه الخلق لعبادته، وأمرهم بتوحيده، وجعل لهم شرائع تعبدهم بها ترشدهم إلى أداء حق العبودية على أكمل وجه وأتمه.

وهكذا تعاقب الأنبياء والرسل يدعون إلى إخلاص العبودية لله تعالى، ويحملون معهم شرائع تختلف باختلاف الزمان والمكان، وتقدم وتطور الحضارات الإنسانية لتقدم للإنسان أفضل سبل العيش، ولتحقق مصالح العباد في حفظ النفس، والعرض، والمال، والعقل إضافة إلى حفظ الدين الخالص.

وكان الإسلام ختام هذه الشرائع، وأكمل هذه الرسالات ومع أن اللّه أعلن في كتابه بنص صريح واضح أن الدين عند اللّه الإسلام، وأن اللّه لا يقبل غير الإسلام ديناً لأنه أكمل إطار التوحيد اللّه وإخلاص العبودية له سبحانه إلا أنه

عذر غير المسلمين من المؤمنين بالرسالات السابقة مع ما علق بها من تحريف وتبديل، وضمن لأهل الكتاب من اليهود والنصارى حرية الاعتقاد، وحماية أنفسهم وأموالهم وذراريهم إذا دخلوا في ذمة المسلمين و لم يناصبوا هذا الدين وأهله العداء، وفتح لهم أبواباً للحوار والجدال بالتي هي أحسن، وحضّ المسلمين على التعامل معهم على أحسن وجه من الإكرام والإحسان.

وقدم القرآن لهم حججاً دامغة على صدق هذه الرسالة ودعاهم إلى التفكر في صدق هذا النبي الأمي الذي جاء مصدقاً لرسالات ودعوات الأنبياء من قبله.

وبذلك يكون القرآن والإسلام قد قدَّم للمرة الأولى أعظم دليل على حرية العقيدة، وضمان حق التدين للمخالفين.

وقد كان هذا الأسلوب في الخطاب منهجاً أصيلاً في الإسلام لم يختلف باختلاف ظروف الدعوة الإسلامية قوة وضعفاً، وسواء في ذلك عندما كان المسلمون يعيشون حالة الوهن في مجتمع المشركين أو حينما حكم المسلمون أكبر وأقوى دولة في القرون الأولى للهجرة.

وهكذا ولد علم مقارنة الأديان (الملل والنحل) على يد العلماء المسلمين من خلال ما كتبه المفسرون والمؤرخون وعلماء العقيدة في كتبهم، ومن خلال ما صنفه علماء المسلمين في هذا الموضوع بشكل مستقل.

وكان هذا الكتاب الذي بين أيدينا إحدى الثمرات الطيبة المباركة لدعوة الإسلام إلى الجدال بالتي هي أحسن، وإلى الحوار العقلاني البعيد عن التعصب للوصول إلى الحقيقة.

والله الموفق

د. محمد شريف الصواف

تمهيد:

في عام ١٩٩٠ كتبت هذا الكتاب لتدريسه لطلبة العلم في الكليات الشرعية. كان عمري آنئذٍ خمسة وعشرين عاماً، وكنت أعيش تلك المرحلة العمرية بكل ما يمكنني من حماسة للحق وتطلّعٍ لإظهاره ورغبة في وضع النقاط على الحروف.

واليوم أنا أخطّ هذا التمهيد في عام ٢٠٠٧، وهذا الفارق الزمني بين الـ١٩٩٠ والـ ٢٠٠٧ زادني بفضل اللّه تعالى حماسة للحق وتطلعاً لإظهاره ورغبة في وضع النقاط على الحروف، لكنه أضاف إلى ذلك مزيداً من النضج والخبرة والعلم والملاحظة، وأعطاني، بفضله تعالى أيضاً، مرونة أكبر وقدرة أعمق على إيصال الفكرة التي أريدها مهما كانت شائكة بسلاسة ونعومة ووضوح.

ما أريد أن أقوله هو أني لو عدت إلى تأليف هذا الكتاب اليوم لكتبت كثيراً مما فيه بأسلوب آخر، ولعدّلت في صياغة بعض أفكاره، ولأضفت إليه كثيراً، ولحذفت منه قليلاً، بيد أن ضيق الوقت من جهة، والمعوقات الإدارية من جهة أخرى، منعتني من استدراك ذلك وإضافته.

هناك فصول جاهزة أودّ أن أضيفها في الطبعات التالية، أتحدث فيها عن دور اليهود في تحريف الديانة المسيحية، وعن العبادات والأحكام التشريعية في المسيحية، وعن أمور أخرى كثيرة لا تنضب ما دام البحث العلمي قائماً، وما دام هناك طلبة علم من المفروض أن يعرفوا ما لدى (الآخر) كما هو قبل أن يكوّنوا نظرة إليه ويتعاملوا معه بموجب تلك النظرة، لأن الإنسان عدو ما يجهل، فإذا زال الجهل زالت العداوة وتحولت إلى نوع من الحوار والنقاش، وحصل التعارف الذي أمر به ربنا جل وعلا في قوله: ﴿... **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ...﴾ [الحجرات: ١٣].

أرجو أن يلاحظ من يقرأ هذا الكتاب الفارق الزمني بين تاريخ كتابته، وبين اللحظة التي يقرأ فيها، وأن يعرف أن لي بعض الملاحظات وبعض وجهات النظر المختلفة في بعض الأفكار والعناوين والمواضيع، وأن الزمن القادم ربما يحمل إليه طبعة جديدة فيها المزيد من الأمور التي أحب أن أدوّنها في هذا البحث الهام الذي انطلقت فيه من قول اللّه تعالى: ﴿**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: ١٢٥]، ومن قول النبي ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات** (إخوة لأب)، **ديننا واحد وشرائعنا شتى**».

واللّه من وراء القصد

الدكتورة

لينة الحمصي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسل الله وأنبيائه، سيدنا إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، عليهم أفضل سلام وتحية أجمعين.

أرسل الله رسله وأنبياءه إلى الناس مبشرين ومنذرين، يدعونهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، ومكارم الأخلاق. . . .

فالرسالات السماوية، وخاصة منها «الإسلام والمسيحية» هي المنهج الذي ارتضاه الله للإنسان من أجل سعادته في دنياه وآخرته، وهي جميعها إخوة لأب، دين واحد وشرائع شتى (أحكام تشريعية تتغير حسب تغير الزمان والمكان والأشخاص)، فجميع الأنبياء دعوا إلى عقيدة واحدة (دين واحد)، ومضمون هذه العقيدة هو الإيمان بالله ووحدانيته، وباليوم الآخر والحساب والجنة والنار وماإلى ذلك.

قال تعالى: ﴿**شرعَ لكم من الدينِ ماوصّى به نوحاً، والذي أوحينا إليكَ، وماوصينا به إبراهيمَ وموسى وعيسى أن أقيموا الدينَ ولاتتفرّقوا فيه**﴾ [الشورى/ ١٣].

وقال محمد عليه السلام، مبيّناً الصلة بينه وبين الأنبياء والرسل قبله، جاعلاً العلاقة بينهم علاقة تتميم وتحسين، لاتقويض وتهديم: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فحسّنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة؟ ثم يقول: وأنا كنت اللبنة، وأنا كنت خاتم النبيين»[1].

---

(١) انظر تخريج الحديث ص ٤٠ من هذا الكتاب.

وقال أيضاً: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلاّت (إخوة لأب) أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[1].

إن الرسالات السماوية، بما فيها المسيحية والإسلام، هي خير خالص، مرسل من رب السماء إلى عباده، كما يرسل الغيث إلى الأرض الجدبة، فتهتز وتثمر، وتنبت من كل زوج بهيج.

وحيث أن رسالات السماء قد أتت مكملة بعضها بعضاً، كان لابد لرسالة الإسلام الخاتمة لجميع الرسالات السماوية، من أن تستوعب أصول جميع هذه الرسالات، وتتحدث عن قدسية أنبيائها ورسلها أجمعين، وتعدّ الإيمان بهم أصلاً من أصول الإيمان بها، حيث أنهم جميعاً يأخذون من مشكاة واحدة.

قال تعالى: ﴿**قولوا آمنا بالله وماأُنزلَ إلينا، وماأُنزلَ إلى إبراهيم وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والاسباطِ، وما أوتيَ موسى وعيسى، وما أوتيَ النبيّونَ من ربهم، لا نُفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون**﴾ [البقرة: ١٣٦].

وهاهي ذي رسالة الإسلام تشيد أيضاً بالمسيح عليه السلام، نبي الرحمة والمكرمة، مقدسة له ولأمه العذراء البتول الطاهرة، بل ولعائلته جمعاء، وذلك في أماكن عديدة من القرآن الكريم، كما خصصت سورتين كاملتين، أسمتهما باسم عائلة المسيح عليه السلام، وهي سورة مريم، وسورة آل عمران.

وهاهو ذا النبي محمد ﷺ يذكر المسيح بالاحترام والتبجيل، ومن هذا قوله عليه السلام: «من شهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ماكان من العمل»[2].

---

(١) انظر تخريج الحديث ص ٤٠ من هذا الكتاب.

(٢) انظر تخريج الحديث ص ٨٠ من هذا الكتاب.

إن هدف الرسالات السماوية هو ربط الناس بعضهم ببعض برباط المودة والأخوة، مادامت وجهتهم جميعاً إلى رب واحد، وإن أي تصورٌ لأية رسالة سماوية يقوم على غير هذا المفهوم، هو تصور خاطئ، يضلل الناس عن حقيقة تلك الدعوة السمحة.

ولذلك فإن أكثر ماوقع بين أصحاب الرسالات السماوية من شقاق ونزاع وقتال، إنما مردّه إلى سوء فهم أتباع هذه الرسالات السماوية لحقيقة رسالتهم، التي هي في الحقيقة تصديق للرسالة الأخرى وإكمال لها. . .

وربما يكون هذا نتيجة لتسلط الأهواء والشهوات، التي يجد أصحابها في الدين سلطاناً متمكناً على الناس، فيدعونهم باسم الدين، إلى ماهو الدين عنه براء.

ولذلك فإن على المسلمين، انطلاقاً من مفهوم قرآنهم وسنة نبيّهم، أن يمدّوا يد الإخاء والتعاون للمسيحية والمسيحيين، يخاطبوهم طبقاً لما جاء بهم قرآنهم الكريم: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ [العنكبوت/ ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة﴾ [النحل/ ١٢٥].

وهذا ما كان من حاطب بن بلتعة، عندما أرسله النبي ﷺ إلى المقوقس ملك مصر داعياً إياه إلى الإسلام، قائلاً له: «ولنسا ننهاكَ عن دين المسيح ولكننا نأمرك به»[1].

وهذا ماتنبه له الشاعر المسيحي العربي حليم دموس:

لعمركَ ماالأديانُ إلا نوافذٌ ترى اللهَ منها مقلةُ المتعبدِ
وألمسُ في القرآن عيسى ابنَ مريم وألمحُ في الإنجيلِ روحَ محمدِ

(١) انظر ص ١٥ من هذا الكتاب.

وانطلاقاً من هذا، رأيت أن أتصدّى للمسيحية بالدراسة، حيث إنه واجب إيماني على كل مسلم، أن يدرس حياة المسيح ورسالته ودعوته، مادام أحد الرسل الذين يجب عليه أن يؤمن بهم.

إلا أننا، ومن خلال دراستنا للمسيحية الحالية، نرى أن المسيحية التي يؤمن بها مسيحيو اليوم، والتي تتناقض مع عقيدة الإسلام، هي ديانة مختلفة عما جاء به المسيح عليه السلام.

ونحن إذ خرجنا بهذه النتيجة لم نأت بدعاً من القول، بل إن هذه النتيجة هي خلاصة اعترافات علماء المسيحيين في القرن العشرين، وهم من ألمع مفكري الغرب، وأساتذة اللاهوت في جامعاتهم.

هؤلاء المفكرون الذين تناولوا ديانتهم المسيحية، وخرجوا بتلك النتيجة، هم في الأصل مسيحيون، ولدوا في أسر مسيحية، ونشؤوا في مجتمع مسيحي، وتعلموا في مدارس ومعاهد وجامعات مسيحية لاهوتية، إلا أنهم استطاعوا أن يتحرروا من التعصب الأعمى، ويبحثوا بكل جدّ وإخلاص، ولم يكن هدفهم إلا الوصول إلى الحق والحقيقة التي يقرّها العلم والمنطق.

هذه العقول التي حرّرها العلم من الانقياد إلى غير العقل، ومن الاستجابة لغير منطقه، تخرج بنتيجة تلتقي مع ماقرّره القرآن الكريم من أن رسالة المسيح لم تكن يوماً من الأيام تدعو إلى التثليث وتأليه المسيح. . . .

بل إن المسيح لم يدّعِ يوماً من الأيام أنه ابن لله بالمعنى الحقيقي للبنوّة، التي تقتضي كونه إلهاً مع الله. . . بل هم يقرّون بأن القول بألوهية المسيح لم يكن هو السائد في عهده، بل على العكس تماماً، حيث كان التلاميذ والناس يعتقدون بأنه عبد نبي.

وقد نما القول بألوهية المسيح بعد ذلك في أذهان المسيحيين على فترات متعاقبة. .

وبذلك فإنّ المسيحية دين توحيدي خالص، حرّف مع الزمن، عن مفهومه الأصلي، ومنبعه الحقيقي، وقد ساهم في تحريفه عدّة عوامل، من بينها الاضطهادات التي توالت تترى على المسيحيين من قبل الرومانيين الوثنيين أصحاب السلطة آنذاك، والتي امتدت عبر ثلاثة قرون، منذ منتصف القرن الأول إلى بداية القرن الرابع الميلادي، وماصاحب هذه الاضطهادات من استشهادرسل المسيح وتلاميذهم، أو سجنهم، واختفاء من تبقّى منهم على قيد الحياة هرباً بدينهم، ممّا أثّر في نقل الديانة الصحيحة الحقيقية إلى الأجيال التي تليهم، وساهم في نمّو أفكار جديدة لم تكن من المسيحية.

زد على ذلك ما كان لبولس الرسول من دور مهم في هذا التحريف حيث يتفق الباحثون في المسيحية وتاريخها من مسيحيين وغير مسيحيين على أن لبولس دوراً هاماً في تكوين المسيحية الحالية، حيث اعتمدت على مقولاته في تصوير العقيدة على النحو الذي تشكّلت به في المجامع المسكونية منذ القرن الرابع الميلادي.

وقد اعتمد بولس في تحريفه للمسيحية على الوثنية السائدة في المجتمع الروماني آنذاك، والوثنيات المنتشرة حوله، وهذا مايعترف به المسيحيون الذين بحثوا في الموضوع بشكل حياديّ، دون تعصب إلاّ للحق والحقيقة.

بل وحتى المتعصبون من المسيحيين، لم يستطيعوا أن ينكروا استعارة بولس من الأديان الوثنية بعض اصطلاحاتها.

وإذا ماأمعنّا النظر في الوثنية السائدة آنذاك ورأينا فيها عقيدة التثليث، ونزول الابن الإله من السماء وتجسده في شكل بشري، ثم صلبه وبعثه ونزوله إلى الجحيم، ومن ثم صعوده إلى السماء، كل ذلك من أجل فداء الإنسان، أدركنا مالهذه الوثنية من أثر بارز في تطوير العقيدة المسيحية، من التوحيد الخالص، إلى التثليث والتجسد. . .

ولايسعني أخيراً إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل لمن أمدّني بالمراجع المسيحية، وساعدني على فهم بعض دقائقها من الإخوة المسيحيين، وأخصّ بالذكر غبطة

البطريرك أغناطيوس زكا الأول عيواص، بطريرك الكنيسة السريانية اللاخلقيدونية في أنطاكية وسائر المشرق، والبطريرك أغناطيوس هزيم بطريرك الروم الأرثوذكس الخلقيدونيين، اللذين أمدّاني بكثير من المراجع التي لم أكن لأحصل عليها دون مساعدتهما، إضافة إلى تخصيصهما ساعات طويلة للمباحثة والاستفسار، وفسحا لي صدريهما الرحب لكل سؤال واستفهام عن العقيدة المسيحية، دون كلل أو ملل . . .

كما أتوجه بالشكر إلى المشرفين على دير البلمند[1] في لبنان ـ طرابلس، وخصوصاً مدرّس مادة العقيدة المسيحية الأب جورج عطية، الذي زوّدني ببعض المراجع المعتمدة، كما أمدّني بمذكّرة مادة العقيدة التي تدرّس في هذا الدير.

كما أتوجّه إلى الإخوة المسيحيين الذين يكون لي شرف اطّلاعهم على كتابي هذا، بأن يضعوا التحيّز والتعصّب جانباً، ويحكّموا العقل والمنطق، اللذين أتت شرائع السماء بتأييدهما، راجية منهم العفو والمعذرة، إن كان في عباراتي شيء من القسوة، التي قد تجرحهم بعض الشيء، ولكن عذري في هذا هو محبّتي لهم وللمسيح عليه السلام، إضافة إلى أن الحقيقة قد تكون جارحة بعض الأحيان، تماماً كالدواء الذي يتجرعّه الإنسان صبراً، ليصل إلى الشفاء العاجل بإذن الله تعالى.

وختاماً، فإني أرجو الله تعالى أن يجعل لكتابي هذا أكبر النفع، وأعمّ الفائدة، للمسلمين والمسيحيين على السواء، فإن نجحت في تحقيق هذا المقصد العظيم، فهذا من فضل ربّ العالمين أسبغه عليّ، وإن قصّرت فذلك من نفسي، التي أرجو الله تعالى أن يغفر لها، وألاّ يحرمني ثواب هذا العمل، جعل الله هذا العمل في صحيفتي عملاً خالصاً لوجهه الكريم، مقبولاً عنده يوم الدين.

---

(١) وفيه معهد مخصص لتدريس اللاهوت المسيحي.

جدول أسفار الكتاب المقدس مع رموزها المختصرة
حسب الطبعة الكاثوليكية ـ نشر دار المشرق

آ ـ أسفار العهد القديم

تك	سفر التكوين	يه	سفر يهوديت
خر	سفر الخروج	أس	سفر أستير
أح	سفر الأحبار	أي	سفر أيوب
عد	سفر العدد	مز	سفر المزامير
تث	سفر تثنية الاشتراع	أم	سفر الأمثال
يش	سفر يشوع	جا	سفر الجامعة
قض	سفر القضاة	نش	سفر نشيد الأناشيد
را	سفر راعوث	حك	سفر الحكمة
١ مل	سفر الملوك الأول	سير	سفر يشوع بن سيراخ
٢ مل	سفر الملوك الثاني	أش	نبوءة أشعيا
٣ مل	سفر الملوك الثالث	أر	نبوءة أرميا
٤ مل	سفر الملوك الرابع	مرا	مراثي أرميا
١أخ (١أي)	سفر أخبار الأيام الأول	با	نبوءة باروك
٢أخ (٢أي)	سفر أخبار الأيام الثاني	حز	نبوءة حزقيال
عز	سفر عزرا	دا	نبوءة دانيال
نح	سفر نحميا	هو	نبوءة هوشع
طو	سفر طوبيا	يؤ	نبوءة يوئيل

عا	نبوءة عاموس
عو	نبوءة عوبديا
يون	نبوءة يونان
مي	نبوءة ميخا
نحو	نبوءة نحوم
حب	نبوءة حبقوق
صف	نبوءة صفنيا
حج	نبوءة حجّاي
زك	نبوءة زكريا
ملا	نبوءة ملاخي
امك	سفر المكابيين الأول
٢ مك	سفر المكابيين الثاني

ب ـ أسفار العهد الجديد

مت	إنجيل يسوع المسيح للقديس متى
مر	إنجيل يسوع المسيح للقديس مرقس
لو	إنجيل يسوع المسيح للقديس لوقا
يو	إنجيل يسوع المسيح للقديس يوحنا
أع	أعمال الرسل
رو	رسالة بولس إلى أهل رومية
اكو (١قو)	رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتس
٢كو (٢قو)	رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنتس
غلا	رسالة بولس إلى أهل غلاطية
في	رسالة بولس إلى أهل فيلبي
كو	رسالة بولس إلى أهل كولوسي
١ تسا	رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي
٢ تسا	رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي
١ تي	رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس
٢ تي	رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس
تي	رسالة بولس إلى تيطس
ف	رسالة بولس إلى فيلَمون
عب	رسالة بولس إلى العبرانيين
يع	رسالة القديس يعقوب

١ بط	رسالة القديس بطرس الأولى
٢ بط	رسالة القديس بطرس الثانية
١ يو	رسالة القديس يوحنا الأولى
٢ يو	رسالة القديس يوحنا الثانية
٣ يو	رسالة القديس يوحنا الثالثة
يهو (يه)	رسالة القديس يهوذا
رؤ	رؤيا القديس يوحنا

الفصل الأول

علم مقارنة الأديان

ظهرت بذور علم مقارنة الأديان بظهور الإسلام، حيث قدم القرآن الكريم الدرس المنهجي الموضوعي الأول في مجال مقارنة الأديان، ومن الطبعي أن لايظهر هذا العلم قبل الإسلام، حيث وقف أتباع كل دين موقف العداوة من أتباع الديانات الأخرى.

أما الإسلام فإن موقفه بالنسبة للأديان يختلف عن هذا، وخاصة بالنسبة لدين المسيحية واليهودية، حيث وقف منهما موقفاً مختلفاً عن غيرهما من العقائد السائدة آنذاك (كالمجوسية والوثنية . . .)، وذلك أن الإسلام يعترف بالرسالتين السماويتين اليهودية والمسيحية، ويعلن أنه الحلقة الأخيرة والمكملة في سلسلة تلك الرسالات السماوية.

فجميع الأنبياء والرسل دعوا إلى عقيدة واحدة (دين واحد)، لم يختلف مضمونها، منذ بعثة آدم عليه السلام إلى بعثة خاتم النبيين محمد ﷺ، ومضمون هذه العقيدة هو الإيمان بوجود الله ووحدانيته وتنزيهه عن كل مالا يليق به، والإيمان باليوم الآخر والحساب والجنة والنار، وما إلى ذلك.

وهذا ماوضحه القرآن الكريم ﴿**إنّ الدين عند الله الإسلام**﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿**شرعَ لكم منَ الدّينِ ماوصّى به نوحاً، والذي أوحينَا إليك، وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدينَ ولا تتفرقُوا فيه**﴾ [الشورى: ١٣].

ومن هنا يتبين لنا أن الدين الحق واحد لم يتعدد، أما استخدام عبارة «الأديان السماوية» فهو تعبير خاطئ، إذ ليس هناك إلا دين سماوي واحد تعاقب جميع الأنبياء والمرسلين على الدعوة إليه.

إلا أن الذي تطور وتغير عن طريق بعثة الأنبياء والرسل هو التشريع لا العقيدة، إذ أن التشريع هو إقامة الأحكام التي يتوخى منها تنظيم حياة المجتمع

والفـرد، ومن الطبـعي أن يكون للتطور الزمني واخـتـلاف الأمم أثر في تطور التشريع[1].

وها هو ذا النبي ﷺ يبين لنا الصلة بينه وبين الأنبياء والرسل قبله، بعبارات موجزة واضحة، فيقول: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فحسّنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ ثم يقول: فأنا كنت اللبنة وأنا خاتم النبيين»[2].

وقال أيضاً: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلّات (إخوة لأب)، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[3].

وإذا ماكان الدين السماوي واحداً لم يتغير ببعثة الأنبياء والرسل، فإن إطلاقنا للفظة الأديان لدى بحثنا المقارن في تلك الأديان، هو تعبير خاطئ إلى حد ما، إن كان بحثنا المقارن يغوص في ثنايا الرسالتين السماويتين المسيحية واليهودية، لما ذكرناه سابقاً.

إلا أنه يمكنني القول بصحة إطلاق هذه التسمية الآن، لأن البحث المقارن في اليهودية والمسيحية السائدتين منذ عهد النبي ﷺ إلى الآن، لايمتّ بصلة إلى المسيحية الأصلية ولا إلى اليهودية الأصلية، حيث أنهما قد حرّفتا تحريفاً كاملاً عن المحور الديني الأساسي الذي أنزلتا به من السماء، ولذلك جاز لنا المقارنة بين العقيدة في المسيحية واليهودية، وبين العقيدة في الإسلام، وتبيين الراجح منها، الموافق لمقتضيات العقل السليم، والجزم بأنه هو الديانة السماوية المنزلة من قبل الله

---

(١) د. البوطي: كبرى اليقينيات الكونية ص ٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم ٣٣٤٢/ ج٣/ ١٣٠٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم ٣٢٥٩، ج٣/ ١٢٧٠.

تعالى، مع التأكيد على تحريف المسيحية واليهودية الحاليتين، وإرجاعهما إلى أصولهما الحقيقية السماوية.

هذا ولم يقتصر موقف الإسلام من الديانتين المسيحية واليهودية على هذه الناحية النظرية، بل هو يعترف من الناحية العملية بالوجود الفعلي للفئات المسيحية واليهودية، ويتحدث عنهم على أنهم أهل الكتاب (أهل الذمة)، منظماً حقوقهم وواجباتهم . . .

وإذا ماسلك الإسلام مسلك الاعتراف بالرسالتين السماويتين المسيحية واليهودية، الرسالة الأصلية لا المحرفة، مع مناقشته لما حرّف منهما، فإنه قد سلك مسلكاً مختلفاً مع أتباع الملل الأخرى السائدة آنذاك، (الوثنية بأنواعها . . .)، حيث أعلن رفضه القاطع لها، وهو مع هذا قد سلك مسلكاً حكيماً في دعوته أتباع هذه الملل، وسنرى في هذا البحث التالي المسلك القرآني في مخاطبته أتباع الديانات، وهو مايسمى بعلم مقارنة الأديان.

المبحث الأول : القرآن الكريم وعلم مقارنة الأديان :

وضع القرآن الكريم جذور علم مقارنة الأديان، فقد تعرّض للعقائد والنحل السائدة آنذاك، مفصّلاً آراءهم، ومن ثم مناقشاً إياها، بتبيين مواطن الزلل والخطأ فيها، بالإضافة إلى مقارنتها بالدين الصحيح الذي أرسل الله به رسله عليهم الصلاة والسلام.

فها هو ذا يناقش الوثنية في تعدادها للآلهة، مقارناً بين التوحيد والتعدد ﴿**لو كانَ فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفسدتَا**﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال أيضاً: ﴿**بديعُ السموات ِ والأرض ِ أنّى يكونُ له ولدٌ ولم تكن له صاحبةٌ، وخلق كل شيء ٍ وهو بكل شيء ٍ عليمٌ**﴾ [الأنعام: ١٠١].

﴿يا أيها الناسُ ضُربَ مثلٌ فاستمعوا له إنّ الذينَ تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وإنْ يسلبهُمُ الذبابُ شيئاً لايستنقذوه منه، ضعفَ الطالبُ والمطلوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

﴿واتخذوا من دونه آلهةً لايخلقونَ شيئاً وهم يُخلقونَ، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا يملكونَ موتاً ولا حياةً ولا نشوراً﴾ [الفرقان: ٣]، وما إلى ذلك من آيات كثيرة، وردت في القرآن الكريم، تناقش الوثنية وتردّ عليها.

كما تحدث القرآن الكريم عن أهل الكتاب «اليهود والنصارى»، فذكر أنبياءهم عليهم السلام بالتقديس والتكريم، مؤكداً على أن العقيدة التي دعوا إليها هي عقيدة التوحيد نفسها التي يدعو إليها نبي الإسلام محمد ﷺ.

وقد ورد ذكر موسى عليه السلام وتوراته، والمسيح عليه السلام وإنجيله في كثير من آيات القرآن الكريم نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ﴾** [المائدة: ٤٤].

وقوله: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ﴾** [الأنبياء: ٤٨].

وقوله: **﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾** [الصف: ٦].

وقوله: **﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾** [المائدة: ٤٦].

وفي طيات القرآن الكريم نصوص كثيرة تظهر حباً للنصارى أتباع المسيح عليه السلام، وتصفهم بصفات الإيمان والتقوى، منها قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

وفي مواضع أخرى يمتدح القرآن الكريم المسيحيين الذين ضموا إلى إيمانهم بالمسيح عليه السلام إيماناً بمحمد ﷺ، وعلى رأسهم النجاشي ملك الحبشة الذي نزل في حقه قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وقوله في موضع آخر:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ، وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣].

ولا يكتفي القرآن الكريم بذكر المسيحيين الذين ناصروا نبي الإسلام واتبعوه، بل يبين أيضاً العلاقة بين المسلمين وبين من يرفض من أهل الكتاب الانصياع إلى الإسلام، فيما إذا كان رفضهم بسبب ظنهم أنهم على الحق والصواب، لا بسبب العناد والتكبر والأحقاد والأهواء، فيقول تعالى في هذا:

﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ويقول في موضع آخر:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

كما تبين آيات أخرى جواز مؤاكلة المسلمين لأهل الكتاب وأكل ذبائحهم ونكاح نسائهم، فيقول تعالى:

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

وهذه الآية دليل هام على كيفية معاملة أهل الكتاب، إذ هل هناك أعظم من علاقة الرابط المقدس بين الزوج المسلم والزوجة الكتابية، رابط الحب والولاء والعطف والحنان؟!

وهل هناك أسمى من علاقة النسب تجمع بين الأولاد المسلمين وبين جدودهم وأخوالهم وخالاتهم غير المسلمين؟! تلك العلاقة التي تضرع إلى ربها قائلة: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني.

وإلى جانب هذه الآيات التي تدعو إلى التسامح مع أهل الكتاب وتحض على مجادلتهم الحسنى، فإننا نجد القرآن الكريم يتعرض في آيات أخرى لبعض أهل الكتاب بالذم والانتقاد، وقد يظن البعض أن هناك تناقضاً في موقف القرآن الكريم من أهل الكتاب، والحقيقة أن المتمعن في هذه الآيات يتبين له أنها تتحدث عن فئة من أهل الكتاب حرّفت التوراة والإنجيل وبدّلت عقيدة التوحيد التي جاء بها المسيح وموسى عليهما السلام.

ومن هذا قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

أو تتحدث عن بعض أهل الكتاب الذين كالوا للإسلام والمسلمين العداء والشرّ، وذلك كقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

فقد ورد في سبب نزول هذه الآية، أنها نزلت في عبد اللّه بن أبي ابن سلول، حين دافع عن بني قينقاع لما نقضوا عهدهم مع النبي ﷺ، بينما تبرّأ منهم ومن موالاتهم الصحابي عبادة بن الصامت رضي اللّه عنه.

أما أهل الكتاب الذين لم يصدر منهم أي إساءة للإسلام وأهله، فإن الأصل في التعامل معهم أن يكون بالمودة وحسن الخلق والإحسان، وخير شاهد ومؤيد لهذا آية جعلها اللّه تعالى ميزاناً للمسلمين في علاقتهم مع غير المسلمين، مبيناً لهم الأطر العامة لتلك العلاقة، يقول تعالى في هذا: **﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [الممتحنة: ٨-٩].

المبحث الثاني
السنة النبوية الشريفة
وعلم مقارنة الأديان

بما أن القرآن الكريم هو أول من وضع جذور علم مقارنة الأديان، فقد جاءت السنة الشريفة مؤكدة له، فها هو النبي ﷺ والصحابة من بعده يتتبعون المسلك القرآني في دعوتهم للمشركين وأهل الكتاب، واضعين نصب أعينهم قوله تعالى: ﴿**ادعُ إلى سبيلِ ربك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿**ولا تجادُلوا أهلَ الكتابِ إلا بالتي هي أحسنُ**﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وسنذكر هنا بعض أمثلة لكيفية دعوة النبي ﷺ للمشركين وأهل الكتاب إلى الإسلام.

١ ـ خاطب النبي ﷺ المشركين، داعياً إياهم إلى الله عزوجل، يعرض عليهم الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة، مبيناً لهم محاسنه ومزاياه، فإن أبوا بيّن لهم كفرهم ونتيجته في الدنيا والآخرة، وكتب السيرة النبوية مملوءة بالشواهد الكثيرة على هذا.

٢ ـ لما هاجر بعض الصحابة إلى الحبشة، بأمر من رسول الله ﷺ، فراراً من أذية كفار قريش، بعثت قريش من يأتيها بهم، فدخلوا على ملكها النجاشي (وهو مسيحي)، يوغرون صدره ضد المسلمين، فاستدعى النجاشي صحابة رسول الله ﷺ يسألهم عن دينهم، فتصدى لإجابته جعفر بن أبي طالب، وقد بلغ من حكمة

جعفر في إجابته، أنه لم يتعرض لعقيدة هؤلاء المسيحيين بالنقد والتجريح، بل عرض عليه جمال الإسلام، مما تعشقه القلوب والعقول، مبيناً له كيف أنهم كانوا أهل جاهلية، يعبدون الأصنام، ولا يحسنون الجوار، ويأكل القوي منهم الضعيف وكيف جاء الإسلام، وبدّل فيهم تلك الصفات الذميمة إلى صفات حميدة.

ولما سأله النجاشي أن يقرأ عليه شيئاً من القرآن، قرأ عليه من سورة مريم، تلك السورة التي تذكر السيدة مريم وابنها المسيح بالاحترام البالغ والتقديس الكامل، على الرغم من أنه كان بإمكان جعفر رضي الله عنه أن يقرأ عليه مباشرة، تلك الآيات التي تنتقد المسيحيين في تأليههم للمسيح وتؤكد عبوديته، إلا أنه عدل عن هذا مؤقتاً، لأن أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة يفرضان عليه هذا، فما كان من النجاشي وأساقفته، لما سمعوا تكريم القرآن الكريم، لمريم وابنها، إلا أن بكوا، حتى اخضلّت لحاهم، ورفض النجاشي أن يسلم صحابة رسول الله عليه السلام إلى قريش.

إلا أن صدور كفار قريش الموغرة، أبت إلا أن ترجع إلى النجاشي، لتخبره بما قد يؤلّبه ضد هؤلاء المسلمين، فأخبروه بأن المسلمين يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل النجاشي إلى صحابة رسول الله يستدعيهم، فاجتمع الصحابة يتشاورون فيما يخبرونه به، إن سألهم عن قولهم في عيسى ابن مريم، واجتمع رأيهم أخيراً، على أن يقولوا ماقاله الله تعالى وما جاء به النبي ﷺ كائناً ماكان. فقدموا عليه، فلما سألهم عن قولهم في عيسى ابن مريم، أجابه جعفر بن أبي طالب: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشي عند ذلك بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: والله ماعدا عيسى ابن مريم ماذكرت هذا العود، إلا أن بطارقته قد ثارت ثائرتها ضد هذا الكلام، فلم يستطع النجاشي عند ذاك أن يعلن إسلامه[1].

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٥٧ـ ٣٦٠.

ومهما يكن من أمر، فإن اجتماع الصحابة هذا، وتشاورهم فيما يخبرون به النجاشي . . . ، إن دلّنا على شيء فعلى اتباع صحابة رسول الله ﷺ أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله عزوجل، إذ أنهم آثروا أن يبدؤوا بذكر مايحبّب ويرغب بالإسلام، وأن يؤجلوا عرض مايثير العداوة ضد الإسلام والمسلمين، إلا أنهم اضطروا إلى إخبار النجاشي، بسبب مباغته رسل قريش لهم.

٣ـ لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، كان أول عمل قام به، عقد ميثاق بينه وبين اليهود من أهل الكتاب المستوطنين في المدينة، وادعهم فيه، وأقرّهم على دينهم وأموالهم، كما التزم فيه بحسن معاملتهم قائلاً: «لهم مالنا، وعليهم ماعلينا»[١].

٤ـ قدوم وفد من نصارى الحبشة إلى المدينة، وذلك حين أرسل النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري، بعد فتح خيبر، إلى النجاشي ملك الحبشة، برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، ويطلب إليه أن يرسل من بقي من أصحابه في الحبشة، فأجابه النجاشي، بأنه مسلم، وبعث معه الصحابة، ووفداً من نصارى الحبشة، ولما قدم نصارى الحبشة إلى مسجد النبي ﷺ، قام عليه السلام يخدمهم فقال له أصحابه: نحن نكفيك يارسول الله، فقال: «إنهم كانوا لأصحابي مكرمين، فأحب أن أكافئهم»[٢].

٥ـ قدوم وفد من نصارى نجران[٣] إلى النبي ﷺ مرتين، إحداهما بمكة، حيث تلا عليهم القرآن فأسلموا، ونزلت فيهم آيات من سورة القصص[٤]:

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣٢٠، ٣٢٢. د. البوطي: فقه السيرة ص ١٥٩.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣٠، ٣١، ٤٢، ٤/ ٢٠٤: السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٥٧

(٣) نجران هي: بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٥/ ٢٦٦.

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٤٠.

﴿الذين آتيناهُمُ الكتابَ من قبلهِ هم به يؤمنون، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنّا به، إنه الحقُ من ربنا، إنّا كنا من قبله مسلمين، أولئك يؤتونَ أجرهُم مرتينِ بما صَبروا، ويدرؤونَ بالحسنةِ السيئةَ، ومما رزقناهم ينفقونَ﴾ [القصص: ٥٢ ـ ٥٤].

أما المرة الثانية التي قدم فيها وفد من نصارى نجران مؤلف من ٦٠ راكباً إلى النبي ﷺ، فهي آخر سنة ثمان وأول تسعٍ للهجرة، وقد أنزلهم النبي ﷺ في مسجده، ولبثوا فيه أياماً، يأكلون ويشربون وينامون، وإذا أرادوا الصلاة، قاموا يصلون في مسجد النبي ﷺ صلاتهم جهة المشرق، وقد أراد صحابة رسول الله منعهم من أداء صلاتهم في المسجد النبوي، استهجاناً منهم لهذا، إذ كيف يمكن لهؤلاء الذين أشركوا بالله أن يصلوا صلاتهم وفي مسجد النبي ﷺ، إلا أن سماحة الدين الإسلامي مع الشرائع الأخرى، جعلت النبي ﷺ يقول لهم: «**دعوهم**».

وقد دعاهم عليه السلام إلى الإسلام وعرضه عليهم، وناقشهم في أمور دينهم بكل رفق ولين، إلا أن تعصبهم الأعمى جعلهم يعرضون عن الإسلام ويرفضونه، إلا ماروي من إسلام أحدهم وهو بشر بن معاوية، وكنيته أبو علقمة[1].

ولما رأى عليه السلام إصرارهم ومعاندتهم دعاهم إلى المباهلة[2]، إلا أنهم أبوا خوفاً من عواقبها، فصالحهم عليه السلام على الجزية، وأرسل معهم أبا عبيدة ابن الجراح أميناً عليهم[3].

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٤/ ١٠٥.

(٢) المباهلة: هي التضرع في الدعاء، بأن يقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى، تفسير الجلالين ص٧٢.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٤/ ١٠٠ إلى ١٠٨ علي بن برهان الحلبي: السيرة الحلبية ٣/ ٢٣٩.

٦ ـ أرسل النبي ﷺ بعد صلح الحديبية إلى ملوك العالم يدعوهم إلى الإسلام قبل قتالهم، فأرسل دحية الكلبي إلى قيصر الروم (هرقل)، كما أرسل حاطب بن بلتعة إلى المقوقس ملك مصر، كما أرسل كتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، ومنه إلى كسرى[1].

وإن مايهمنا من إرسال الرسل إلى الملوك، هو كيفية عرضهم للإسلام، إذ من الواضح أن هؤلاء الرسل، كانوا يعرضون على الملوك الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ بالإضافة إلى تلك الكتب، ويؤكد لنا هذا أن الكتب كانت مختصرة ببضعة أسطر، تنحصر في الدعوة إلى الإسلام، أما ماهو هذا الإسلام الذي يدعوهم إليه، فلم تتضمنه تلك الكتب، مما يتطلب عرضاً سريعاً للإسلام من قبل هؤلاء الرسل.

وقد ذكر ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، عرض حاطب بن بلتعة للإسلام على المقوقس ملك مصر، فقال: «إن لك ديناً لن تدعه إلا لما هو خير منه، وهو الإسلام الكافي بعدما سواه، إن هذا النبي دعا الناس إلى الله، فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري مابشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، ومادعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل من أدرك نبياً فهو من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكننا نأمرك به، ثم ناوله كتاب رسول الله ﷺ»[2].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٥٤، السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٤٩٤، السيرة الحلبية ٣/ ٢٧٢ إلى ٢٨٠، صحيح البخاري بحاشية السندي ٣/ ٩٠، باب كتاب النبي / ﷺ/ إلى كسرى وقيصر.
ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ١٥٩ ـ ١٦٣.

(٢) ابن تيمية: الجواب الصحيح ١/ ٩٧.

وقد ذكرت كتب السيرة كيف كان استقبال كل من هرقل والمقوقس لرسل رسول الله ﷺ، وكيف كان تقديرهم لكتب رسول الله ﷺ حداً بلغ بالمقوقس، أن جعل كتاب رسول الله ﷺ في حقّ من عاج، وختم عليه، ودفعه إلى خازنه، وكتب إلى رسول الله ﷺ: قد علمت أن نبياً قد بقي، وقد أكرمت رسلك. وأهدى إلى النبي عليه السلام جاريتين وبغلة تسمّى الدلدل، فقبل عليه السلام الهدية، واصطفى الجارية الواحدة لنفسه، وهي مارية القبطية، وأعطى الأخرى لحسان بن ثابت.

ومهما يكن من أمر، فإن ردود الفعل الحسنة لكتب رسول الله ﷺ إلى الملوك، تدل على حسن عرض رسل رسول الله ﷺ للإسلام، ومخاطبتهم للملوك بما يجمع لا بما يفرّق، ولا أدل على ذلك من قول حاطب للمقوقس ملك مصر: «ولسنا ننهاك عن المسيحية ولكننا نأمرك بها».

المبحث الثالث: مقارنة الأديان في تراثنا الإسلامي(1):

اهتم علماء المسلمين بتأثير مباشر من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بدراسة أديان الأمم وعقائدها، وقد أفردوا في هذا مصنفات مطوّلة تشرح تلك الأديان ومن ثمّ تقارن بينها وبين الإسلام، وكان المعتزلة أول من راد هذا العلم، ثم تبعهم في ذلك علماء أهل السنة والجماعة.

ونذكر من بين هؤلاء الذين تصدّوا للأديان الأخرى ومناقشتها، النوبختي (المتوفى ٣٠٠ هـ) وكتابه «الآراء والديانات»، ثم المسعودي (المتوفى ٣٤٦ هـ) وكتابه «المقالات في أصول الديانات»(2).

---

(١)ـ د. عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص ١٢٠ إلى ١٦٠، د. محمد عقيل المهدلي: مقدمة في علم مقارنة الأديان ص ٣٦ـ٤٥.
ـ مقدمة كتاب الرد الجميل للغزالي، للمحقق د. عبد الله الشرقاوي ص ١٧ ـ ٢٠.

(٢) هذان الكتابان مفقودان لم يصلنا منهما شيء.

كما كتب في هذا الجاحظ المعتزلي (المتوفى ٢٥٥هـ) كتابه «الرد على النصارى»، وأبو منصور الماتريدي (المتوفى ٣٣٣هـ)، في كتابه «التوحيد»، وهو كتاب في ذكر العقيدة الإسلامية، تعرض فيه لبعض العقائد الوثنية، كما أفرد فيه باباً خاصاً لذكر عقيدة النصارى والرد عليها. وأبو الحسن العامري (المتوفى ٣٨١هـ) في كتابه «الإعلام بمناقب الإسلام»، حيث قارن فيه بين الإسلام والمسيحية واليهودية. وأبو بكر الباقلاني (المتوفي ٤٠٣هـ) في كتابه «التمهيد»، وهو كتاب يشرح فيه العقيدة الإسلامية، وقد أفرد فيه أبواباً خاصةً لذكر عقيدة اليهود المجوس والنصارى والرد عليها. والقاضي عبد الجبار الهمذاني المعتزلي (المتوفى ٤١٥هـ) في كتابه «المغني في أبواب التوحيد والعدل»[1] وقد خصص فيه باباً كاملاً للكلام على النصارى والرد عليهم، ضمن تعرضه إلى الفرق غير الإسلامية (الوثنية. . .)، وفي كتابه «تثبيت دلائل النبوة»، الذي يهدف من خلاله إلى إثبات نبوة محمد ﷺ، ويتطرق من خلال هذا إلى الرد على غير المؤمنين بها من أصحاب الديانات الأخرى.

كما كتب الشهرستاني (المتوفى ٥٤٨هـ) كتابه الملل والنحل، وابن حزم الأندلسي (المتوفى ٤٥٦هـ) كتابه «الفصل في الملل والنحل»، وكتب الجويني (المتوفى ٤٧٨هـ) كتابه «شفاء الغليل في بيان ماوقع في التوراة والإنجيل من التبديل»، وكتب الغزالي (المتوفى ٥٠٥ هـ) كتابه «الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل».

ومن هؤلاء أيضاً أحمد بن إدريس القرافي (المتوفى ٦٨٤هـ) وكتابه «الأجوبة الفاخرة»، وأحمد بن تيمية (المتوفى ٦٢٨هـ) كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين

---

(١) يقع المغني في ٢٠ جزءاً لم يصلنا منها سوى ١٥ جزءاً، أما الأجزاء الأخرى فمفقودة.

المسيح»، وابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١ هـ) كتابه «هداية الحيارى من اليهود والنصارى» وغير هؤلاء.

وإذا ما وصل علم مقارنة الأديان إلى ذروته مع هؤلاء العلماء، فإن هذا العلم قد بدأ بالانهيار تدريجياً مع بدء عصور الظلام والضعف التي عاناها المسلمون، وخاصة في أيام الحروب الصليبية، وما أتى بعدها من استعمار لبلاد المسلمين.

وخلال هذا الوقت الذي غفا فيه المسلمون عن هذا العلم، بدأ الغربيون في مطلع القرن العشرين بالاهتمام بهذا العلم، وفتحوا أقساماً لهذا في جامعاتهم، وأوجدوا دراسات وأبحاثاً ودوائر معارف كاملة عن الأديان، وأغلب الظن أن هدفهم من هذا هو جعل هذا العلم وسيلة من وسائل التبشير بالمسيحية.

إلا أن المسلمين ولله الحمد، قد صحوا في قرن العشرين من غفلتهم أخيراً، وأخذوا باستعادة أمجاد آبائهم، فاهتموا بعلم مقارنة الأديان، وأصدروا مؤلفات في هذا المجال، نذكر منهم على سبيل المثال، الأستاذ محمد أبا زهرة وكتابه «محاضرات في النصرانية»، والمستشار محمد عزت الطهطاوي، وكتابه «الميزان في مقارنة الأديان»، و د. محمد عبد الله الشرقاوي، وكتابه «دراسات في الملل والنحل»، وكتابه «في مقارنة الأديان: بحوث ودراسات» وغير هؤلاء ممن لا مجال لذكرهم هنا.

المبحث الرابع : فائدة علم مقارنة الأديان[1]:

لهذا العلم فوائدٌ جمّة نلخص أهمها:

١ - يقدم علم مقارنة الأديان للمفكرين المسلمين أهم العناصر للدفاع عن الإسلام ضد التحديات التي تواجهه من قبل أعدائه.

---

(١) - د. محمد عقيل المهدلي: مقدمة في علم مقارنة الأديان ص ٥١ ، ٥٢.
- د. أحمد الشلبي: اليهودية ٣٢، ٣٣.
- د. عبد الله الشرقاوي في مقدمة تحقيقه لكتاب الرد الجميل للغزالي ص ٢٠، ٢١.

٢ً ـ يبين لنا هذا العلم القيمة العظمى للقرآن الكريم بين الكتب السماوية الأخرى، بوصفه آخر كتاب منزل، بحيث يتضمن جميع العقائد الواردة في الكتب السماوية الأخرى، ويضيف عليها تشريعاً يتناسب مع جميع الأزمنة والأمكنة إلى قيام الساعة، وهو بالإضافة إلى هذا يؤكد وجوب الإيمان بجميع الرسل والأنبياء ورسالاتهم الأصلية لا المحرّفة.

٣ً ـ يتبين للباحثين في هذا العلم تاريخ كل دين، وما حدث به من خلل أو تحريف، أثناء رحلته التاريخية، حتى آل إلى ماهو عليه من التحريف والتشويه.

٤ً ـ يعين هذا العلم في نشر الدعوة الإسلامية بين أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، ولا بد لنا من التنويه إلى وجوب استعمال هذا العلم استعمالاً صحيحاً في الدعوة إلى الله عزوجل، لكي يثمر النتائج الخيّرة المرتقبة.

فعلى الداعية أن يسلك المسلك القرآني والنبوي أثناء مناقشته لأهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام، فعليه أولاً أن يسلك المسلك الإيجابي الذي سلكه القرآن في دعوته أهل الكتاب إلى الإسلام، حيث إن النفوس مجبولة على سماع من يتودد إليها ويمتدحها، لا من يذمّها ويصمها بالشر، فإذا بدأ الداعية بالنقد والاتهام بالانحراف والضلال، فإن النتيجة ستكون سلبية حتماً، فتصمّ الآذان، وتعمى القلوب عن سماع مايقال حتى ولو كان هو المنطق بعينه.

وإذا ماكان هذا هو أسلوب الحكمة التي أمر الله عزوجل الدعاة إلى الإسلام أن يتبعوها ويسيروا بمقتضاها ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾، فإن هذا لايعني أن يمتدح الداعية من يدعوهم إلى الله عزوجل بشكل مطلق، متجنباً الانتقاد وإبراز الحق، بل إن هذه الطريق ما هي إلا خطوة مبدئية في طريق الدعوة، فإذا انفتحت قلوب هؤلاء للإسلام، ورأوا فيه بغيتهم، أمكن عندها أن يبرز دور النقد، ليس كل نقد، بل ذلك النقد البنّاء الهادف، المزين بأسلوب الحكمة، وعندها يكون لهذا النقد دور بنّاء في خدمة الدعوة إلى الله عزوجل.

وهذا مايفعله سماحة المفتي العام للجمهورية العربية السورية، الشيخ أحمد كفتارو، في حواراته مع المسيحيين، إذ يبدأ بذكر الإيجابيات في الدين المسيحي، ومثيلها في الدين الإسلامي، ومن ثمَّ يعرض لجمال الدين الإسلامي، وحثه على العلم والتقدم ومكارم الأخلاق . . . وتقديسه للمسيح وأمه ولموسى، وسائر أنبياء بني إسرائيل، وماتلك إلا خطوة حكيمة في طريق الدعوة إلى الله تعالى[1].

المبحث الخامس: مناهج الباحثين في علم مقارنة الأديان[2]:

سلك الباحثون في علم مقارنة الأديان منهجين:

١ - المنهج الوصفي: وفيه يعرض الباحث للأديان واصفاً إياها دون أي نقد أو مناقشة، بل يعرضها في دراسته، كما وردت في كتب تلك الأديان، وهو ماسار عليه د. أحمد شلبي في كتبه عن مقارنة الأديان.

٢ - المنهج الجدلي: وهي الدراسة المقارنة التي يحاول فيها الباحث الرد على الموضوعات التي أجرى عليها المقارنة فقط، وإظهار بطلانها، وهذا هو منهج أغلب المؤلفين القدامى في مجال مقارنة الأديان، أمثال الغزالي في كتابه «الرد الجميل»، وابن تيمية في كتابه «الجواب الصحيح» . . .

وإذا ماكان لهذا المنهج فائدة أكبر من فائدة المنهج الوصفي، فإن أفضل من هذا وذاك الجمع بين المنهجين، مع الأخذ بعين الاعتبار التركيز على الجوانب الإيجابية، قبل البدء بالجوانب السلبية، والاعتماد في عرض مذهب الآخرين على مصادرهم المعتمدة . . .، وهو ماسنسير عليه بإذن الله تعالى في كتابنا هذا.

---

(١) ينظر في أسلوب سماحته في الدعوة إلى الله عزوجل، كتابي «المفتون العامون في سورية» و د. محمد حسن الحمصي: الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة.

(٢) - د. محمد عقيل المهدلي: مقدمة في علم مقارنة الأديان ص ٥٥ - ٦٠.

- مقدمة كتاب الرد على النصارى لأبي البقاء الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين ص ٢٩ - ٣٧.

الفصل الثاني

المسيح عليه السلام والمسيحية

كما وردت في القرآن الكريم

والسنة النبوية الشريفة

كرّم الإسلام عيسى عليه السلام، فذكره ضمن الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى لتبليغ رسالته ﴿**شرَع لكم من الدِّين ماوصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيمَ وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه**﴾ [الشورى: ١٣].

وقد وردت قصة المسيح عليه السلام في القرآن الكريم في مواضع عدة، ابتداء من سورة آل عمران، محاطة بالتبجيل والتقديس.

فهو في نظر الإسلام عبد الله ورسوله، خصّه الله تعالى في ذلك الزمان بالنبوة والرسالة، التي تؤكد على وحدانية الله تعالى، وإفراد العبودية له وحده.

وبذلك فإن ما عليه المسيحية الآن من عقيدة التثليث، وهي الاعتقاد بأن اللّٰه مؤلف من ثلاثة (الآب والابن والروح القدس) وتأليه للمسيح، وأنه ابن لله تعالى، هي عقيدة ينكر القرآن الكريم نسبتها للمسيح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿**لن يستنكفَ المسيحُ أن يكونَ عبداً لله**﴾ [النساء: ١٧٢]، وقال أيضاً: ﴿**إنْ هو إلا عبدٌ أنعمنَا عليه وجعلنَاه مَثلاً لبني إسرائيل**﴾ [الزخرُف: ٥٩].

وها هو ذا المسيح، في القرآن الكريم، يعلّم طيلة حياته الرسالية وقبلها ﴿**إنّ الله ربي وربُّكم فاعبدوه، هذا صراطٌ مستقيمٌ**﴾ [آل عمران: ٥١].

وقد أورد القرآن الكريم وصفاً للعقيدة التي جاء المسيح عليه السلام داعياً إليها، وذلك في صورة حوار بين سيدنا المسيح عيسى ابن مريم وبين الله عزوجل: ﴿**وإذ قال الله ياعيسى ابنَ مريمَ أأنتَ قُلتَ للنَّاسِ اتخذوني وأمّيَ إلهينِ من دونِ الله، قال سبحانَكَ مايكونُ لي أن أقولَ ماليسَ لي بحقٌ، إنْ كنتُ قلتُه فقد علمتَه، تعلمُ مافي نفسي ولا أعلمُ مافي نفسكَ إنّك أنتَ علاّم الغيوبِ،**

ماقلتُ لهم إلا ماأمرتَني به، أنِ اعبدوا اللهَ ربّي وربَّكم، وكنتُ عليهم شهيداً مادمتُ فيهم، فلما توفيتَني، كنتَ أنت الرقيبَ عليهم، وأنتَ على كل شيء شهيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧].

فهذا النص يفيد صراحة أن عيسى عليه السلام ما دعا إلا إلى التوحيد المطلق، أما عقيدة التثليث فهي عقيدة دخيلة على المسيحية من بعده. وفي هذا يقول تعالى في القرآن الكريم: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**﴾ [المائدة: ٧٢] ويقول أيضاً: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إنّ اللّهَ هو المسيحُ ابنُ مريمَ**﴾ [المائدة: ١٧]. كما ينسب القرآن إلى أهل الكتاب تحريفهم لكتبهم المقدسة، فيقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿**يا أهلَ الكتابِ قد جاءَكُم رسولُنَا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتابِ ويعفُو عن كثيرٍ، قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ**﴾ [المائدة: ١٥].

المبحث الأول: عائلة المسيح عليه السلام:

خصص القرآن الكريم سورتين في القرآن، سمّاهما باسم عائلة المسيح عليه السلام، تكريماً لهم وتعظيماً، أولها سورة آل عمران، جد المسيح عليه السلام ووالد مريم أمه، والسورة الثانية هي سورة مريم أم المسيح عليه السلام.

وقد ذكر في هاتين السورتين لمحة موجزة عن عائلة المسيح الكريمة، بدءاً من جده وجدته وانتهاء به عليه السلام.

فعمران جدّ المسيح كان أحد عظماء بني إسرائيل، وكانت زوجته حنّة عاقراً لاتلد، فنذرت لله تعالى، إن حملت، لتجعلنّ ولدها محرَّراً، أي خالصاً لوجه الله تعالى، حبيساً لخدمة الهيكل المقدس (هيكل سليمان المخصص للعبادة)، مفرّغاً لعبادة الله تعالى، فاستجاب الله دعاءها وحملت بطفل، إلا أنها لما وضعت مافي بطنها، كان المولود أنثى، فاغتمّت لذلك، حيث إنها كانت تحسب أن الأنثى لاتصلح لخدمة الهيكل، لما يصيبها من الحيض وعدم جواز مخالطتها للرجال، إلا أن الله عزوجل تقبل هذه الأنثى بقبول حسن، فأودعت في الهيكل، وسميت بمريم

(أي خادم الرب)، وكفلّها زكريا، وكان نبي ذلك الزمان، حيث إن أباها عمران كان قد توفي وهي ماتزال في بطن أمها. فقام زكريا على رعايتها في الهيكل، وكان زوج خالتها ويقال هو زوج أختها، وكان كلما دخل عليها المحراب الذي تتعبد فيه في الهيكل، وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فحار لبّه لما رأى، فسألها ذات يوم، فأجابته، ﴿**هو منْ عند الله إنّ الله يرزقُ من يشاءُ بغيرِ حساب**﴾ [آل عمران: ٣٧].

عند ذاك رغب زكريا في الولد الصالح، وكان عاقراً لاينجب، وقد تقدمت سنه، فتوجه إلى الله تعالى بصدق وإخلاص، داعياً إياه أن يهبه النسل الصالح، فاستجاب الله دعاءه، ووهبه يحيى عليه السلام[1].

وقد وردت هذه القصة في أوائل سورة آل عمران: ﴿**إذ قالت امرأةُ عمرانَ، ربّ إني نذرتُ لكَ مافي بطني محرَّراً، فتقبَّلْ منِّي إنك أنتَ السميعُ العليمُ، فلمَّا وضعَتْها قالت ربِّ إني وضعتُها أنثى، واللهُ أعلمُ بما وضَعَتْ، وليسَ الذكرُ كالأنثى، وإنّي سمَّيْتُهَا مريمَ، وإنّي أعيذُها بكَ وذرِّيتَها من الشيطانِ الرجيم، فتقبّلها ربُّها بقَبولٍ حسنٍ وأنبتَها نباتاً حسناً، وكفَّلَهَا زكريَّا، كلمَّا دخلَ عليها زكريّا المحرابَ وجدَ عندها رزقاً، قال يامريمُ أنّى لك هذا، قالت هو من عند الله، إنّ الله يرزقُ من يشاءُ بغيرِ حسابٍ، هنالكَ دعا زكريّا ربه، قال ربِّ هَبْ لي من لَدُنْكَ ذريّةً طيّبةً إنكَ سميعُ الدعاءِ، فنادتهُ الملائكةُ وهو قائمٌ يصلّي في المحرابِ أنَّ الله يُبشّركَ بيحيى مصدّقاً بكلمةٍ من اللهِ وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحينَ**﴾ [آل عمران: ٣٥ـ٣٩].

---

(١) ويسميه المسيحيون بيوحنا المعمدان، لأنه كان يعمِّد الناس بالماء (يغسلهم بالماء) في نهر الأردن، للتوبة من الخطايا، والتطهير من الذنوب، وقد عمَّد المسيحَ أيضاً، وكان يضاهيه في العمر تقريباً، وقد ورد في إنجيل لوقا [١ : ١٦، ٢٦] أن الحمل بالمسيح بدأ في الشهر السادس من حمل اليصابات (والدة يوحنا).

وقد نشأت مريم هذه النشأة الصالحة في الهيكل، حيث لم يكن لها من شغل إلا عبادة الله تعالى، وتنزيه القلب من كل أدران الشر والإثم، وقد كانت هذه النشأة الطاهرة تمهيداً لأمر جليل، اصطفاها الله تعالى من أجله، من دون كل العالمين، فقال تعالى: ﴿وإذ قالت الملائكةُ يامريمُ إنّ الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نساءِ العالمين﴾ [آل عمران: ٤٢][1].

وقد كان هذا الاصطفاء هو اختيار الله تعالى لمريم لكي تكون أماً للمسيح عليه السلام، المولود من غير نطفة أب على الإطلاق، لتكون آية على قدرة الله تعالى، وتعاليه عن الالتزام بالأسباب، حيث إنه خالقها.

المبحث الثاني: الحمل بالمسيح وولادته:

حملت العذراء البتول مريم بالمسيح عليه السلام، من غير أن تتزوج، وكان حملها هذا، هو الأمر الذي اجتباها الله تعالى له، واختارها لأجله.

ولقد ذاد القرآن الكريم عن كرامة مريم، ورفع من ساحتها، وأحاطها بهالة من التقديس والاحترام، حيث خصص سورة فذَّة باسمها، ذبّ فيها عما يمكن أن يتقوّله البشر في ولادتها العذراوية تلك (من غير زواج)، وتلخص الآيات الكريمة من سورة مريم كيفية حملها بالمسيح، ﴿واذكُرْ في الكتابِ مريمَ إذ انتبذتْ من أهلِها مكاناً شرقياً، فاتخذتْ من دونِهم حجَاباً فأرسلنَا إليها روحنَا فتمثَّل لها بشراً سويّاً، قالت إنّي أعوذُ بالرحمنِ منكَ إنْ كنتَ تقيّاً، قال إنّما أنا رسولُ

(١) ـ روى مسلم عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

ـ وروى الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد رسول الله».

ربّك لأهبَ لك غلاماً زكيّاً، قالتْ أنّى يكونُ لي غلامٌ ولم يمسسني بشرٌ ولمْ أكُ بغيّاً، قال كذلك قالَ ربّك، ولنجعلَهُ آيةً للناسِ ورحمةً منّا وكانَ أمراً مقضيّاً، فحملتهُ فانتبذتْ به مكاناً قصيّاً، فأجاءها المخاضُ إلى جذعِ النّخلة، قالتْ ياليتني متُّ قبلَ هذا وكنتُ نَسياً منسيّاً﴾ [مريم: ١٦ ـ ٢٣].

وقال أيضاً: **﴿والتي أحصنتْ فرجَها فنفخنَا فيها من روُحنا، وجعلنَاها وابنَها آيةً للعالمينَ﴾** [الأنبياء: ٩١]، **﴿ومريمَ ابنةَ عمرانَ التي أحصنتْ فرجَها فنفخنَا فيهِ من روحنَا وصدَّقتْ بكلماتِ ربّها وكُتبهِ وكانتْ من القَانتينَ﴾** [التحريم: ١٢].

وقال أيضاً: **﴿إنّما المسيح عيسى ابن مريم رسولُ الله وكلمتُه ألقَاها إلى مريمَ وروحٌ منه﴾** [النساء: ١٧١].

فهذه الآيات الكريمة، تبيّن لنا كيفية الحمل بالمسيح عليه السلام، وهي تبرز لنا مريم، والدة المسيح، وقد ابتعدت عن أهلها وانتبذتهم منفردة في المحراب المتخَذ في شرقي الهيكل المقدس، لتخلو للعبادة، عندها أتاها جبريل عليه السلام بهيئة البشر، وبشّرها بأنها ستكون أماً للمسيح عليه السلام.

وسواء أكان المراد بالنفخ المذكور في الآية: **﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾**، **﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾**، هو نفخ جبريل عليه السلام في جيب درع (قميص) مريم، فكان الحمل بعيسى عليه السلام بإذن الله تعالى، أو المراد إيداع الله القوة التي تخلق الكائن الحي في رحم العذراء مريم، وذلك حسب اختلاف المفسرين في المراد من النفخ[1]، فإن هذه الولادة العذراوية للمسيح عليه السلام لاتؤهّله لأن يكون

---

(١) ـ تفسير الطبري المسمى بجامع البيان عن تأويل القرآن ٩/ ٤١٩ ـ ٤٢٢.
ـ الألوسي: روح المعاني ٦/ ٢٥.
ـ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٢.
ـ الفخر الرازي: التفسير الكبير ١١/ ١١٥.
ـ الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٢٥.

إلهاً، (ابن الله)، كما يدعي المسيحيون، فليس في إطلاق القرآن عبارتي «كلمة الله» و «روح منه» على المسيح مايدل على ألوهيته.

بل كل ما تعنيه لفظة «كلمته» المنسوبة إلى المسيح، هو كونه مخلوقاً بكلمة «كن» من غير مادة معتادة، حيث إن لكل مولود سبباً قريباً وسبباً بعيداً، فالأول هو النطاف المنوية، والثاني قول الله كن (إرادة الخلق)، والموجود في حالة خلق عيسى هو السبب البعيد لا القريب، لذلك عبّر الله عنه بقوله «كلمته»، وبذلك فإن الآية لا تعني أن المسيح هو صفة الله تعالى (الكلام)، وأن صفة الكلام هذه هي ابن الله ـ كما يعتقد المسيحيون ـ إذ إن العرب تسمي المفعول باسم المصدر، فيسمى المخلوق خلقاً، لقوله تعالى:

﴿هذا خلق الله﴾ [لقمان: ١١]، وكذلك الحال هنا، حيث سمّي المخلوق بكلمة كن كلمةً، وكذلك كلمة الروح المنسوبة إلى المسيح في عبارة ﴿وروح منه﴾ فإنها لاتعني صفة الله تعالى (الحياة)، وأن المسيح هو جزء من الله، بل الروح هنا هي نفخ الروح في الجسد وبث الحياة فيه، فالمسيح مخلوق بروح من الله، تماماً كما هو آدم مخلوق بروح من الله، حيث قال تعالى عن آدم: ﴿فإذا سوّيته ونفختُ فيه من روحي فقعُوا له ساجدين﴾ [الحجر: ٢٩]، فالله تعالى يبث الحياة في جميع الأجساد البشرية، إلا أن الفرق بين آدم والمسيح وبين جميع البشر، هو عدم وجود نطفة بشرية في خلقهم، فآدم مخلوق من تراب من غير أب ولا أم، والمسيح مخلوق من أم دون أب، ولذلك خصهما الله تعالى بقوله: ﴿وروح منه﴾، ﴿من روحي﴾، من دون كل البشر، مع أنه تعالى يبث الروح في آدم وعيسى كما يبثها في جميع البشر.

أما إضافة الروح إلى الله تعالى في قوله: ﴿روح منه﴾، ﴿من روحي﴾ فهي إضافة للتشريف والتفضيل، كما يقال: هذه نعمة من الله، والمراد كون تلك النعمة كاملة شريفة، فليس في هذه الإضافة مايجعل الروح هنا جزءاً من الله(1).

ومثيل هذا قوله تعالى: ﴿وسخرَ لكم مافي السموات ومافي الأرضِ جميعاً منه﴾ [الجاثية: ١٣]، فليس في إضافة السموات والأرض إلى الله في قوله: ﴿منه﴾ مايدل على أنها أجزاء من الله، بل إن هذه الإضافة بمعنى أن كل شيء مخلوق من الله تعالى.

أما مدة الحمل بالمسيح، هل هي تسعة أشهر كالمعتاد أم غير ذلك، فلم يبين القرآن الكريم ولا السنة الشريفة مدته، وقد اختلف المفسرون في ذلك اختلافاً بيّناً، فمنهم من قال حملت به تسعة أشهر كسائر النساء، ومنهم من قال ستة أشهر أو سبعة، ومنهم من قال حملته ساعة واحدة، وهو قول مروي عن ابن عباس، ودليله في ذلك أن الوضع قد صار عقب الحمل مباشرة، وهو الظاهر من قوله: ﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصيّاً، فأجاءها المخاض إلى جذعِ النخلة﴾ حيث إن الله تعالى قد ذكر الانتباذ عقب الحمل(2).

وقد عقب ابن كثير على هذا فقال: «والصحيح أن تعقيب كل شيء بحسبه، كقوله تعالى: ﴿ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة . . .﴾ [المؤمنون: ١٤]، ومعلوم أن بين كل حالين أربعين يوماً كما ثبت في الحديث المتفق عليه(3)».

---

(1) بكر التميمي: السيف الحميدي الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل ص ١١٤، ١١٥. الصادقي: عقائدنا ص ١٢٢. ـ القرافي: الأجوبة الفاخرة ص ١٦. ـ الألوسي: روح المعاني ٦/ ٢٤. ـ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٢. ـ الفخر الرازي: التفسير الكبير ١١/ ١١٥. ـ ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/ ٣٠٠ـ٣٠٥.

(2) الألوسي: روح المعاني ١٦/ ٧٨ـ ٨٠. ـ القرطبي: أحكام القرآن ١١/ ٩٢. ـ الطبري: جامع البيان ١٦/ ٦٣. ـ أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص ٦١.

(3) ابن كثير: قصص الأنبياء ص ٦٧٢، ٦٧٣.

وقد رجح العلماء القول الأول، إذ هي المدة الاعتيادية للحمل، كما ذكر بعض السلف الصالح أن زكريا وزوجته قد علما بهذا الحمل، فسألاها فأخبرتهم بأنه من عند الله، فصدقاها.

ولما ولدت مريم العذراء المسيح عليه السلام، وخرجت به على الملأ تحمله، كان ذلك مفاجأة صاعقة لهم، حيث إنها قد اشتهرت في ذلك الزمان بطهرها ونقائها، وأنها عذراء ليست بذات زوج، فما كان منهم إلا أن اتهموها في عرضها، فأظهر الله دليل براءتها مما لم يدع معه مجالاً للشك في طهرها ونسكها، حيث أنطق الغلام الرضيع ﴿**فأشارتْ إليه، قالوا كيف نكلّمُ من كَانَ في المهدِ صبياً، قال إني عبدُ الله، آتانيَ الكتابَ وجعلني نَبياً وجعلني مباركاً أينما كنتُ... وبرّاً بوالدتي ولَم يجعلنِي جبَّاراً شقياً، والسلامُ عليَّ يومَ وُلدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أبعثُ حيَّاً**﴾ [مريم ٢٩ ـ ٣٣].

وقد سمي الغلام بعيسى، ولقّب بالمسيح، واختلف في معنى هذا اللقب، وروي عن ابن عباس أنه كان لايمسح ذا عاهة إلا برئ، فكأنه سمي مسيحاً لذلك، وقيل لأنه ممسوح بدهن البركة، وكانت الأنبياء تُمسَح به، وهو طيب الرائحة، فإذا مُسح به علم أن نبي[1].

أما اسم عيسى فهو معرّب لاسم أيشوع العبري، ومعناه السيد[2].

ولذلك فإن المسيح عليه السلام يسمى لدى المسيحيين بـ «يسوع» و «المسيح»، ويسوع حسب تعريفهم هو اسم عبراني معناه المخلص، أما المسيح فهي تطلق في

---

(١) ـ السيوطي: الدر المنثور في التفسير المأثور ٢/ ١٩٨.
ـ القرطبي: أحكام القرآن ٤/ ٨٨ ـ ٨٩.
ـ الألوسي: روح المعاني ٣/ ١٦١.
(٢) المرجع نفسه.

العهد القديم على كل من الملك والكاهن والنبي، حيث إنهم كانوا يمسحون بالزيت دلالة على تكريسهم لخدمة الله وخدمة شعب الله[1].

أما نشأة المسيح عليه السلام وما كان منه من إرهاصات النبوة، فإن الآثار الصحاح لم تذكر شيئاً عن هذا، والذي يغلب على الظن في هذا أنه قد ظهر منه وهو غلام مايدل على روحانيته، وأنه قد تربى كما يتربى أمثاله الذين ينشؤون على التقى والمعرفة في بني إسرائيل[2].

المبحث الثالث: بعث عيسى عليه السلام ومعجزاته:

بعث عيسى عليه السلام برسالة من عند الله تعالى، وقد نزل عليه كتاب اسمه الإنجيل، وهو مصدق للتوراة ومحيٍ لشريعتها، يحلّ لهم بعض الذي حرِّم عليهم[3]، مبشراً إياهم بقرب بعثة محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين.

قال تعالى في كتابه الكريم على لسان المسيح عليه السلام: ﴿**ومصدّقاً لما بين يديّ من التوراةِ، ولأحلَّ لكم بعضَ الذي حرِّم عليكم**﴾ [آل عمران: ٥٠]، ﴿**وإذ قال عيسى ابنُ مريمَ يابني إسرائيلَ إني رسولُ الله إليكم، مصدّقاً لما**

(١)ـ أفلاطون: الخلاصة الشهية ص ٨٥.
ـ أغناطيوس يعقوب الثالث: صدى المنابر ص ٨٢.
ـ سليم سترس: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ج١ ص ١٣٨.

(٢) أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص ١٧.

(٣) اختلف المفسرون في المراد من قوله تعالى: ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرِّم عليكم﴾ فذهب البعض إلى أن عيسى عليه السلام أحل أشياء حرّمها عليهم الأحبار ولم تكن محرّمة عليهم في التوراة، وقال آخرون، أحل لهم أشياء مما حرّمها عليهم موسى نحو أكل شحوم البقر والغنم، ولحوم كل ذي ظفر (ليس منفرج الأصابع كالإبل) وهذا هو الأرجح، وهذا من سيدنا عيسى هو نسخ لبعض أحكام التوراة بأحكام هي أوفق بالحكمة وأولى بالمصلحة وأنسب بالزمان، وهو لايتناقض مع ماذكرناه من أن سيدنا عيسى جاء مؤكداً لشريعة موسى لا مبطلاً لها.
ـ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٩٦.
ـ الألوسي: روح المعاني ٣/ ١٧١، ١٧٢، و ٨/ ٤٧ـ٤٨.

بين يديَّ من التوراةِ ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمهُ أحمد﴾ [الصف: ٦]، وبذلك فإن المسيح عليه السلام لم يُرسل بتشريع جديد يختلف عما هو عليه تشريع موسى عليه السلام، بل أتى مؤكداً لهذه الشريعة، حيث أرسله الله تعالى رسولاً إلى بني إسرائيل الذين حرّفوا شريعة موسى عليه السلام، فأصبح همهم جمع المال، فبعدوا عن الروحانيات، وأنكر فريق منهم القيامة والحشر، ومن ثم أنكروا الحساب والعقاب، فأرسل الله تعالى إليهم المسيح ليحيي شريعة موسى في قلوبهم، وينفي عنها التحريف الذي أعملوه فيها، وجلّ ما اهتم به المسيح هو تثبيت الإيمان في قلوبهم، عن طريق وعظهم، فأخذ يبشرهم بالروح، وهجر الشهوات الضالة التي استولت على نفوسهم، كما بشّرهم بعالم الآخرة والثواب والعقاب.

أما السن التي بعث فيها عليه السلام، فلم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة الصحيحة بيان لها، إلا أنه ورد في بعض الآثار أنها سن الثلاثين، وهي السن التي تذكرها الأناجيل المعتمدة لدى المسيحيين.

وقد أيّد الله رسوله الكريم بمعجزات تبين صدقه فيما يدعو إليه، وهي خمس معجزات ورد ذكر أربع منها في الآيات التالية من سورة آل عمران: **﴿ورَسولاً إلى بني إسرائيلَ أنّي قد جئتكُم بآيةٍ من ربكمْ، أنّي أخلقُ لكم من الطينِ كهيئةِ الطيرِ فأنفخُ فيهِ فيكونُ طيراً بإذنِ الله، وأبرئُ الأكمهَ والأبرصَ وأحيي الموتى بإذنِ الله، وأنبئكُم بما تأكلون وماتدّخرونَ في بيوتِكمْ﴾** [آل عمران: ٤٩]. وبذلك فإن هذه المعجزات الأربع هي:

١ - تصويره من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.

٢ - إحياؤه الموتى بإذن الله تعالى.

٣ - إبراؤه الأكمه (الذي يولد أعمى) والأبرص، وهما مرضان تعذر على الأطباء إيجاد دواء لهما.

٤ ـ إنباؤه عليه السلام بأمور غائبة عن حسّه لم يعاينها، حيث كان ينبئ أصحابه بما يأكلون ومايدّخرون في بيوتهم.

والفاعل الحقيقي في كل هذه المعجزات هو الله تعالى، إلا أنه أجراها على يد المسيح عليه السلام تثبيتاً لنبوته، ودليلاً على رسالته.

أما المعجزة الخامسة فقد ذكرت مع المعجزات الثلاث الأولى في سورة المائدة، وهي إنزال المائدة من السماء بطلب من الحواريين (تلاميذ عيسى المقربين)، لتطمئن قلوبهم، ويعلموا أن عيسى قد صدقهم [المائدة: ١١٢ ـ ١١٣].

ويمكننا أيضاً أن نعدّ من ضمن معجزاته عليه السلام ولادته العذراوية من غير أب، والكلام في المهد(١).

الحكمة من كون معجزات المسيح عليه السلام من ذلك النوع:

يجيب عن هذا ابن كثير، وهو ماعليه أغلب العلماء، فيقول: «كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل زمانه، فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزاته بما يناسب أهل زمانه، وكانوا سحرة أذكياء، فبعث بآيات بهرت الأبصار، وخضعت لها الرقاب، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وماينتهي إليه، وعاينوا ماعاينوا من الأمر الباهر الهائل الذي لايمكن صدوره إلا عمن أيّده الله

---

(١) تختلف معجزات المسيح المذكورة في الأناجيل عما نسبه القرآن للمسيح بعض الشيء، فمعجزة الكلام في المهد، ومعجزة المائدة، ومعجزة خلق الطير من الطين، ومعجزة إنباء التلاميذ بما يأكلونه وما يدخرونه، هذه كلها غير موجودة في الأناجيل المعتمدة لدى المسيحيين.

أما المعجزات الموجودة في الأناجيل فتتلخص في إحيائه الموتى، وشفائه المرضى، ومشيه على الماء، وتكثير الطعام القليل بحيث يكفي الألوف من الناس.

[إنجيل متى ١ صحاح ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢]، وهم يرون أن المسيح قد فعل هذه المعجزات بقدرته، فيعتبرونه إلهاً لذلك، أما غيره من الأنبياء والرسل فهم يفعلون المعجزات بقدرة الله لابقدرتهم، ولنا في هذا وقفة تأمل انظر ص ١٠٥ من هذا الكتاب.

وأجرى الخارق على يديه تصديقاً له، أسلموا سراعاً، ولم يتلعثموا، وهكذا عيسى ابن مريم، بعث في زمن الطبائعية الحكماء، فأرسل بمعجزات لايستطيعونها ولا يهتدون إليها، وأنّى لحكيم إبراء الأكمه الذي هو أسوأ حالاً من الأعمى، والأبرص والمجذوم، ومن به مرض مزمن، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره؟ هذا مما يعلم كل أحد معجزة دالة على صدق من قامت به، وعلى قدرة من أرسله»[1].

إلا أن الإمام أبا زهرة قد استنبط سبباً وجيهاً غير هذا[2]، وهو ما أرجحه، مستدلاً على هذا بما ذكره الفيلسوف المؤرخ الفرنسي رينان، من أن اليهود آنذاك لم يكونوا على علم بالطب الطبيعي، ولهذا فإن التعليل الأنسب لكون معجزات عيسى عليه السلام جاءت على هذا النحو، هو مناسبة ذلك النوع من المعجزات لأهل زمانه، لا لأنهم أطباء، بل لأن أهل ذلك الزمان قد سادهم إنكار الروح في أقوال بعضهم، حين أنكروا البعث والقيامة (وهم فرقة الصدوقيين)، بل حتى الفرق الأخرى اليهودية التي تؤمن بالبعث (كالفريسيّين)، فإنهم قد أنكروا الروح حين اهتموا بالمادة والجسد ولم يعملوا للآخرة، فجاء عليه السلام بمعجزة هي في ذاتها أمر خارق للعادة، مصدق لما يأتي به الرسول، وهي في الوقت نفسه إعلان صادق على وجود الروح، إذ هو حين يحيي بعض الأموات بإذن الله تعالى، ويخلق طيناً على شكل طير لاروح له، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً تدبّ فيه الروح والحياة، يؤكد على وجود الروح، وأنها شيء غير الجسد، وبهذا فإن معجزة المسيح عليه السلام هي من جنس دعوته، التي هي دعوة إلى تربية الروح والابتعاد عن المادية والإيمان بالبعث والنشور.

---

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء ص ٧٠٥، ٧٠٦.

(٢) أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ١٧ ـ ٢٢.

وإذا ماكان ميلاد المسيح العذراوي من غير أب، هو بحد ذاته معجزة، فإنه لابد أن يكون لهذا الميلاد بهذا الشكل من حكمة مماثلة، وقد أشار الله تعالى إلى هذه الحكمة بقوله: ﴿ولنجعلَه آيةً للناسِ ورحمةً منّا وكان أمراً مقضيّاً﴾ [مريم: ٢١].

وهذه الحكمة تتجلى في أمرين، أولهما: إعلان قدرة الله تعالى بهذه الولادة، فهو تعالى لايتقيد في تكوينه للأشياء بقانون الأسباب والمسبَّبات، التي نرى العالم يسير عليها في نظامه، إذ أن الله تعالى هو الخالق لهذا القانون، فهو قد ربط جميع وسائل الكون، بما فيها إنجاب الأولاد، بأسباب مادية ملموسة من قبل البشر، ليصلوا عن طريق هذه الأسباب ومسبَّباتها إلى وجود الخالق المدبر، فيؤمنوا به، وتخبت له قلوبهم[1].

إلا أن البشر من كثرة ماألفوا هذه الأسباب وارتباط مسبباتها بها ظنوا أن هذه الأسباب هي الباعث الأساسي لمسبَّباتها، وأنه لولاها لما كانت المسببات، فأراد الله أن ينبههم إلى أنه الخالق لهذه العلة ومعلولها ورابطة مابينهما من السببية والعلية، إذ مادام هو الخالق، فهو ولاشك قادر على أن يخرق قانون السببية، فيوجد المسبَّب من غير السبب إذا شاء.

وهذا ماكان فعلاً، فها هو ذا يوجد عيسى من غير أب، وآدم من غير أب ولا أم.

أما الأمر الثاني فهو يتفق مع ماذكرناه سابقاً عن الحكمة من معجزات المسيح عليه السلام، إذ أن ولادة المسيح من غير أب هي إعلان لعالم الروح بين قوم أنكروها، حيث أقامت الدليل على وجود الروح، وذلك حين ولد المسيح من غير وجود نطفة الأب، بل كان إيجاده بروح من خلق الله تعالى.

---

(١) د. البوطي: كبرى اليقينيات الكونية ص ١٤٢ ـ ١٤٩.

المبحث الرابع: اليهود ودعوة المسيح[1]:

بعث عيسى عليه السلام، كما ذكرنا سابقاً، رسولاً إلى بني إسرائيل، مصدقاً لشريعة موسى عليه السلام، وقد كان بنو إسرائيل في ذلك الزمان قوماً طغت عليهم المادة، فأهملوا الروح وكل مايتصل بها، وعملوا على جمع المادة، وتكالبوا على الدنيا، حتى لقد كان نسّاكهم وسدنة الهيكل منهم، يجمعون المال من نذور الهياكل والقرابين التي يتقرب بها الناس، ويحرصون على ذلك أشد الحرص.

وبالإضافة إلى ذلك الحرص الشديد على الدنيا وزخرفها، كانت ادعاءات اليهود تتوالى، زاعمين بأنهم شعب الله المختار، فالمكانة السامية والمنزلة الدينية لهم وحدهم، لايجاريهم فيها أحد، أما غيرهم من البشر فهم دونهم في المنزلة، حتى ولو اعتنقوا الديانة اليهودية.

ولذلك فإنه ما إن أتى المسيح عليه السلام برسالته السماوية، التي يدعو فيها إلى إحياء الروح، وهجر الشهوات المادية، وأن الناس كلهم سواء أمام ملكوت الله، وأنه لايمكن أن يختص الله البعض بالرعاية دون غيرهم، بل هو الآب المحب لكل الأحياء، حتى كان اليهود أول المحاربين له، ولم يؤمن به إلا القليل منهم، وهم الفقراء والمستضعفون، خاصة وأن اليهود كانوا ينتظرون مسيحاً سياسياً، يبسط سلطان بني إسرائيل على العالم أجمع، إلا أن دعوة المسيح لم تكن لتتعرض للسياسة على الإطلاق، بل كانت إصلاحاً خُلقياً ودينياً.

ولما رأى زعماء اليهود الضعفاء والفقراء يلتفون حول المسيح، خافوا من انتشار دعوته فوشوا به إلى الحاكم الروماني في فلسطين، إلا أن الرومان لم يبالوا

---

(١) ـ أبو زهرة محاضرات في النصرانية ص ٣٢، ٣٣.

ـ د. محمد أحمد الحاج: النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ٨٣، ٨٧.

بهذه الشكوى، إذ لم تكن تهمّهم الخلافات الدينية بين اليهود، فما كان من اليهود عند ذاك إلا أن كذبوا على المسيح، قائلين لبيلاطس الحاكم الروماني في فلسطين، إنا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن نعطي الجزية لقيصر، قائلاً إنه هو المسيح ملك اليهود، عند ذاك أصدر الحاكم أمره بالقبض على المسيح، وحكم عليه بالإعدام صلباً [لوقا ٢٣ : ٢ ، ٣].

المبحث الخامس : نهاية المسيح على الأرض :

يعتقد المسلمون أن الله قد حفظ المسيح من أن تناله أيدي اليهود بالغدر، فنجاه من الصلب الذي دبّروه له، وألقى شبه عيسى على غيره، فصلبوا ذلك الشبيه ظناً منهم أنه المسيح[1].

ولم يحدّد القرآن الكريم ولا السنة النبوية الصحيحة شخصية الواشي بالمسيح، كما تفعل المراجع المسيحية التي تتهم يهوذا، أحد حواريي المسيح الاثني عشر، كما أنها لم تحدّد شخصية الذي ألقي عليه شبه عيسى عليه السلام، بل إن القرآن الكريم لم يتعرض لحادثة الصلب إلا مرة واحدة في سياق الزراية على اليهود وفضح طواياهم، وما اشتملت عليه نفوسهم من سوء.

قال تعالى: ﴿**فبمَا نقضِهم ميثاقَهمْ وكفرِهمْ بآياتِ الله، وقتلهمُ الأنبياءَ بغيرِ حقٍّ، وقولِهم قلوبُنا غلفٌ، بل طَبَعَ اللهُ عليها بكفرِهمَ، فلا يؤمنونَ إلا قليلاً، وبكفرِهم وقولِهم على مريمَ بهتاناً عظيماً، وقولِهم إنَّا قتلنَا المسيحَ عيسى ابنَ مريمَ رسولَ الله، وماقتلوهُ وما صلبوهُ، ولكن شُبِّه لهم، وإنَّ الذينَ اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه، مالهم به من علم إلا اتباعَ الظنِّ، وماقتلوهُ يقيناً بل رفعهُ اللهُ إليه . . .**﴾ [النساء: ١٥٥ ـ ١٥٨].

---

(١) بينما يعتقد المسيحيون أن المسيح قد صلب، وقصة صلب المسيح موجودة في أناجيلهم المعتمدة. [متى، مرقس، لوقا، يوحنا].

وإذا مااتفق علماء المسلمين على عدم صلب المسيح، حيث أنه قد ورد بالنص القرآني الذي لايحتمل أي تأويل (بل هو قطعي الدلالة والثبوت)، إلا أنهم قد اختلفوا فيما جرى للمسيح بعد أن أنجاه الله من الصلب، هل مات أم رفع إلى السماء بجسده وروحه دون أن يموت.

وانقسموا في هذا إلى ثلاثة آراء:

الفريق الأول: وهم جمهور المسلمين، ويقولون بأن عيسى عليه السلام قد رفع جسماً وروحاً إلى السماء دون أن يموت، واستدلوا على هذا بعدة أدلة، منها قوله تعالى: ﴿**وماقتلوه يقيناً بل رفعهُ الله إليه**﴾ [النساء ١٥٧ ـ ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿**إذ قال الله ياعيسى إني متوفيكَ ورافعُكَ إليّ ومطهِّرك من الذينَ كفروا**﴾ [آل عمران: ٥٥].

وما ورد في صحيحي البخاري ومسلم من أحاديث عدة، تدل على أن عيسى عليه السلام سينزل آخر الزمان، حكماً عادلاً، يحكم بشريعة الإسلام فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، وسنذكر حديثاً واحداً من هذه الأحاديث العديدة.

روى الشيخان وغيرهما بطرق مختلفة كثيرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لايقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا ومافيها، ثم يقول أبو هريرة، واقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿**وإنْ من أهلِ الكتاب إلا لَيؤمنَنَّ به قبل موته، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً**﴾ [النساء ١٥٩]»[1].

وقد فسّر هؤلاء العلماء التوفّي الوارد في الآية السابقة الذكر ﴿**متوفيك ورافعك إلي**﴾ بمعنى يختلف عن معنى الموت، إذ أن التوفّي كما يرد بمعنى الموت،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، حديث رقم ٣٢٦٤، ٣/ ١٢٧٢.

يرد كذلك بمعنى آخر، منها أن متوفيك بمعنى قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت، من توفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته وقبضته قبضاً تاماً، والمقصود أن لا يصل إليه أعداؤه بقتل ولا غيره.

بل لقد نص الزمخشري في كتابه أساس البلاغة، على أن التعبير بالوفاة عن الموت هو من المجاز(1).

كما استدل هذا الفريق بآيتين تدلان على نزول عيسى في آخر الزمان، أولاهما: ﴿وإنْ من أهلِ الكتابِ إلا لَيؤمنَنَّ به قبلَ موته﴾ [النساء: ١٥٩] وثانيهما ﴿ولمّا ضُرِبَ ابنُ مريمَ مَثلاً إذا قومُك منه يَصدُّونَ، وقالوا أآلهتنا خيرٌ أمْ هو، ماضَربوهُ لكَ إلا جدَلاً، بلْ هُم قومٌ خَصِمونَ، إنْ هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه، وجعلناهُ مثلاً لبني إسرائيلَ، ولو نشاءُ لجعَلْنا منكم ملائكة في الأرضِ يخلفُونَ، وإنهُ لَعِلمٌ للساعةِ فلا تمترُنَّ بها، واتبعونِ هذا صراطٌ مستقيمٌ﴾ [الزخرف: ٥٧ ـ ٦١]، ومعنى الآية الأولى، أن لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بعيسى عليه السلام بعد نزوله، وقبل أن يموت، فالضمير في ﴿قبل موته﴾ يعود على عيسى ابن مريم، كما هو واضح من سياق الآيات. أما الآية الثانية فمحل الشاهد فيها قوله ﴿وإنهُ لَعِلم للساعةِ فلا تمترُنَّ بها﴾، فالضمير في قوله و ﴿إنه﴾ عائد على عيسى ابن مريم، الذي تتحدث عنه الآيات، والمعنى أن عيسى دليل على قيام الساعة، وذلك يكون بنزوله من السماء وموته بعد ذلك، وهاتان الآيتان تدلان على أن عيسى لم يمت بعد(2).

---

(١) د. البوطي: كبرى اليقينات الكونية ص ٣٢٩ نقلاً عن الزمخشري.

(٢)ـ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٠٠، ٦/ ١٠، ١١، ١٦/ ١٠٥، ١٠٦.

ـ الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن ٦/ ٤٥٥ ـ ٤٦٢.

ـ الألوسي: روح المعاني ٣/ ١٧٩.

ـ الفخر الرازي: التفسير الكبير ٨/ ٦٧ ـ ٦٨.

ـ الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير ١ / ٢٨٦.

ـ الخازن: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٢٤٠.

الفريق الثاني: وهم يرون أن عيسى عليه السلام مات متية عادية، بعد أن أنجاه الله تعالى من الصلب، ويستدلون على هذا بقوله: ﴿**إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك**﴾ [آل عمران: ٥٥] فالتوفي عندهم بمعنى الموت.

وقد ذهب إلى هذا القول بعض السلف الصالح، أمثال ابن عباس في قول ضعيف عنه، ووهب بن منبه، ومحمد بن اسحاق، إلا أنهم يرون أن الله تعالى قد أحيا عيسى ابن مريم بعد أن أماته، ثم رفعه بعدها إلى السماء جسداً وروحاً[١]، وبهذا فإن الخلاف لفظي لا حقيقي بين هذه الفئة وجمهور المسلمين.

الفريق الثالث: وهم بعض العلماء المعاصرين[٢]، وقد نَحوا في هذا منحىً مختلفاً تماماً عما نحاه جمهور المسلمين، حين أكدوا وفاة المسيح وموته الإماتة العادية، نافين عنه أن يكون رفع إلى السماء جسداً وروحاً. وقد أولوا الرفع الوارد في الآيات بأنه رفع الروح لا رفع الجسد، مبررين ورود النص برفع روحه مع أن روحه كانت سترفع بطبيعة الحال، حيث أنه نبي من الأنبياء الذين ترفع أرواحهم إلى الجنة بعد موتهم دون سائر البشر ، بأن هذا النص على رفع عيسى هو تكريم لمكانته بعد التحدي الذي واجهه من اليهود، أو على أن الرفع هو رفع المكانة، كما قال تعالى عن النبي محمد ﷺ ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾ [الانشراح: ٤].

أما الأحاديث الواردة في نزول عيسى آخر الزمان، فهي عندهم أحاديث آحادية لا توجب الاعتقاد، فضلاً عن أن الحديثين ليس فيهما كلمة واحدة عن رفع عيسى بجسمه إلى السماء.

---

(١) ـ الطبري: جامع البيان ٦/ ٤٥٧.
ـ الألوسي: روح المعاني ٣/ ١٧٩.
ـ السيوطي: الدر المنثور في التفسير المأثور ٢/ ٧٢٧ ـ ٧٣٢.
ـ الفخر الرازي: التفسير الكبير ٨/ ٦٧.

(٢) من هؤلاء المعاصرين الشيخ محمود شلتوت (شيخ الأزهر السابق). انظر كتابه الفتاوى ص ٦٣، ٦٤، والشيخ محمد عبده وتلميذه. انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٣/ ٣١٧، ومنهم د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (المسيحية) ص ٦٠ وما بعدها.

أما الآيتان اللتان استدل بهما الفريق الأول ﴿وإنْ من أهلِ الكتابِ إلا لَيؤمننّ به قبلَ موته﴾، ﴿وإنّهُ لَعِلمٌ للسّاعة﴾، فقد فسروهما تفسيراً مختلفاً، وحجتهم في هذا أن المفسرين للقرآن الكريم لم يجزموا بما يراد منهما، بل هي عندهم من الآيات الظنية الدلالة، وقد فسرت بما ذكره الفريق الأول، كما فسّرت تفسيراً آخر يختلف عنها، فالآية الأولى تحتمل ماذكره الفريق الأول، كما تحتمل أن يكون المعنى، بأنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بعيسى عليه السلام حين يدركه الموت وتتكشف له الحقيقة، إلا أن إيمانه لايفيده عند ذاك، فالضمير الأول في كلمة ﴿به﴾ عائد على عيسى، أما الضمير الثاني في كلمة ﴿موته﴾ فهو عائد على الكتابي[1].

وكذلك آية ﴿وإنه لَعِلمٌ للساعة﴾ فقد فسّرت بما ذكره الفريق الأول، كما فسّرت تفسيراً آخر، وذلك أن الهاء في ﴿إنه﴾ تعود إلى محمد ﷺ فهو علم للساعة، بدليل قوله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين، وضمّ السبابة والوسطى» (أخرجه البخاري ومسلم).

وقيل: معنى وإنه لعلم للساعة، أي إن إحياء عيسى الموتى دليل على الساعة وبعث الموتى يوم القيامة[2].

الترجيح :

إن رأي الفريق الأول هو الرأي الراجح، وقد رجحه المفسرون القدامى على قول الفريق الثاني[3].

---

(١) ـ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٤٥٧.

ـ د. الشبلي : مقارنة الأديان (المسيحية) ص ٦٠.

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٠٧.

ـ الشبلي : مقارنة الأديان (المسيحية) ص ٦١.

(٣) المراجع السابقة.

أما مقالة الفريق الثالث فهي مقالة غريبة، لم يقلها أحد من المفسرين القدامى المعتمدين، حسب ماأعلم، وليس لهم مستند في هذا، إلا ماذكره د. أحمد شلبي من أن الإمامين الرازي والألوسي قد فسرا الرفع الوارد في آية ﴿متوفيك ورافعك إليّ﴾ بأنه الرفع بالمرتبة والروح، وقوله هذا فيه نظر، ذلك أننا إذا أمعنّا النظر في قول هذين الإمامين وجدنا أن قولهما لا يسعفه فيما حمّلهما من رأي.

فالألوسي رحمه الله لم يذكر شيئاً من هذا، بل صرّح بأن الرفع هو رفع الجسد والروح معاً، ورجحه على مقالة الفريق الثاني[1].

أما الفخر الرازي فإن رأيه لم يظهر واضحاً في هذا المجال

إذ فسّر الرفع في قوله تعالى: ﴿وما قتلوه يقيناً بل رفعه اللّه إليه﴾ الوارد في سورة النساء بأنه رفع إلى السماء.

غير أن الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ في سورة آل عمران، يبين أن هذه الفوقية هي فوقية بالحجة والدليل، وأنها تدل على أن رفع المسيح الوارد في الآية في قوله: ﴿متوفيك ورافعك إليّ﴾ هو رفع بالدرجة والمنقبة لا بالمكان والجهة[2].

وبذلك نجد أن رأي الفريق الأول هو الرأي الراجح لقوة استدلالهم، كما رأينا، خاصة وأن هنالك أحاديث صحيحة وردت من طرق كثيرة، تفيد نزول عيسى آخر الزمان، مما يستلزم عدم موته من قبل، وهذه الأحاديث ليست آحادية كما يدّعون، لورودها من عدة طرق وعن عدة من الصحابة، مما يمكن معه أن تعدّ من قبيل المتواتر[1].

---

(١) الألوسي: روح المعاني ٣/ ١٧٩، ١٨٠، ٦/ ١٢.

(٢) الفخر الرازي: التفسير الكبير ٨/ ٦٩. ١١/ ١٠٢، ١٠٣.

(٣) د. البوطي: كبرى اليقينيات ص ٣٢٧.

وعلى كل حال فإن قضية رفع عيسى إلى السماء هي عقيدة لايكفر منكرها لعدم وجود أدلة قطعية في هذا المجال، سواء من القرآن أو من السنة.

هذا وإن كان قد ورد في القرآن الكريم، وفي السنة التي يرجّح أنها متواترة، مايدل على الرفع، فهو وإن كان قطعي الثبوت، إلا إنه ظني الدلالة، إذ أن معنى الرفع في الآيات القرآنية يمكن أن يفسَّر بأكثر من معنى، وليس هناك من دليل قطعي يجزم بأحد هذه المعاني، وكذلك النزول الوارد في الأحاديث، لا يدل دلالة قطعية على أن عيسى حي بجسده وروحه في السماء، لاحتمال أن يحييه الله تعالى قبل يوم القيامة ويُنزل روحه من السماء، زد على ذلك أنه ينبغي على المسلمين أن لايقفوا كثيراً عند قضية رفع عيسى إلى السماء بجسده وروحه، أو موته على الأرض ورفع روحه فقط، لأنها لاتقدم شيئاً ولاتؤخر في قضية الإيمان بالمسيح عليه السلام ورسالته.

ويمكننا القول: إنه على الرغم من وجود بعض تشابه بين العقيدة المسيحية المحرّفة وبين النظرة الإسلامية لرفع عيسى ونزوله، مما حدا ببعض المسلمين إلى رفض عقيدة رفع عيسى إلى السماء ونزوله، ظناً منهم أن هذا التشابه دليل على بطلان كون الرفع عقيدة إسلامية، مؤكدين على أنها دخيلة على الإسلام، ولكن على الرغم من هذا التشابه إلا إنه تشابه صوري فقط، إذ أن المسلمين يقولون بنبوة عيسى عليه السلام، وأنه رسول فقط من قبل الله تعالى، وأنه رفع إلى السماء بجسده وروحه، وسينزل قبيل يوم القيامة ليحكم بشريعة الإسلام، أما عند المسيحيين فإن المسيح هو ابن الله، وهو إله لذلك، اتخذ جسداً بشرياً، ولقِّب بالمسيح بعد تجسّده، وأنه صلب ودفن بالجسد البشري، ثم قام في اليوم الثالث من القبر، ليصعد بعد أربعين يوماً من قيامته إلى السماء بجسده البشري المتحد به، ويجلس عن يمين الآب بذاك الجسد أيضاً، وهو سيأتي في مجيئه الثاني (يوم القيامة العامة)، ليدين (يحاسب) الأحياء والأموات، الأخيار والأشرار.

المبحث السادس : المسيح عليه السلام في السنة النبوية الشريفة :

لقد تعرضت السنة النبوية الشريفة للمسيح عليه السلام وأمه بالتقديس والتشريف، وقد ورد في هذا المجال أحاديث كثيرة نذكر بعض مقتطفات منها:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من مولود إلا والشيطان يمسّه حين يولد، فيَستهلّ صارخاً من مسّة الشيطان إياه، إلا مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿وإنّي أعيذُها بكَ وذريَّتها من الشيطانِ الرجيم﴾(١)».

٢ ـ عن عبادة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ماكان من العمل»(٢).

٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات (إخوة لأبّ) ليس بيني وبينه نبيٌّ»(٣).

٤ ـ عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أدّب الرجل أَمَته فأحسن تأديبها، وعلّمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران، وإذا آمن بعيسى ثم آمن بي فله أجران، والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران»(٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم ٧٧١٢ ، ج٣/ ١٠٧ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، حديث رقم ٣٢٥٢، ج٣/ ١٢٦٧ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، حديث رقم ٣٢٥٨، ج٣/ ١٢٧٠ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، حديث رقم ٣٢٦٢، ٣/ ١٢٧١ .

٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: «لاتُطْرُوني[١]، كما أطْرَت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدهُ، فقولوا: عبد الله ورسولُه»[٢].

٦ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: لا والذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: آمنت بالله، وكذَّبتُ عيني»[٣].

وهذا من المسيح يدل على سجية طاهرة، حيث قدَّم حلف ذلك الرجل، فظن أن أحداً لايحلف بعظمة الله كاذباً، فقبل عذره، ورجع على نفسه، فقال آمنت بالله، أي صدقتك وكذبت بصري لأجل حلفك.

المبحث السابع: التعاليم الأخلاقية في الإسلام والمسيحية[٤]:

يحضّ كل من الإسلام والمسيحية الإنسان على الالتزام الخلقي، من عمل الخير، وسلوك حياة صالحة نقية كريمة، وكلاهما يستنكر القسوة والظلم والكذب والخيانة، والغدر والنفاق، والأنانية، ويحض على الإحسان والعطف والرحمة.

بالإضافة إلى أهم مرتكز وهو الإيمان بالله تعالى والثقة به، والإنابة إليه.

وسنورد هنا أمثلة لهذه التعاليم الأخلاقية المشتركة بين الإسلام والمسيحية، كما وردت في القرآن الكريم والسنة الشريفة، والأناجيل الرسمية المعتمدة.

---

(١) (لاتُطْرُوني) من الإطراء، وهو الإفراط في المديح ومجاوزة الحّد فيه، وقيل: هو المديح بالباطل والكذب فيه، (كما أطرت النصارى ابن مريم) أي بدعواهم فيه الألوهية وغير ذلك. المرجع نفسه في الحاشية.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، حديث رقم ٣٢٦١، ٣/ ١٢٧١.

(٣) المرجع نفسه ٣/ ١٢٧٢.

(٤) ـ أحمد طاهر: الأناجيل دراسة مقارنة ص ١٣١ ومابعدها.

ـ د. محمد فؤاد الهاشمي: حوار بين مسيحي ومسلم ص ٣٨ إلى ٧٣ وص ١٥٩، ١٦١.

١ ـ العفة :

قال تعالى في القرآن الكريم : ﴿**ولا تقربُوا الزّنا إنّه كانَ فَاحشةً وسَاءَ سبيلاً**﴾ [الإسراء : ٣٢].

وورد في الإنجيل : «قد سمعتم أنهم قالوا في الأزمان القديمة لاتزنِ، وإني أقول لكم إن من ينظر إلى امرأة مشتهياً إياها فقد زنا بها في قلبه» [متى ٥ : ٢٧/٢٨].

٢ ـ السلام :

قال تعالى في القرآن الكريم : ﴿**يَا أيّها الذينَ آمنوا ادخُلوا في السِّلم كافةً**﴾ [البقرة : ٢٠٨].

وقال النبي محمد ﷺ : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[١].

وورد في الإنجيل على لسان المسيح : «طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات، . . . طوبى للرحماء لأنهم يرحمون، طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يُدعون» [متّى ٥ : ٢--٩].

٣ ـ المحبة والعطف والرأفة:

قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿**وأحسنُوا إنّ الله يحبُّ المحسنينَ**﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿**إنّما المؤمنونَ إخوةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿**ولا تعتدُوا إنّه لايحبُّ المعتدين**﴾ [المائدة: ٨٧].

وقال ﷺ : «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه»[٢].

وورد في الإنجيل على لسان المسيح : «وصية جديدة أعطيكم إياها، أن تحبوا بعضكم بعضاً، وكما أحببتكم، ولسوف يحب الواحد منكم الآخر، وبهذا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم ١٣، ج١ / ١٤.

سيعرف كل الناس أنكم تلاميذي إذا ماأحب الواحد منكم الآخر» [يوحنا ١٣ : ٣٤ ـ ٣٥].

كما ورد أيضاً : «تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قدرتك ومن كل فكرك، وقريبك مثل نفسك» [لوقا: ١٠ : ٢٧].

٤ ـ العفو والمغفرة:

رغّب الإسلام في العفو والمغفرة، إلا أنه بنفس الوقت، أباح للإنسان أن يستوفي حقه في الدنيا، مع تبيينه لفضيلة العفو والمغفرة على ردّ الظلم بنفسه، بالإضافة إلى أنه جعل درجة ثالثة، أعلى من هذين الأمرين، هي درجة الإحسان مقابل الإساءة، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها**﴾ [الشورى: ٤٢]، وقال أيضاً في معرض مدح المؤمنين: ﴿**الذين ينفقونَ في السرّاءِ والضرّاءِ والكاظمينَ الغيظَ والعافينَ عن الناسِ، واللهُ يحب المحسنين**﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال أيضاً: ﴿**ادفعْ بالتي هيَ أحسنُ، فإذا الذي بينكَ وبينهُ عداوةٌ كأنّه وليٌّ حميمٌ، وما يلقّاها إلا الذينَ صبرُوا ومايلقّاها إلا ذو حظٍّ عظيم**﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

أما ماورد في الإنجيل على لسان المسيح فهو لا يشمل النوع الأول الذي ورد في الإسلام،والذي هو مقابلة الإساءة بالإساءة، الأمر الذي كان جائزاً في شريعة التوراة، وما ذاك إلا لأنه أتى لمعالجة قلوب بني إسرائيل التي استفحل فيها حبّ المادة، حتى غدت المادة مطلبها الأساسي.

فقال المسيح كما ورد في الإنجيل: «سمعتم أنه قيل عين بعين، وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم، لاتقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن، فحول له الآخر أيضاً. ومن أراد أن يخاصمك، ويأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضاً، ومن

سخّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين، ومن سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا تردّه»[1].

٥ ـ الأمانة :

قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿**ولا تأكلُوا أموالكُمْ بينكُمْ بالباطلِ، وتدلُوا بهـا إلى الحكّامِ، لتأكلُوا فـريقـاً من أمـوالِ النّاسِ بالإثمِ وأنتمْ تعلمـونَ**﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقال ﷺ: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر حراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»[2].

وورد في العهد القديم (التوراة) التي جاء المسيح مصدقاً لشريعتها: «لاتشته بيت جارك ولا زوجة جارك ولا عبيده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما يملك» [الخروج ٢٠: ١٧].

وورد في الإنجيل على لسان المسيح: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء لاتقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم... فإن قدمت قربانك إلى المذبح، وتذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح، واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدّم قربانك» [متى ٥ : ٢١ ـ ٢٤].

---

(١) ورد في الإنجيل على لسان المسيح مايدل على الإفراط في التسامح، الذي يؤدي إلى الرضا بالضيم والظلم، وعدم مقاومة الظالمين: «سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم، ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات» [مت ٥ : ٤٣ ـ ٤٥].

وقد يكون هذا من المسيح لذات السبب الذي ذكرناه سابقاً من أنه أتى لمعالجة قلوب بني إسرائيل المتمردة.

أما الإسلام فإنه شرّع العفو في محلّه، بحيث لايؤدي إلى الذل والهوان ... فوصف المؤمنين بقوله: ﴿أذلّةٍ على المؤمنينَ، أعزّةٍ على الكافرينَ...﴾ [المائدة: ٥٤].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، حديث رقم ٢١١٤، ج٢ / ٧٧٦.

٦ ـ الأدب :

قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿**يا أيها الذين آمنُوا لا يسخرْ قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكُنَّ خيراً منهنَّ، ولا تَلمِزُوا أنفسكُمْ، ولا تَنابزوا بالألقابِ، بئسَ الاسمُ الفسوقُ بعد الإيمانِ، ومَنْ لم يتبْ فأولئكَ هم الظالمونَ**﴾ [الحجرات : ١١].

وورد على لسان المسيح في الإنجيل : «أما أنا فأقول لكم إن من يُغضب أخيه دون سبب يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه راقا ـ وهي كلمة نابية ـ حق عليه المجلس، ومن قال أنت أحمق حقت عليه نار جهنم» [متى ٥ : ٢٢].

٧ ـ الصدقة:

قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنُوا أنفقُوا من طيباتِ ما كسبتُم، ومّما أخرجنا لكم من الأرضِ، ولا تيمّمُوا الخبيثَ منه تنفقونَ**﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وقال أيضاً: ﴿**إنْ تبدُوا الصدقاتِ فنعمّا هي، وإن تخفوهَا وتؤتُوها الفقراءَ فهو خيرٌ لكم**﴾ [البقرة: ٢٧١]، ﴿**يا أيّها الذينَ آمنوا لاتُبطلوا صدقاتِكم بالمنِّ والأذَى، كالذي ينفقُ مالَهُ رئاءَ الناسِ ولا يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ، فمثلهُ كمثلِ صفوانٍ عليه ترابٌ فأصابه وابلٌ فتركه صَلداً، لايَقدِرونَ على شيءٍ مما كَسبوا، والله لايهدي القوم الكافرين**﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وورد على لسان المسيح في الإنجيل : «احترزوا أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات» [متى ٦ : ١].

الفصل الثالث

عقيدة المسيحية الحالية
بالله تعالى
ومناقشة هذه العقيدة
في ضوء العقل وميزانه
مع المقارنة بالعقيدة الإسلامية

التثليث والتوحيد

«سر لا يسعه إلا الإيمان»

هكذا يبرّر المسيحيون لعقيدتهم با لله تعالى، تلك العقيدة التي لا يمكن للعقل أن يستوعبها أو أن يفهمها أبداً، وبإقرار المسيحيين وشهادتهم على ذلك...

ولذلك فإن السبيل الوحيد لاتباع هذه العقيدة هو التسليم التام بالقلب والعواطف، دون أن يترك للعقل أي دور في قضية الإيمان هذه...

إنها عقيدة تثليث في وحدانية، ووحدانية في تثليث...

ولكن كيف يجتمع التثليث والوحدانية في أمر واحد، وهما متناقضان...؟

وكيف للمسيحي أن يؤمن بثلاثة آلهة، آب وابن وروح قدس، على أن هذه الثلاثة هي في النهاية إله واحد لا ثلاثة آلهة...؟؟

وكيف تكون هذه العقيدة في نهاية المطاف عقيدة توحيد، لا تمتّ إلى الإشراك بصلة من قريب أو بعيد...؟؟

حقاً إنه لأمر عجيب!!

ولكي نكون موضوعيين، ولكي يتصف بحثنا بالنزاهة والحياد، فإن هذا يقتضي منا قبل الحكم على هذه العقيدة، أن نخوض في تفصيلاتها، ومن وجهة النظر المسيحية، ومن خلال مراجعها المعتمدة، لنعرف مراد المسيحيين بالتثليث والتوحيد، لتكون مناقشتنا بعد ذلك مبنية على أسس علمية سليمة[1]...

وإذا أردنا الرجوع إلى الوراء...، إلى الوقت الذي استخدمت فيه كلمة «ثالوث» لأول مرة، فإن علينا أن نرجع إلى عام ١٨٥م، لنرى في الشرق الأب ثيوفيلوس الأنطاكي أول من يستخدمها للدلالة على العقيدة الإلهية، أما في الغرب فإن أول من استخدمها هو الأب ترتليانوس عام ٢٢٠م...

---

(١) انظر قائمة المراجع المسيحية المعتمدة في هذا البحث في الفهرس الملحق بالكتاب.

ويسهب المسيحيون في شرح عقيدتهم، مؤكدين على أنها عقيدة توحيدية، نافين عن أنفسهم التهمة الموجهة إليهم بالإشراك، بسبب اعتقادهم التثليث....

ذلك أن التثليث والتوحيد، حسب رأيهم، يختلف عن عقيدة تعدّد الآلهة، أي العقيدة الوثنية...

والسبب في هذا يرجع برأيهم، إلى أن التثليث والتوحيد لا يعودان إلى نقطة واحدة، ووجهة واحدة، بل الله واحد في ثلاثة، وهو واحد من جهة الجوهر، ثلاثة من جهة الأقانيم...

وبمعنى آخر واحد من جهة الألوهية، ثلاثة من جهة الأقانيم، وهي الآب، والابن، والروح القدس...

وبالتالي فإن محور عقيدة التثليث والتوحيد هو الجوهر الذي يشكل ماهيّة الوحدانية، والأقانيم الثلاثة التي تشكل ماهيّة التثليث...

تعريف الأقنوم والجوهر

ولكن، ما هو الجوهر، وما هو الأقنوم، حسب تعريف المسيحيين لهذين الاصطلاحين...؟؟

والبحث في تعريف المسيحيين للجوهر والأقنوم، يعود بنا إلى تعريفهما في الفلسفة اليونانية.

ذلك أن المسيحيين استعاروا لفظة الجوهر والأقنوم من الفلسفة اليونانية في معرض حديثهم عن عقيدة التوحيد والتثليث.

والجوهر في الفلسفة اليونانية هو: ما قام بنفسه، وبه تقوم الأعراض والكيفيات، وهو نوعان:

آ ـ «**جوهر كلي**»: وهو الكليات التي يُحمَل عليها غيرها، كالنوع والجنس، مثل: إنسان، حيوان.

ب ـ **«جوهر جزئي»**: وهو الكائن الفرد المتعين من الجواهر الكلية، كهذا الإنسان: سعيد، يوحنا، أمجد.

أما الأقنوم في الفلسفة اليونانية، فهو مصطلح مرادف للجوهر، لا يختلف عنه أبداً، ويمكن لأحدهما أن يحلّ محل الآخر.

وكذلك كان الحال عندما استعار المسيحيون لفظة الجوهر والأقنوم للدلالة على كيان الله وجوهره الذاتي، ولذلك فإننا نجد هذين الاصطلاحين قد ظلاّ لفترة من الزمن يتبادلان المعنى ذاته في اللاهوت الكنسي المتقدم.

وهذا ما أكده المجمع المسكوني الأول «مجمع نيقية عام ٣٢٥م»، حين قرّر جازماً مساواة الأقنوم للجوهر في المعنى، دون وجود أي فارق بينهما.

وعلى هذا سار آباء الكنيسة الأوائل، فكانوا يستخدم اصطلاح «الجوهر» و«الأقنوم» بمعنى واحد، دون أي تمييز بينهما.

ولكن ما حدث بعد ذلك، أي في بداية القرن الرابع، وبالتحديد بعد مجمع نيقية، كان شيئاً خطيراً.

ذلك أن عقيدة المسيحيين بالتوحيد والتثليث لم تتضح في أذهان المسيحيين وتتبلور قبل أواخر القرن الرابع الميلادي، أي بعد ثلاثة قرون ونيّف من عهد المسيح، ويمكننا أن نعتبر مجمع نيقية المسكوني «٣٢٥م» البداية لتوضيح هذه العقيدة.

أقول البداية فقط، لأن عقيدة التثليث والتوحيد، قد بدأت مع هذا المجمع، حين قرر ألوهية الآب والابن، دون أن يتعرض لألوهية الروح القدس، وعلينا أن ننتظر حتى المجمع الثاني المسكوني عام «٣٨١م» لنرى تأكيد المسيحيين على ألوهية الروح القدس.

أما التفصيلات الأساسية لهذه العقيدة كقضية التثليث والتوحيد، وما يتعلق بخصوص ماهية الأقانيم، وعلاقتها ببعضها البعض، فعلينا أن ننتظر إلى قرون متأخرة حتى عن القرن السابع الميلادي، لنرى هذا يتم تدريجياً وبناءً على آراء إفرادية من الأساقفة ورؤساء الكنائس، والتي قد تتفق أحياناً وتختلف أخرى.

وفي هذا الوقت، أي في بداية القرن الرابع، بدأ المسيحيون يدركون ضرورة التمييز بين الجوهر والأقنوم، فسمحوا لأنفسهم تجاوز قرارات مجمع نيقية المعصوم برأيهم، وميّزوا بين الجوهر والأقنوم، جاعلين معنى الجوهر يشير إلى النوع المشترك في الأقانيم المتساوية في النوعية، وهي الألوهية الواحدة، أما الأقنوم فيدل على الأفراد المتعددين في الجوهر الواحد، كالآب والابن والروح القدس...

وبذلك بات الفرق بين الجوهر والأقنوم كالفرق بين الجوهر الكلي والجوهر الجزئي.

ومع هذه التطورات التي وصل إليها المسيحيون في تعريف الجوهر والأقنوم، اللذين يمثلان لبّ عقيدتهم وجوهرها، فإن الأمر لم يقتصر عند هذا الحد أبداً.

ذلك أن اللاهوتيين المعاصرين، أمعنوا النظر فيما تركه لهم أسلافهم، فرأوه لا يصمد أمام النقد ولا حجة العقل، إذ كيف يكون الله جوهراً بمعنى الجوهر الكلي، وتكون الأقانيم الثلاثة بمعنى الجوهر الجزئي في الوقت ذاته...؟؟

ألا يؤدي هذا إلى أن تتعدد الجواهر بتعدد الأقانيم، كما هو الحال في الجواهر والأقانيم البشرية...، فيصبح لدينا ثلاثة آلهة لا إله واحد؟؟

وما هو الحل لتكون عقيدة التثليث عقيدة توحيدية، لا تمتّ إلى الإشراك بصلة؟

وبعد تفكير وتمحيص، اضطر هؤلاء المعاصرون أن يعترفوا بعدم إمكانية شرح «الأقنوم» و«الجوهر» حسب المعنى البشري المتعارف عليه.

لم يجدوا بدّاً من الاحتماء بعجز اللغة البشرية المخلوقة عن التعبير عن سرّ الثالوث الفائق الإدراك.

وخرجوا بنتيجة تقتضي أن اللّه تعالى جوهر واحد وثلاثة أقانيم، بمعنى يختلف عن المعنى البشري، وأن على الإنسان أن يسلّم بهذا دون أن يحاول فهم الفرق بين الجوهر والأقنوم.، بل عليه أن يستسلم لمشيئة الرب في هذا.

ولكن...، يحق لنا أن نتساءل...

أين هي أدلّتهم من التوراة والإنجيل على أن ا لله جوهر واحد وثلاثة أقانيم؟

وأن هذا الجوهر وهذه الأقانيم إنما هي بمعنى يختلف عن مفهوم البشر، وأن عليهم أن يسلّموا بهذا دون أي بحث وتفكير وتعقّل...؟؟

وهل يمكن لخالق العقول أن يخاطبها بما يتناقض معها...، ثم يطلب منها بعد ذلك أن تتبع اتباع من لا يعقل ولا يدري شيئاً...؟؟

إن أوضح أدلّتهم على التثليث، هو قول المسيح لتلامذته عقب قيامته من بين الأموات (حسب رأيهم طبعاً): «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس». (متى ٢٨:٩).

وقول يوحنا الرسول في رسالته الأولى: «فإن الذين يشهدون (في السماء) هم ثلاثة (الآب والابن والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد)». (رسالة يوحنا الأولى: ٧).

وإذا ما أمعنا النظر في هذين الدليلين، فإننا لا نجد فيهما ما يدل على أن اللّه جوهر واحد وثلاثة أقانيم، بمعنى يختلف عن المفهوم البشري للجوهر والأقنوم، بل لا نجد فيهما ما يشير أصلاً إلى أيّ من مفهومي الجوهر والأقنوم، وكل ما فيهما من دلالات ومعانٍ، إننا ينحصر في إيراد ثلاثة أسماء هي: الآب، الابن، الروح القدس... دون وجود ما يدل على أن هذه الأسماء هي آلهة...

هذا فضلاً عن أننا نجد لبعض مفسري الكتاب المقدس تحفّظات حول هاتين الآيتين...

وهذا ما يؤكده الأب سليم بسترس، من الطائفة الكاثوليكية، مبيناً أن مفسري الكتاب المقدس، يرجّحون كون هذ الوصية، الورادة في إنجيل متى: «عمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»، قد وضعها كاتب هذا الإنجيل على لسان يسوع المسيح، بينما هي في الواقع ليست من كلامه، بل هي موجز الكرازة أي الموعظة، التي كانت تعدّ الموعوظين للمعمودية[1] في الأوساط المسيحية اليونانية[2]...

أما الدليل الثاني: «فإن الذين يشهدوين في السماء هم ثلاثة»، فقد رجّح الدارسون للعهد الجديد، أن ما أحيط من الكلمات بهلالين كبيرين، فإنه دليل على عدم وجود هذه الكلمات في أقدم هذه النسخ وأصحها[3].

وها هو ذات قدّيسهم باسيليوس الكبير، أحد آباء الكنيسة الأوائل، يعترف بكل صراحة، بعد وجود مصادر خطية، توضح أن الأقانيم ثلاثة: آب، ابن، روح القدس، ثم يتبع هذا مصرّحاً بأن المسيحيين استنتجوا ثلاثة أقانيم من آية المعمودية، ظناً منهم أنه كما هي المعمودية كذلك يجب أن يكون الإيمان[4]...

ماهية الأقانيم وعلاقتها ببعضها البعض:

ما هي الأقانيم الثلاثة في العقيدة المسيحية؟

إنها الآب والابن والروح القدس...

---

(١) المعمودية هي: سرّ به يغطّس الإنسان الخاطئ في الماء على ثلاث دفعات، باسم الآب والابن والروح القدس.

(٢) سليم بسترس: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ٢/٤٨.

(٣) مقدمة الكتاب المقدس، مطبعة دار الكتاب المقدس في العالم العربي...

(٤) باسيليوس الكبير: مقال عن الروح القدس ٢٧: ٦٦، ٦٧.

الآب الإله، والابن الإله، والروح القدس الإله...

هذا ما اتفقت عليه آراء أغلب الكنائس المسيحية[1]، منذ القرن الرابع الميلادي، وبالتحديد، بعد المجمع المسكوني الأول والثاني «٣٢٥م، ٣٨١م»، حيث جرى التأكيد في المجمع الأول على ألوهية الآب والابن، وفي المجمع الثاني على ألوهية الروح القدس..، دون تعرض لماهيتهما، وكيفية علاقتهما مع الآب، وكيفية علاقة كل منهما بالآخر...

الأمر الذي ترك تحديده ليتم عبر مدة طويلة من الزمان، كثرت فيها الخلافات حول هذه التفاصيل، وما تزال قائمة إلى اليوم.

وأولى هذه الخلافات هي اختلافهم حول ماهية الأقانيم إلى فئتين:

الفئة الأولى: ترى وجود علاقة بين ماهية الأقانيم وبين الصفات، وليس الأقنوم عندهم إلا صفة قائمة بذاتها.

ومع اتفاق هؤلاء اللاهوتيين حول هذه النقطة، إلا أننا نراهم ينشقون بعد ذلك طرائق متعددة، في تحديد هذه الصفات التي تكوّن ماهية الأقانيم...

فمنهم من نصّ على أن الله جوهر واحد وثلاث صفات، هي صفة النطق أي صفة الكلام، وهي التي تشكل أقنوم الابن، وصفة الحياة، وهي أقنوم الروح القدس، ويبقى أقنوم الآب في تعريف هؤلاء دون أي توضيح للصفة التي تشكل ماهية هذا الأقنوم...

بينما نرى آخرين يجعلون أقنوم الآب هو الذات الإلهية الموصوفة بالصفات، أما الأقنومان الآخران فهما صفتا النطق والحياة...

وآخرين يجعلون الآب هو الذات الإلهية، والأقنومين الآخرين هما صفة الحكمة وهي أقنوم الابن، وصفة الحياة وهي أقنوم الروح القدس...

---

(١) نقول أغلب الكنائس، لأن هنالك آراء أخرى في هذا سنتناولها بالذكر عندما نتعرض لهذه المجامع المسكونية وآراء مخالفيها.

وقبل أن ننتقل لنبيّن رأي الفئة الثانية، نتساءل هنا أسئلة عديدة:

١ـ أليس في اختلاف اللاهوتيين في تحديد هذه الصفات التي تكوّن ماهية الأقانيم دليل على أن معرفتهم لهذه الأمور إنما يتم عن طريق العقل، دون وجود مستند كتابي سواء من العهد القديم أو من العهد الجديد...؟؟

وهل يجوز أن تترك العقائد لعقول الأفراد، يعملون فيها التفكير والاستنباط حسب قدراتهم البشرية؟

الجواب الطبعيّ والبدهيّ هو: لا.

فالعقائد أمور تنأى عن مستوى البشر أن يصلوا إلى حقيقتها وجوهرها بعقولهم وحدها، وإلا لما كان هنالك داعٍ لإرسال الرسل والأنبياء، ولكان الإنسان مؤاخذاً إذا لم يصل إلى العقيدة الصحيحة بعقله...؟؟

ولكن، وبما أن الله تعالى أرسل الرسل لهداية البشر، وأرسل معهم كتباً سماوية، تبين لهم العقيدة الصحيحة، مؤكداً على أن مناط التكليف والحساب مشروط بوجود الرسل، وإلا ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء ١٥].

وبما أنه ليس للمسيحيين دليل كتابي صحيح يستندون إليه في تفصيل عقائدهم، فإن اختلافهم هذا علامة استفهام كبيرة، يجدر بالمفكرين والمتعقلين أن يقفوا عندها كثيراً...

فخلافهم في موضوع أقنوم الآب أي صفة هو، خلاف جذري...

فئة منهم تجعله صفة، دون أن تبين أي صفة هو...

وأخرى تجعله الذات الإلهية الموصوفة بالصفات، وبدهيّ أن الذات الإلهية هي الجوهر العام الموصوف بالصفات، الأمر الذي يؤدي إلى أن يكون هنالك ذات وأقنومان فقط، لا ثلاثة أقانيم...

هذا فضلاً عن أنه لم يسمع في عرف البشرية، بإمكانية قيام الصفة بذاتها، بل هي دائماً وأبداً بحاجة إلى ذات لكي تقوم بها، وتعرف من خلالها.

٢ـ والأمر الآخر الذي يطرح على ساحة البحث والتساؤل أيضاً، هو السبب في اقتصارهم على ثلاثة أقانيم، بينما نرى صفات الله تتجاوز الثلاثة، كالقدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم.

ويجيب المسيحيون عن هذا بأمرين:

آ ـ إن تسلّم هذه الصفات التي تكوّن الأقانيم، إنما تمّ عن طريق التقليد، أي طريق تعاليم المسيح المسلّمة إلى الرسل شفوياً، ومن هؤلاء تسلمتها الكنيسة أيضاً، ولذلك اقتصر على ثلاثة أقانيم، وليس أكثر.

ب ـ التمييز بين صفات الله الذاتية، الغنية عن التعلق بشيء من المخلوقات، وهذا النوع من الصفات هو الذي يسمى بالأقانيم، وبين غيرها من صفات الأفعال الفقيرة إلى التعلق بشيء من المخلوقات كالقدرة...

ولكن، لو كان تبريرهم الأول صحيحاً، لكان ينبغي أن تكون أقوال الآباء القديسين الأُوَل وآراؤهم بشأن ماهية الأقانيم أقوالاً واضحة جازمة لا اختلاف وتضارب فيما بينها.

إلا أن الواقع غير هذا، فالآباء الأول لم يفصلوا القول في ماهية الأقانيم، هل هي صفات أم لا، بل اكتفوا بذكر الآب والابن، مبيّنين أن الابن كلمة وحكمة وقوة (قدرة) ومشيئة الآب، دون أن يبيّنوا أي صفة هو.

أما تبريرهم الثاني في اعتبار الكلام والحياة صفتا ذات، وغيرهما من الصفات صفات أفعال، فإن هذا التبرير يجعل من صفة القدرة والإرادة والسمع والبصر وغيرها صفات حادثة لا أزلية، اتصف بها الله تعالى عندما خلق الخلق فقط، وهذا أمر لا يحتاج نقده إلى كثير كلام...

إذ أيعقل ألاّ يتصف الله بالقدرة إلاّ عندما خلق الخلق...؟؟

وهل من الممكن أن يحتاج إلى الخلق ليتصف بالعلم والإرادة والسمع والبصر؟

هذا باختصار رأي **الفئة الأولى** من المسيحيين في ماهية الأقانيم.

أما **الفئة الثانية**، وهم قلة، فإنهم يرون أن ماهية الأقانيم مستقلة عن علاقتها بالصفات، وليس الأقنوم عندهم صفة قائمة بذاتها.

والطريف في هذا أنهم ينتقدون من يقول بأن الأقنوم صفة قائمة بذاتها، مبينين أنه لو كانت الأقانيم صفات قائمة بذاتها لكان اللّه يتعامل مع صفاته منذ الأزل، يكلمها ويسمعها ويبصرها ويحبها، وهذا لا يمكن أن يكون، لأن اللّه لا يتعامل مع الصفات ولا الصفات تتعامل معه.

ونتساءل هنا: إذاً ما هو الأقنوم لدى هذه الفئة؟

إنه، حسب تعريفهم: «تعيّن عاقل لا صفات».

ومن الواضح أن تعريفهم للأقنوم بهذا المعنى يعود بنا إلى معنى الجوهر الجزئي في الفلسفة، فالأقنوم بناءً على هذا هو جوهر جزئي، أي أفراد متعينة من الجوهر الكلّي.

فالألوهية هي الجوهر الكلّي، والأقانيم الثلاثة: الآب، الابن، الروح القدس هي جواهر جزئية.

وهذا التعريف يجعلنا نطرح الأسئلة التالية:

١- كيف يكون هناك وحدة إلهية ما دامت الأقانيم ثلاثة؟ وما دام كل أقنوم قائماً بذاته؟

٢- هل يملك كل أقنوم الجوهر العام كاملاً أو جزءاً منه؟؟

ويجيب المسيحيون عن هذا موضحين وحدة الجوهر الإلهي للأقانيم الثلاثة، على خلاف الأقانيم البشرية التي تتعدد جواهرها وصفاتها بتعدد أقانيمها.

وحدة الأقانيم في الجوهر والصفات والأفعال وتميزها في صفة واحدة فيما عدا ذلك.

فجوهر هذه الأقانيم جوهر واحد لا يتعدد، وصفاتهم كذلك واحدة لا تتعدد، ولا يختلف أقنوم الآب عن الابن والروح القدس إلا في صفة واحدة هي صفة الأبوة، وكذلك الابن لا يختلف عن الآب والروح إلا في صفة واحدة هي صفة البنوّة، أما صفة الروح القدس التي يختلف بواسطتها عن الآب والابن فهي صفة الانبثاق، وهذا الاختلاف ضروري ليكون كل أقنوم قائماً بذاته.

ولكن، أليس من مستلزمات هذه الوحدة بين الأقانيم أن يتجزأ الجوهر الواحد فيما بينها، فيملك كل واحد من الأقانيم ثلث الجوهر المشترك؟؟

كمال الأقانيم

ويأتي الجواب لدى المسيحيين بالنفي حتماً، ذلك أنهم يعتقدون بكمال الأقانيم، وتجزيء الجوهر بين هذه الأقانيم ينقص من كمالها، ولذلك فإنهم على الرغم من قولهم بوحدة الجوهر بين الأقانيم، إلا أنهم يقولون أيضاً بأن كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة يملك الجوهر كاملاً، من غير أن يتعدد الجوهر.

فكل أقنوم هو إله كامل، يملك جوهر الألوهية كاملاً، ومع ذلك فإن هنالك إلهاً واحداً، جوهراً واحداً، لا ثلاثة آلهة وثلاثة جواهر.

ولكن أليس غريباً حقاً أن يكون كل أقنوم يملك الجوهر كاملاً دون أن تتعدد هذه الجواهر أو تتجزأ؟

ألا يتناقض هذا مع مستلزمات العقل ودواعيه؟؟

ولا يجد المسيحيون أمام هذا إلا أن يجيبوا بقولهم: إن هذه العقيدة سرّ يفوق العقل البشري، ولا يسعه إلا الإيمان فقط.

تلك العبارة التي سنجدها دائماً، تتصدر أبحاث المسيحيين المتناقضة مع العقل «سر لا يسعه إلا الإيمان».

ولكن، هل مسألة التوحيد والتثليث هي حقاً سرّ لا يسعه إلا الإيمان؟

ومن الذي أخبرهم بأنها سر لا يسعه إلا الإيمان، طالما أن كتابهم المقدس قد خلا من أية إشارة إلى أن ا لله جوهر واحد وثلاثة أقانيم، وأن هذه الأقانيم تتميز بكذا، وتتّحد في كذا...

وأن كلاً من هذه الأقانيم إله كامل من غير أن يكون هنالك ثلاثة آلهة؟

حقاً، إن هذا لأمر عجب...

مناقشة وحدة الأقانيم وتميزها.

عقيدة بدون مستند كتابي، بل وتتناقض أيضاً مع العقل والمنطق السليم في أمور عديدة، نراها واضحة من خلال التساؤلات التالية:

١- كيف يكون كل أقنوم قائماً بذاته، له صفة خاصة به، يتميز بها عن الأقنومين الآخرين، ألا يؤدي هذا إلى نقص كمال كل واحد من الأقانيم، طالما أن هنالك صفتين خاصتين بالأقنومين الآخرين، لا يمكن لهذا الأقنوم أن يتصف بهما؟

٢- وأنّى للأقنوم المخالف للأقنومين الآخرين في الشخصية بسبب كونه فرداً متعيناً قائماً بذاته، وجوهراً جزئياً، أن نجده بعد هذا يملك الجوهر نفسه، بدون أن يتعدد الجوهر بتعدد أقانيمه، وبدون أن يتجزأ بينهما؟

٣- وكيف يكون الجوهر (أي الألوهية) واحداً للأقانيم الثلاثة، ثم يكون كل أقنوم بعد ذلك إلهاً كاملاً لا ثلث إله؟...

أو ليس الأقنوم هو الجوهر قائماً بنفسه؟ ألا يستلزم تعدد الأقانيم تعدد الجوهر أيضاً؟

لقد كان الأولى بالمسيحيين أحد ثلاثة أمور، إما أن يقولوا بجوهر واحد وألوهية واحدة، ثم يتبعوا هذا بما يستلزمه من وحدانية الأقنوم تبعاً لوحدانية الجوهر، ذلك لأن الأقنوم ليس سوى الجوهر قائماً بذاته.

أو أن يقولوا بأقانيم ثلاثة، آب، ابن، روح القدس، كل منهم إله كامل، ويؤكدوا على هذا التثليث، فيتبعونه بما يستلزمه، من تعدد الجواهر بتعدد الأقانيم،

فتصبح لذلك الجواهر ثلاثة، الأمر الذي يقتضي تعدد الألوهية أيضاً، ويصبح عدد الآلهة تبعاً لذلك ثلاثة آلهة، وليس إله واحد...!!

أو أن يحافظوا على القول بالجوهر الواحد أي الألوهية الواحدة، مع المحافظة في الوقت نفسه على الأقانيم الثلاثة، ولكن على أن تكون الألوهية مجزأة بين الأقانيم، فيملك كل أقنوم من هذا الثلاثة ثلث الجوهر، فيكون بذلك كل أقنوم ثلث إله، لا إلهاً كاملاً.

وبالطبع يرفض المسيحيون الحلّ الأول، لأنه لن يكون بمقدورهم حين ذلك أن يقولوا بألوهية المسيح، والذي يشكّل بمنظورهم أقنوم الابن الإلهي، الذي نزل من عليائه واتخذ جسداً بشرياً تجسّد به، ليسمّى هذا الإله المتجسد فيما بعد بيسوع المسيح.

كما يرفضون الأمر الثاني، لأن عقيدتهم تكون عند ذلك عقيدة وثنية إشراكية، لا تمتّ إلى التوحيد بصلة.

أما الأمر الثالث، الذي يرفضونه أيضاً، فلأن تركيب الإله من أجزاء يتنافى مع مستلزمات الألوهية الكاملة، التي يحتاج إليها كل شيء، دون أن تحتاج هي إلى شيء.

ولذلك كله، وأمام صورة المسيح المخلّص، الذي صُلب، حسب اعتقادهم، من أجل خطاياهم...

أمام صورة المسيح الإله والإنسان، كان لابدّ من الاعتقاد بوجود إله آخر غير الله الذي في السموات، هذا الإله الآب الذي أحب البشرية، فأرسل إليهم ابنه الإله ليفديهم بنفسه...

وهكذا كان لا بدّ من رسم عقيدة في الألوهية تتناسب تماماً مع القول بألوهية المسيح، دون أن تؤثر على ألوهية الله خالق السماء والأرض.

وتتناسب أيضاً مع تأليه الروح القدس، الذي يولّيه المسيحيون دوراً هاماً، في عملية الخلاص والفداء، التي حققهـا المسيح للبشـرية ككـل بشـكل عـام ومجـرد، وذلك حين يورِّث الروح القدس المؤمنين بالمسيح وحدهـم هـذا الفـداء الخـلاص، عن طريق حلوله بالمؤمنين من أتباع المسيح...

وبهذا الدور الهام الذي للروح القدس، لن ينال هبـة الخـلاص والفـداء عنـد ذلك، إلا من آمن بالمسيح وتقبّل الروح القدس في ذاته ليحلّ فيه.

لهذا كان لابدّ من تقرير عقيدة، تجعل كلاً من ا لله إلهاً كـاملاً، ومـن الابـن إلهاً كاملاً، والروح القدس إلهاً كاملاً، ولو كان هذا على حساب الكتاب المقدس نفسه، الذي لا يجد المسيحيون في ثناياه دليلاً واضحاً يؤيد عقيدتهم.

أو على حساب العقل ومنطقه، الذي لا يمكن فهم عقيدة التوحيد والتثليـث في ضوئه وتحت إشرافه.

وكان لهم هذا حين اكتمل بناء هذه العقيدة، بعد مراحـل عديـدة وطويلـة، بدءاً من مجمع نيقية ٣٢٥م، والمجامع الستة الأخرى التي تليـه، ومـروراً بتفسـيرات الكنائس والأساقفة لهذه العقيدة، المتفقة أحياناً والمتضاربة أحياناً أخرى...، وهـذا ما سنعمل على تفصيله إن شاء ا لله في فصول أخرى.

علاقة الآب بالابن والروح القدس:

آب هو مصدر الألوهية الوحيد، غير مولود ولا منبثق من أحد.

علّة وجود الابن والروح القدس ومصدرهما...

وابن صادر عن الآب بالولادة...

وروح قدس صادر عن الآب بالانبثاق عند الأرثوذكس، وصادر عـن الآب والابن عند الكاثوليك...

تلك هي العلاقة بين الأقانيم الثلاثة لدى المسيحيين.

علاقة العلة والمعلول، علاقة الإصدار والصدور...

ولكن، كيف يكون الآب علة وجود الابن والروح القدس، ويكون الابن والروح صادرين عن الآب، ثم بعد هذا كله يكون الابن والروح مساويين للآب،كل منهما إله كامل كما هو الآب، لا يوجد زمن لم يكن فيه الابن والروح موجودين؟

ولماذا صدر الابن عن الآب بالولادة، بينما صدر الروح القدس عن الآب بالانبثاق؟

وما هو الفرق بين الولادة والانبثاق؟؟

أسئلة عادية بدهيّة، يمكن أن تخطر ببال كل إنسان، أيّاً كانت مرتبته العلمية...

فمن البدهي المعروف للعقل، أن المعلول الناتج عن علة، سواء بطريق الولادة أو الانبثاق، يقتضي أن يكون وجود العلّة سابقاً على وجود المعلول.

فهنالك لا ريب زمن كان فيه الآب موجوداً وحده، دون أن يكون للابن والروح القدس وجود، ثم بعد ذلك، وفي زمن ما، أوجد الآب الابن والروح القدس...

وهذه الأولية للآب تجعله متفوقاً عن الابن والروح، سابقاً لهما في الوجود...

كما تدل على حاجة الآب إلى الابن والروح القدس، ولذلك ولد الابن وبثق الروح، لأن الولد إنما يرغب فيه ليكون حافظاً لأبيه، يعوله وهو حيّ، ويكون ذكراً له بعد الموت.

أمام هذه الأسئلة المنطقية، لا يجد المسيحيون جواباً أفضل من قولهم:

إن صدرو الابن والروح القدس عن الآب هو سر من أسرار اللاهوت، التي لايستطيع العقل إدراك كنهها، ولا يسعها إلا الإيمان فقط...

إنه باختصار صدور يختلف عن المعنى البشري المادي لهذا الاصطلاح...

وكذلك الحال بالنسبة لولادة الابن من الآب، فإنها أيضاً ولادة تختلف عن المفهوم البشري، لأن الله لا يلد ولا يولد بالمفهوم البشري...

فهي لذلك ولادة أزليّة لا زمنية، ولم يكن هنالك وقت لم يكن فيه الابن موجوداً مع الآب...

وهي كذلك ولادة روحية عقلية، وليست مادية ولا حسية ولا جسدانية.

إنها باختصار، ولادة بلا انفعال ولا سيلان ولا تغيّر...

وبعبارة أخرى، هي سرّ من الأسرار لا يسعه إلا الإيمان.

وكذلك هو الفرق بين ولادة الابن من الآب، وانبثاق الروح منه، فإنه لا يمكن للبشر إدراك ماهية الفرق بين الولادة والانبثاق، لأن عقولهم وألسنتهم أضعف من أن تدرك حقيقة الله الذي لا يوصف...

ولكن...، ما هي حقيقة هذه العبارة «سر يفوق العقل ولا يسعه إلا الإيمان»، والتي لا نفتأ نجدها تتردد على ألسنة المسيحيين، كلما أعياهم الجواب المنطقي العقلاني؟؟

وهل يمكن اعتبارها نجدة لهم من ذلك التناقض بين العقل وبين الدين...؟؟

الجواب المنطقي، لا، ذلك لسببين:

تناقض عقيدة صدور الابن والروح عن الآب مع العقل السليم

أولهما: أن صدور الابن والروح عن الآب، وولادة الابن وانبثاق الروح، بالمعنى الذي يذكره المسيحيون، أمر لا يفوق العقل فقط، بل يناقضه...

وتناقض العقيدة مع العقل السليم، الذي لا ينقاد إلا للحق، وليس للأهواء عليه سبيل، أمر مرفوض...، لأن خالق العقول لا يخاطبها بما يتناقض معها أبداً...

أما أن تكون هنالك في العقيدة أمور تفوق الإدراك فهو شيء جائز لا غبار عليه أبداً...

وشتان بين ما يفوق العقل وما يناقضه...!!

ذلك أن ما يفوق العقل لا ينحصر في العقائد فقط، بل هو أمر نشاهده مراراً، يحدث في عالمنا المحسوس، فكيف إذاً بالعالم غير المحسوس (عالم الغيب)...

فأجدادنا قبل قرون، كان عقلهم عاجزاً عن تصور ما نتمتع به اليوم من رفاهيات القرن العشرن والواحد والعشرين، من الطائرات والتليفونات، والتلكسات والتلفازات...

والأمر المضحك في هذا، ما يروى أنه عندما تم اختراع التلفاز، لم تستطع بعض النساء من كبار السن، أن يستوعبن كيف يمكن لهن أن يرين المذيع، بينما لا يراهم هو...، فكن يجلسن أمام التلفاز متحجبات من هذا الرجل الغريب الذي يظهر على التلفاز...

والسبب في هذا هو أن مدارك الإنسان للأشياء، إنما تتكون من تصوراته عنها...، والتصورات تتجمع في الذهن عن طريق الحواس الخمس...، ولذلك فإن الإنسان لايستطيع أن يستوعب بعقله من المجردات، إلا ما له نماذج حسية في ذهنه، ومن المحال عليه أن يدرك أموراً مجردة، ليس لها مثال حي في تصوراته الذهنية...

ولذلك شاع المثل المعروف في الفلسفة: «عدم وجدانك للشيء لا يستلزم عدم وجوده».

وما تزال إلى اليوم حقائق كثيرة في هذا الكون الكبير مجهول للإنسان، لم يتوصل إليها بعد...

كذلك الحال في بعض حقائق هذا الكون التي توصل إليها الإنسان بعلمه، كانت قبل قرون كثيرة مغيّبة عن أهل هذه القرون، تفوق إدراكهم وعقولهم...، بسبب جهلهم بها...

فهل يعني هذا الجهل بهذه الحقائق، عدم وجودها...؟؟

وهل يؤثر هذا على حقيقتها شيئاً...؟؟

وهذا هو تماماً ما يمكن أن يكون في العقيدة الصحيحة، ذلك أن كثيراً من حقائق هذه العقيدة مغيب عن عقولنا، لا يمكن لعقولنا أن تحيط به علماً، كتصور ذات الله وكنهها، ومع هذا فإن العقل لا يناقض وجود الله، بل يصل إلى ضرورة وجوده عن طريق العقل وأدلته، وهذا العقل الذي يصل إلى وجود الله، هو نفسه يقف بعد ذلك عاجزاً عن فهم كنه ذات الله، لأنه أمر يفوق إدراكه.

وكذلك الحال في بعض صفات الله التي ليس لها مثيل في الذات البشرية، كقدم الله وعدم تحيّزه في مكان، فإن الإنسان يصل عن طريق الأدلة العقلية إلى ضرورة اتصاف الله تعالى بهذه الصفات، ولكنه يعجز عن هضمها وتصورها.

أما صفات السمع والبصر والعلم، فإن الإنسان لا يفهم منها إلا بمقدار ما يمكن لإدراكه أن يستوعبه، من خلال الصور المتكررة التي تخضع لسمع الإنسان وبصره وعلمه، ولذلك فإن عقله يقف عاجزاً عن أن يدرك ويتصور كيف يكون الله سامعاً لكل شيء ولا يفوته شيء، وكيف يبصر كل شيء ولا يخفى عنه شيء، وكيف يعلم كل شيء دون أن يغيب عنه شيء...

فذلك مما لا يمكن للإنسان إدراكه، لأنه لا مثيل له في المخلوقات البشرية أبداً، ولذلك ورد في الحديث الشريف: «**تفكّروا في الخلق ولا تفكّروا في الخالق**».

ولكن، هل العقائد المسيحية، من تثليث وتوحيد، وولادة للابن، وبثق للروح، تدخل تحت ما يفوق العقل، أو هي مما يندرج تحت ما يتناقض مع العقل؟؟

ومن خلال الأسئلة المنطقية التي طرحناها سابقاً، نرى كيف تتناقض هذه العقيدة مع بدهيات العقل ومسلّماته...

إذ أنّى للآب أن يلد الابن ويبثق الروح القدس، ويكون هذا منذ الأزل، بينما لا نرى في منطق البشرية وبدهياتها المسلّمة ما يقرّر هذا ويقبله...

وهل الولادة والبثق بمعنى آخر سوى معنى الإيجاد من العدم، بحيث يكون الموجِد سابقاً لمن أوجده في وجوده؟؟

وهل يمكن أن يكون الآب مصدر الابن والروح وعلّة وجودهما، ثم لا يكون بعد ذلك أعظم منهما ولا متقدماً عليهما ولا سابقاً لهما في الوجود، بل يكون الجميع برتبة واحدة وزمن واحد؟؟

والغريب في هذا أنه مع كل هذا التأكيد من قبل المسيحيين على وجود الآب والابن والروح القدس في زمن واحد، وعلى رتبتهم الواحدة، إلا أننا نرى بعض الآباء القديسين، آباء الكنيسة الأولى، يقرّون بعظمة الآب وتفوّقه على الابن والروح القدس، لأنه علة لهما وسبب وجودهما.

من هؤلاء القديس يوحنا الدمشقي[1]، ومن هؤلاء أيضاً القديس يوستين، الذي يقول في هذا: «الابن هو الثاني في الترتيب بالنسبة للآب، لأن الابن من الآب، كذلك أيضاً في المجد الذي بالقدر الذي فيه الآب هو أصل وعلة وجود الابن»[2].

ثم إن تأكيد المسيحيين على وجود الاختلاف بين الولادة والانبثاق، وعزوهم عدم معرفة هذا الاختلاف وإدراكه إلى أنه سر من الأسرار، إنما هو تفريق بين المتماثلين، وهذا لا يصح عقلاً...

فما دامت ولادة الابن هي صدور عن الآب، وانبثاق الروح هو أيضاً صدور عن الآب، وما دامت لا توجد صفات خاصة بأي من الولادة أو الانبثاق، فإن هذا دليل على أن صدور الابن وصدور الروح القدس عن الآب إنما هو بمعنى واحد.

ولربما يكون السبب الذي حدا بالمسيحيين إلى التفرقة بينهما، هو خشيتهم من أن يصير هنالك ابنين للآب، الأمر الذي يتناقض مع الأدوار الموكلة إلى كل منهما، الابن للفداء والروح القدس لتكميل الفداء، ويتناقض أيضاً مع صريح قرار مجمع نيقية، الذي أكد على أن المسيح هو ابن الله الوحيد.

---

(١) الدمشقي: المئة مقاله ٨:٨.

(٢) متى المسكين: القديس أثناسيوس الرسولي ص٣٣٣، ٣٣٤.

ثانيهما: أما السبب الثاني الذي يجعلنا نؤكد على أن تلك العبارة التي ما فتئوا يرددونها دائماً في معرض شرحهم لعقائدهم، وهي قولهم: «سر لا يسعه إلا الإيمان»، إنما هو تهرب واضح من الإجابة عن تلك الأسئلة التي تتناقض مع العقل، دون وجود أي مستند لهم في تلك العقائد.

ذلك أنه لا يمكن للمسيحيين أن يفسروا اصطلاحات «العلة» و«الولادة» و«الصدور»، بمعنى يخالف المفهوم البشري، إلا إذا أُخبروا بهذا من قبل الله تعالى في كتبهم المقدسة، هذا إن جاز للديانة أن تخبر الناس بما يتناقض مع عقولهم...

ولكن الحقيقة هي خلوّ كتبهم المقدسة من أية إشارة تجعل لله تعالى ولداً وابناً بالمعنى الحقيقي للولادة والبنوّة، الذي يؤكد عليه المسيحيون...

وكل ما هنالك هو أننا نجد في الكتاب المقدس عبارات كثيرة، تجعل لله تعالى أبناء بالمعنى المجازي للبنوّة، التي تخصص من نُسبت إليهم بفيوضات من الرعايا والمحبة والعناية، تميزهم عن غيرهم من المخلوقات...

فقد ورد في الكتاب المقدس عن بني إسرائيل، أنهم أبناء الله (سفر المزمور ٦:٣)، وأن أبناء شيث هم أبناء الله أيضاً (سفر التكوين ٦:٢).

والأغرب من هذا أننا نرى المسيح - الذي هو بنظر المسيحيين أقنوم الابن الإله، تجسد في جسد بشري - نراه يؤكد لتلامذته أنه وإياهم أبناء اللّه، لا فرق بينه وبينهم في ذلك، فالله أبوه وأبوهم، وهو ابنه وهم أبناؤه، تماماً كما هو إلهه وإلههم، فيقول: «إني صاعد إلى أبي وأبيكم إلهي وإلهكم» (يوحنا ٢٠:٧).

فليس هنالك إذاً للمسيح خاصية تميزه عن باقي المؤمنين، وما تسميته بابن الله إلا كتسمية بني إسرائيل وتلامذة المسيح بأبناء الله...

الكل في هذا المعنى المجازي سواء، على اختلاف بينهم في درجة الأفضلية والمحبة والاصطفاء...

واللافت للنظر هنا ما نجده من اختلاف الطائفة الأرثوذكسية عن الطائفة الكاثوليكية في علاقة الروح القدس بالآب، فبينما تقرر الطائفة الأولى انبثاقه من الآب وحده، نرى الأخيرة تؤكد على انبثاقه من الآب والابن معاً، فأين هو مرجعهم من الكتاب المقدس، الذي يبين لهم حقيقة تلك العلاقة؟؟

أو ليس اختلاف طوائف المسيحيين في هذه المسألة العقدية الأساسية، التي تبنى عليها عقائدهم في التثليث والفداء، أمراً عجباً؟؟

أليس في هذا دعوى عاجلة للمسيحيين، ليعيدوا النظر في هذه العقائد، وعلى ضوء ما يقرؤونه في كتابهم المقدس؟؟

تجسد الابن

كانت مريم العذراء تتعبد في الهيكل، عندما ظهر لها الملاك جبريل، وزفّ إليها بشرى الحمل بيسوع المسيح.

ولكن من هو يسوع المسيح، الذي حملت به مريم حملاً عذراوياً دون أب؟؟.

وكيف تمّ هذا الحمل العجيب؟؟

إنه الابن الإله، الأقنوم الثاني في الثالوث، نزل من السماء وحلّ في جسد بشري، واتحد معه مؤلفاً وإياه شخصاً واحداً وكائناً واحداً هو خلاصة اتحاد الإله بالبشر، وبمعنى آخر اتحاد اللاهوت بالناسوت(١).

وأما معنى كلمة «النزول» بالمفهوم البشري، الذي يقتضي إخلاء من نزل من المكان الذي كان فيه، وانحصاره في المكان الذي نزل فيه، فإن المسيحيين يصرون على أن نزول الابن الإلهي من السماء وحلوله في جسد بشري، إنما هو سرّ إلهي، يختلف عن المعنى البشري...

---

(١) انظر قائمة المراجع المسيحية في الفهرس الملحق بالكتاب.

ففي الوقت الذي نزل فيه الابن من السماء إلى الأرض، فإنه لا يزال أيضاً في السماء...

وفي الوقت الذي كان جالساً في حجر أمه العذراء مريم، كان في الوقت نفسه جالساً على عرشه في السماء.

وباختصار... إنها عقيدة لا يمكن عرضها على العقل، لأنها حسب قولهم، عقيدة تفوق العقل، ولا يمكن للعقل استيعابها، ولذلك فإنه ليس على الإنسان إلا أن يؤمن بهذه العقيدة بقلبه، دون أن يدع لعقله أي مجال في قضية الإيمان..

وبالفعل، تمّ الحمل العجيب حين قبلت مريم ورضخت لمشيئة الرب، عند ذلك، حلّ عليها الأقنوم الثالث الإلهي «الروح القدس» فطهرها من خطيئة آدم، ومنحها قوة استيعاب لاهوت الأقنوم الثاني «الابن»، الذي حلّ بدوره في ذلك الجسد البشري، الذي صنعه له الروح القدس في جسد مريم العذراء، ليصبح اسم يسوع المسيح اسماً لهذا الابن الإلهي المتجسد في جسد بشري، وبعبارة أخرى اسماً لهذا اللاهوت المتحد بالناسوت (البشر).

ذلك الاتحاد الذي يفوق العقل باعترافهم، ولا يمكن إدراكه إلا بالإيمان وحده.

ونتساءل هنا:

١- أيمكن لله تعالى، الذي لا يحده مكان، أن يحلّ في جسد بشري محدود الأبعاد، متحيز في مكان، منحصر في زمان...

ألا يتناقض هذا الحلول مع سموّ الله تعالى وكماله، وتنزهه عن التحيّز والجسمية وطروء الحوادث عليه؟

وكيف يكون الابن الإلهي منحصراً في جسد بشري وجالساً في حضن العذراء، ويكون في الوقت ذاته جالساً على عرشه في السماء؟؟

ألا يدل حلول الله في جسم بشري على حاجة اللّه إلى ذلك الجسم كي يحلّ فيه...؟؟

أو ليس في الحاجة إلى الغير نقص في هذا المحتاج، الأمر الذي يدل على حدوثه، وينفي عنه القدم والأزلية؟؟

أولا يوجب تجسد الابن الإلهي وحلوله في جسد بشري، أن يتغير كل من اللاهوت والناسوت عما كانا عليه قبل الاتحاد...؟؟

وخير مثال على هذا مثال اتحاد النفس البشرية بالجسد البشري...

فإن صفات النفس وصفات الجسد لا تبقيان بعد الاتحاد على ما كانتا عليه قبله...

ذلك أننا نرى الجسد المتحد بالنفس (الروح) تتغير صفاته عن الحالة التي يكون فيها مفارقاً للنفس، فهو قبل نفخ الروح فيه، أو بعد الموت ومفارقة الروح (النفس) للجسد، جسد ميت، ليس به حركة إرادية ولا حياة، فضلاً عن أنه بعد الموت ينحل إلى عناصره الأولية التي كان عليها قبل أن يتكون، وهي من الماء والتراب.

ولكننا نرى هذا الجسد تتغير صفاته وتستحيل عند اتحاده بالروح، فيصير حساساً متحركاً بالإرادة.

وكذلك الحال بالنسبة للروح، حيث نراها بعد اتحادها بالجسد تستحيل وتتغير عما كانت عليه قبل الاتحاد، إذ تصير بالاتحاد ملتذة بملذات الجسد متألمة بآلامه، إذا أكل الجسد وشرب التذّت الروح وشعرت بالسرور، وإذا ما ضرب وصفع وأهين تألمت الروح بذلك أيضاً، وشعرت بالضيق، فضلاً عن أن الروح لا تستطيع دون الجسم أن تزاول الأفعال التي تقتضي مشاركة الأعضاء مشاركة مباشرة، كالإحساس والتخيل والتذكر...

وبالتالي فإن الروح لم تعد باتحادها بالجسد روحاً مجردة، وذلك الجسد لم يعد باتحاده بالروح جسداً مجرداً، بل إنهما أصبحا بالاتحاد جوهراً ثالثاً، يقال له جوهر جزئي مركب، ليس كله روحاً، ولا كله جسماً.

وبناء على هذا كله يمكننا القول: إن اللاهوت والناسوت المتحدين في المسيح، يجب أن يجري أيضاً عليهما التغير والاستحالة عما كانا عليه قبل الاتحاد، فلا تبقى صفات اللاهوت على ما كانت عليه قبل الاتحاد من عدم التحيز والانحصار والتألم واللذة...

ولا تبقى صفات الناسوت على ما كان عليه قبل الاتحاد، من الجهل والعجز...

وبالتالي يصبح لدينا جوهر ثالث ليس إنساناً محضاً ولا إلهاً محضاً.. كائن اجتمعت فيه الإنسانية والألوهية معاً.

٢- والأمر الثاني الأهم من هذا هو خلوّ أناجيلهم الثلاثة، متى ومرقص ولوقا من أية إشارة لهذا التجسد الإلهي، بل والأدهش من هذا أننا نرى هذه الأناجيل تؤكد على بشرية المسيح، وما تستلزمه تلك البشرية من ضعف وعجز...

والوحيد من بين الأناجيل الذي يتعرض لقضية التجسد هو الإنجيل الرابع المنسوب إلى يوحنا تلميذ المسيح (في إصحاحه الأول)...

ولكننا لن نستغرب كثيراً اختلاف هذا الإنجيل عن الأناجيل الثلاثة الأولى، إذا علمنا أن أغلب علماء المسيحيين الدارسين للعهد الجديد، ينفون صحة نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا تلميذ المسيح (أحد التلاميذ الاثني عشر)، ويرجعون تأريخ تأليف هذا الإنجيل إلى وقت متأخر يرجع إلى ١٠٠م على الأقل...

ومع أن إنجيل يوحنا تعرض لتجسد الابن الإلهي «الكلمة»، إلا أن كيفية هذا التجسد، وتفصيلاته، تبقى مبهمة حتى في هذا الإنجيل...

وعلينا أن نرجع إلى رسائل بولس الرسول، لنرى تفصيلات هذه العقيدة بشكل أوسع وأشمل..

ومع هذا فإن وجود هذه العقيدة في رسائل بولس، لا تبرّر للمسيحيين صحة هذ العقيدة أبداً، ذلك أن بولس، كما سنرى في بحث خاص، لم يرَ المسيح ولم يسمع منه ولا من تلاميذه، وهو الذي حرّف المسيحية عن مسارها الأصلي، وما زالت تتبلور وتتطور من بعده، حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم.

وقف يرقب القبر بعينين باكيتين حزينتين، كان قلبه الذي لم يعرف إلا الحب يفيض بمشاعر الأسى لفراق صديقه الحبيب لعازر، وكان منظر مرثا ومريم أختي لعازر، وهما ترنوان إلى القبر بحزن بالغ، يزيد من ألمه وشجوه، لم يتمالك نفسه أمام قبر صديقه الذي أحب، فرفع يديه إلى السماء متضرعاً، وغاب بفكره وقلبه في عالم لم يكن أحد غيره ليعلم عنه شيئاً، إنه عالم فريد من نوعه، عالم يتصل فيه الحاضر بالماضي والمستقبل، والمحدود بالمطلق، والضعف بالقوة.

وما هي إلا برهة من الزمن، حتى استرجع أنفاسه، ثم صوّب نظره إلى الجموع المحتشدة، وهو يتمتم بخشوع قائلاً: «ارفعوا الحجر عن لعازر».

وعقدت الدهشة لسان الجميع، إذ مع ما عرف عنه من قبل من معجزات كثيرة، كشفاء المرضى وتكثير الطعام وإحياء الموتى[1]، فإن إحياء لعازر أمر مختلف تماماً، ذلك أن هذا الميت أمضى في قبره أربعة أيام، فتفسخ وفسد، وانطلقت مرثا أخت لعازر تقول له، وقد تملكتها الحيرة والاستغراب: «يا سيد قد أنتن، لأن له أربعة أيام» (يوحنا ١١:٣٩).

ولكن يسوع المسيح، الذي كان يستمد قوته من الله تعالى، ويعلم حق العلم أنه مساند من قبله، راح يقول للميت وبصوت وجفت له القلوب: «لعازر هلمّ خارجاً». (يوحنا ١١:٤٣).

وما هي إلا لحظات، حتى قام الميت من قبره، ويداه ورجلان مربوطتان، ووجهه ملفوف بالمناديل، كان منظراً مريعاً، خشعت له القلوب، واستسلمت له الجوارح.

---

(١) ورد في الإنجيل إحياء المسيح لثلاثة من الأموات فقط، من بينهم لعازر المذكور.

وأقبل يسوع على لعازر معانقاً مقبّلاً، ولم ينسَ في خضم هذه اللحظات المهيبة، أن يتوجه إلى الله شاكراً، وهو يقول: «أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي». (يوحنا ١١:٤١).

أو ليس هو الله الذي القدير الحكيم أمدّ يسوع بالقوة والقدرة على إحياء لعازر من بين الأموات...!! أو ليس هو الله الخالق الرازق المحيي المميت، أو ليس هذا كافياً بالنسبة ليسوع المسيح ليتوجه إليه وحده بالحمد والشكر والضراعة.

لقد كان هذا الحدث الجلل نقطة تحول في حياة الكثيرين من بني إسرائيل، الذين ما إن رأوا هذه المعجزات تجري على يد المسيح، حتى أسرعوا إلى الإيمان به وبرسالته، التي ما فتئ المسيح يؤكد في كل زمان ومكان على أنها متممة لرسالة موسى ومكملة، لا ناقضة مهدّمة: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس (الشريعة) والأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل...» (متى ٥:١٧).

ولم يكن المسيح في هذا بدعاً عن غيره من أنبياء الله ورسله، الذين أمدهم الله بمعجزات تتناسب مع الأشخاص الذين أرسلوا إليهم والزمان الذي بعثوا فيه، بل إننا لنرى بعض أنبياء العهد القديم يقيمون الأموات من قبورهم، كإيلياء واليشع (٣ملوك ١٧: ٢١-٢٢ و٢ ملوك ٤: ٨-٣٧)، وليس غريباً بعد هذا كله، أن نستنتج من هذه المعجزات المكانة العالية التي تبوأها المسيح عليه السلام لدى الله عزّ وجلّ، كما تبوأها من قبله من الرسل، ولكن الغريب في هذا أن يستنتج بعض المسيحيين ـ فيما بعد ـ من هذه المعجزات، أن المسيح لم يكن إلا إلهاً حلّ في جسد بشري، دون غيره من الرسل والأنبياء الذي جرت على أيديهم مثل هذه المعجزات.

والأغرب من هذا كله محاولة التمييز بين معجزات المسيح ومعجزات غيره من الأنبياء، بحيث تكون معجزات المسيح وحدها أمراً نابعاً من كيانه الذاتي وقوته الداخلية، يفعلها بدون أن يتلقى أية قوة خارجية، ودون أي ابتهال أو

صلاة أو دعاء[1]، الأمر الذي يستنتجون منه ألوهية المسيح، بينما تجري المعجزات على يد غيره من الأنبياء بمدد ومعونة من الله تعالى.

ولكن أين هذا مما ثبت في الأناجيل من تضرع المسيح وابتهاله إلى الله، ثم شكره إيّاه على مساندته ومعونته، فها هو يناجي ربه حين استجاب له في إحياء لعازر، فيقول شاكراً: «يا أبت أشكرك لأنك سمعت لي» (يوحنا ١١:٤٩)، ثم نراه بعد يقول لتلامذته: «الحق الحق أقول لكم إن الابن لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما يرى الآب يعمله» (يوحنا ٥:١٩).؟!

ويقول أيضاً: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً، كما أسمع أدين، ودينونتي عادلة، لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني» (يوحنا ٥:٣٠).

الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أن يسوع لا يفعل المعجزات بسلطانه وقدرته، بل بسلطان وقدرة يستمدهما من الله تعالى، وهذا ما تؤكد عليه الأناجيل حين تصف عجز المسيح عن فعل جميع المعجزات، وتنسب إليه القليل منها فقط، «ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة غير أنه وضع يديه على مرضى قليلين فشفاهم». (مرقس ٦:٥).

ولكأن المسيح عليه السلام استشفّ بروحانيته ما سيطلقه عليه أتباعه في المستقبل من تعظيم يصل إلى درجة التأليه، فنراه يؤكد على بشريته في مواطن كثيرة من الإنجيل، منها ردّه على الشخص الذي دعاه بالمعلم الصالح: «لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله». (متى ١٩:١٦، ١٧)، ومنها تأكيده على أن الآب الإله أعظم منه «أبي أعظم مني» (يوحنا ١٤:٢٨)، ويأتي نفيه عن نفسه معرفة الوقت الذي تقوم فيه القيامة، ليكون دليلاً قاطعاً

---

(١) الأنبا غريغوريوس: أنت المسيح ابن الله الحي ٥٨/١.

كوستي بندلي: مدخل إلى العقيدة المسيحية ص١٠٦، ١٠٧.

عوض سمعان: فلسفة الغفران ١٤٣/١، ١٤٤.

وحاسماً على بشرية المسيح، إذ يستحيل على الإله أن يجهل الوقت الذي تقوم فيه الساعة، وذلك حين يقول: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلمها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب». (مرقص ١٣:٣٢).

أما استعراض الأناجيل لقضية صلب المسيح فهي من الأدلة الهامة، التي تؤكد على بشرية المسيح، وتنفي عنه كل ما ألصق به فيما بعد من ألوهية وبنوة لله، حيث تصور لنا الأناجيل المسيح في صورة البشر، الذي يعتريه ما يعتري البشر من خوف وجزع ويأس، ومن هذا جزع المسيح وهو على الصليب، ثم تضرعه إلى الله أن ينجيه من الصليب قائلاً: «يا أبت إن كان يستطاع فلتعبر عني هذه الكأس، لكن ليس كمشيئتي بل كمشيئتك» (متى ٢٦:٣٩).

هذا الجزع الذي استبدّ بالمسيح، واستولى على مجامعه، حين لم تفد تلك الصلوات والابتهالات في الحيلولة دون القدر المحتوم، فنراه، حسب وصف الأناجيل، يخاطب ربه وهو على الصليب قائلاً: «إيلي إيلي لما شبقتني، أي إلهي إلهي لماذا تركتني». (متى ٢٧:٤٦، مرقس ١٥:٣٤).

وتأتي بعد ذلك كله، تلك الألقاب البشرية التي أطلقت على المسيح، حسبما أوردته الأناجيل، لتؤكد على أنه إنسان بشر، نبي مرسل، لا أكثر من هذا ولا أقل.

من هذا قوله: «لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس بل ليخلص» (لوقا: ٩:٥٦)، وقوله: «أنتم تدعونني معلماً وسيداً، حسناً تقولون لأني أنا كذلك» (يوحنا ١٣:١٣).

وأخيراً يأتي قوله عليه السلام: «هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي، ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يوحنا ١٧:٣) ليتوّج بشرية المسيح، ويثبت رسالته العيسوية، نبياً مرسلاً من قبل الله تعالى، لهداية خراف بني إسرائيل الضالة.

وأمام كل هذه الآيات الكثيرة الواردة في الأناجيل، والتي تؤكد بشرية المسيح عليه السلام، لا يمكننا أن نغضّ الطرف عن آيات أخرى، وردت في الأناجيل، قد يدل ظاهرها على ألوهية المسيح، كقول المسيح: «إني في الآب والآب فيّ» (يوحنا ١٤: ٢٠)، وألقاب أطلقت على المسيح، تدل بظاهرها على ألوهيته، كتسمية المسيح بابن الله والسيد والرب والإله، الأمر الذي يستدعينا لأن نقف وقفة دراسة للموضوع بشكل أعمق وأشمل.

والملفت للنظر هنا هو إقرارعلماء المسيحيين عموماً، وعلماء اللاهوت على وجه الخصوص(١)، بأن المسيح لم يعلن ألوهيته لتلامذته أثناء حياته على الأرض، فكان تلامذته يرون فيه بشراً نبياً مرسلاً من الله تعالى، وأن القول بألوهية المسيح قد بدأ ينمو في قلوب التلاميذ وعقولهم شيئاً فشيئاً، بدءاً من قيامته من الأموات في اليوم الثالث من دفنه، حتى اختمر نوعاً ما يوم صعوده إلى السماء في يوم الأربعين من قيامته، ليتضح نهائياً وترتسم معالمه الأخيرة يوم الخمسين من قيامه المسيح، حين حلّ الروح القدس(٢) على التلاميذ، فألهمهم وأرشدهم، وعلمهم

---

(١) سليم بسترس: اللاهوت المسيح ١٣٢/١، ١٣٣. عوض سمعان: فلسفة الغفران ١٤٣/١. د. منير خوام: المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية ص٤٠٩، د. حنا الخضري: تاريخ الفكر المسيحي ١٢٧/١، ١٣٢، ٢١٠، ٢٧٥، ٣٠٥، ٣٨٠، ٣٨٤.

(٢) يعتقد المسيحيون الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت، بأن الله جوهر واحد وثلاثة أقانيم، هي الآب والابن والروح القدس، وأن أقنوم الابن الإلهي قد نزل إلى الدينا، واتخذ له جسداً بشرياً حلّ فيه واتّحد به، وسمي بيسوع المسيح، أما أقنوم الروح القدس فهو أقنوم إلهي يحلّ على المؤمنين بالمسيح يعلمهم ويرشدهم ويلهمهم، والروح القدس عند المسيحيين يختلف عن الروح القدس لدى المسلمين الذي هو بدوره أحد الملائكة، الملقب بجبريل، سفير الله إلى رسله وأنبيائه، أما عند المسيحيين فإن جبريل الملاك لا يسمى بالروح القدس. انظر في هذا ميخائيل مينا: علم اللاهوت ١٨٥/١، ٢٠٨، ٢٠٩. الدمشقي: المئة مقالة ٨:٨ وما بعدها. كوستي بندلي: مدخل إلى العقيدة المسيحية ص٢١٢ وما بعدها. تيموثي وير: الكنيسة الأرثوذكسية إيمان وعقيدة ص٣٥، ٣٦.

بكل ما لم يعلمهم به المسيح، وخصوصاً ألوهية المسيح، التي حاول المسيح جاهداً أن يخفيها[1].

وفي هذا يقول اللاهوتي عوض سمعان: «المسيح لم يفرض على الناس الاعتقاد بأنه ابن الله، بل تركهم يستنتجون الحقيقة من تلقاء أنفسهم»[2].

ويقول اللاهوتي سليم بسترس: «لقد كانت قيامة المسيح نقطة انطلاق لإيمان الرسل إيماناً كاملاً ثابتاً بأن يسوع هو ابن الله الحي»[3].

وأمام كل هذه الاعترافات الصريحة من علماء المسيحيين ولاهوتييهم، التي تصرح بأن المسيح لم يعلن ألوهيته يوماً من الأيام، يحق لنا أن نتساءل هنا عن مدى إمكانية نسب عقيدة وتعاليم جديدة للمسيح، هو نفسه لم يدعُ إليها، ولم يُشر لها من قريب أو بعيد، وهل من المنطقي أن نهمل تعاليم المسيح أثناء حياته على الأرض، لنتبع تعاليماً منبعها الإلهام الداخلي (الروح القدس الذي يحل في المؤمنين)، والذي لا نستطيع الجزم بحقيقة حصوله، ومدى صحته؟؟

---

(١) ويعلل المسيحيون إخفاء المسيح للاهوته بأن الهدف منه إتمام تدبير الخلاص، وذلك أن الابن الإلهي الأقنوم الثاني، لم يتجسد في جسد بشري إلا لينقذ الإنسانية قاطبة من خطيئة آدم، وهي أكله من الشجرة المحرمة، التي استوجبت طرده من الجنة، وحلول عقوبة الله عليه وعلى ذريته جميعاً، وأنه لم يكن هناك من كيفية للخلاص من هذه الخطيئة وما استلزمته من نتائج جسيمة على البشرية إلا بنزول ابن الله من عليائه وحلوله في جسد بشري، ومن ثم صلبه بجسده البشري، ليدفع ثمن خطايا البشرية، وبذلك فإن إعلان المسيح لألوهيته قد يكون فيه إفشال لعملية الخلاص تلك، إذ لو علم الشيطان بهذا التخطيط الإلهي لما ساعد على خلاص الناس بتحقيق صلب المسيح وموته، بل لكان هذا حاثاً له على إفشال عملية الصلب تلك. المراجع السابقة وانظر بحث عقيدة الفداء ص ١٢٤ من هذا الكتاب.

(٢) عوض سمعان: فلسفة الغفران في المسيحية ١/١٤٣.

(٣) سليم بسترس: اللاهوت المسيحي المعاصر ١/١٣٢.

وأين هو الروح القدس، الذي ألهم التلاميذ، وعلّمهم تعاليماً معصومة ملهمة، أين هو حين اختلف التلاميذ حول أمور كثيرة جداً، منها اختلافهم حول بولس الرسول وتعاليمه، واختلافهم حول السبت والختان[1]، ولماذا لا نرى دوره التعليمي بارزاً في هذا المجال، بحيث ينتفي بينهم الخلاف، ما دام الكل يستقي من نفس المعين المعصوم...؟؟

وأين هو عندما اختلف التلاميذ حول مجيء المسيح الثاني، الذي سيتزامن مع قيام الساعة، حيث كان كثير من التلاميذ كمتّى وبولس يعتقدون أن تلك النهاية للعالم قريبة جداً، وأنهم سوف يعيشون ليشهدوا هذه القيامة[2]؟.

ونعود إلى الأناجيل التي تطلق على المسيح ألقاباً قد يدل ظاهرها على ألوهيته، كألفاظ ابن الله والسيد والرب والإله، تلك الألفاظ التي استند إليها المسيحيون في تأليههم للمسيح، لنجد أن استخدام هذه الألفاظ بمعناها المجازي أمر شائع في بني إسرائيل، إذ أن العهد القديم استخدم هذه الألفاظ، وأطلقها على أناس من البشر، دون أن يدل هذا على ألوهيتهم، فالآية الواردة في الإنجيل (على سبيل المثال لا الحصر)، في وصف مرثا أخت لعازر للمسيح بقولها: «إنني أؤمن بأنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم» (يوحنا ١١:٢٧).

---

(١) لم يكن تلاميذ المسيح على وفاق مع بولس الرسول، الذي كان يهودياً من أعدى أعداء المسيحية، ثم تحوّل إلى المسيحية فجأة، وذلك بعد صعود المسيح إلى السماء بسنوات، وأخذ يدّعي أنه رسول تسلّم إنجيله من المسيح مباشرة، وراح يستجلب الأمم الوثنية عن طريق إلغاء شريعة موسى التي يصعب عليهم اتباعها، خاصة شريعة الختان، وحرمة العمل يوم السبت، مخالفاً في هذا ما أكد عليه المسيح طلية حياته على الأرض «ما جئت لأنقض الناموس بل لأكمل» (متى ٥:١٧)، الأمر الذي أدّى إلى حدوث شجار ونزاع بينه وبين تلاميذ المسيح. (انظر رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢: ٢-١٤).

(٢) جوزيف هولزنز: بولس الرسول ص٢٤٥.

وقول توما للمسيح: «ربي وإلهي» (يوحنا ٢٠:٢٨)، يقابلها آيات كثيرة من العهد القديم، نقتبس منها ما ذكر عن أبناء شيث أنهم أبناء الله (سفر التكوين ٦:٢)، وكما أطلق على بني إسرائيل أيضاً أنهم أبناء الله (سفر المزمور ٢:٧).

ونرى موسى يخاطبه ربه بقوله: «أنا جعلتك إلهاً لفرعون» (سفر الخروج ٧:١)، كما يخاطب عباده قائلاً: «أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلي كلكم» (سفر المزمور ٨٢:٦).

أجل لقد أطلقت هذه الألفاظ على أنبياء بني إسرائيل وعلى المسيح وغيرهم بمعناها المجازي وليس الحقيقي، ذلك المعنى الذي يفيد الرفعة والسمو والقرب من الله، ولكنه لا يفيد بحال من الأحوال ألوهية من وصف بها ونسبت إليه[1].

ويأتي قول المسيح عليه السلام لتلامذته: «إني صاعد إلى أبيك وأبيكم إلهي وإلهكم» (يوحنا ٢٠:١٧) ليكون القاعدة المتينة، والمستند الراسخ في هذا المجال، فالمسيح والمؤمنون سواسية، كلهم أبناء للآب، يرعاهم بعنايته، ويكلؤهم بمحبته، ويحوطهم برحمته، وليس للمسيح ما يميزه عنهم في شيء، سوى أنه رسول مصطفى من قبل الله إلى البشرية، يبلغهم شرع ربهم، فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

مع ما قد يلاقيه المرء من صعوبة التجرد من العواطف والأهواء في ميدان الأمور الدينية، التي تشربتها النفس منذ الصغر، حتى باتت جزءاً لا يتجزأ من كيانها، وأصبح تغيير المألوف أشد من ضرب السيوف، مع هذا كله فإننا نجد من العلماء الغربيين من خاضوا هذا الميدان، وأعملوا مبضع التشريح في عقيدتهم التي شبّوا عليها، بعد بحث عقلاني، وتفكير حرّ، وخرجوا بآراء عدة تلقي بكثير من الشك والتساؤلات حول عقيدة ألوهية المسيح.

---

(١) أما آية: «إني في الآب والآب فيّ» فإن المراد بها وحدة المحبة والصلة، وليس فيها ما يفيد ألوهية المسيح، وإلا لاقتضى هذا أن يكون جميع الحواريين آلهة أيضاً، حيث خاطبهم المسيح بقوله: «في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم» (يوحنا ١٤:٢١).

من هذا ما يذكر عن انعقاد مؤتمر لرجال الدين المسيحي في كمبردج /سنة ١٩١٧م/ برئاسة الأستاذ برسي جاردنر (Prof. Percy Gardner)، وكان موضوع المناقشة، حول تأسيس المسيح للكنيسة، وكان من بين خطباء المؤتمر نائب أسقف يسمى «أنج» (Dean Inge)، الذي أعلن أن المسيح لم يكن سوى بشر نبي، وأنه لم يحاول قط أن ينشر نظاماً داخل الكهنوت اليهودي، وقد حاز هذا الرأي على موافقة جميع المؤتمرين، ما عدا كبير الشمامسة (Ford)، كما حاز هذا الرأي على موافقة بعض رجال الدين أمثال ج.ر.ولكنسن (J.R. Wilkinson)، وس.و.أمت (C.W.Emmet)، ول. باترسون (L.Patterson)، وهـ.أ. ميجر (H.A.Major)[1].

وننتقل إلى أكسفورد (في بريطانيا)، لنرى اجتماعاً آخر يعقد فيها عام /١٩٢١م/، يضم عدداً من رجال الدين في أكسفورد، وقد أعلن رئيس هذا الاجتماع د. راشدال (Dr. Rashdall) أسقف مدينة كارليل، عن أن قراءته الكتاب المقدس جعلته يعتقد بأن المسيح هو إنسان بشر بكل ما تحويه الكلمة من معانٍ، تنفي عنه أية صفة من صفات الألوهية[2].

ويأتي عام /١٩٧٧م/ ليحمل في طياته صدور كتاب لسبعة من رجال الدين في أوروبا، اشتركوا في تأليفه، يعلنون فيه بشرية المسيح عليه السلام، وينكرون ألوهيته.

وقد علقت مجلة (الأوبزيرفر) الإنكليزية على هذا الحدث الهام، في مقال تحت عنوان «رجال الكنيسة يشككون في ألوهية المسيح». وذلك في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ يونيه ١٩٧٧م.

---

(١) د.محمد جابر عبد العال: في العقائد والأديان ص٢٤٨.

(٢) المرجع نفسه ص٢٤٩، ٢٥٠ ود. محمد فؤاد الهاشمي: حوار بين مسيحي ومسلم ٢١٦-٢٢٠.

وقد ورد في مطلع هذا المقال ما يلي: «سبعة من كبار رجال الدين في إنجلترا، أعلنوا أنهم يرفضون ألوهية المسيح، وذلك في كتاب صدر لهم حديثاً في لندن، وكان في طليعة هؤلاء العلماء، القس موريس ويلز، رئيس لجنة المعتقدات في كنيسة إنجلترا، وأستاذ الإلهيات في جامعة أكسفورد»[١].

وقد عقب ناشر المقال على هذا بقوله: «سيكون لهذا الكتاب ضجة في الأوساط الدينية، لأنه يتبنى الرأي العام للعلماء غير المسيحيين، القائل بأن السيد المسيح، لم يتخذ لنفسه طابع الألوهية، وإنما جعل إلهاً فيما بعد، بتأثيرات وثنية في أوائل القرون الأولى للمسيحية»[٢].

والجدير بالذكر أن هذا الكتاب قد ترجم إلى العربية، وطبع عام ١٩٨٨م، تحت عنوان «أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح».

---

(١) محمد عزت الطهطاوي: الميزان في مقارنة الأديان ص٣٢٤.

(٢) المرجع نفسه ص٣٢٤.

عقيدة الفداء

يحتل مفهوم عقيدة الفداء الصدارة في عقائد المسيحيين، فهو السبب الرئيس لتجسد الابن الإلهي، بمعنى نزوله من السماء وحلوله في جسد بشري، يدعى يسوع المسيح، ومن ثمّ صلبه وموته ودفنه، ثم قيامته من الأموات، وصعوده إلى السماء بجسده البشري، بعد أربعين يوماً من قيامته، وجلوسه عن يمين الآب بهذا الجسد البشري.

حقاً، إنها لعقيدة غريبة، تدعو للعجب والتساؤل..

ما معنى الفداء؟؟، ومن أي شيء يكون الفداء؟؟

وأيّ فداء هذا الذي يستدعي موت الابن الإلهي ودفنه؟؟

وهل أخبر المسيح عن عقيدة الفداء هذه؟؟

وهل يمكن للعقل أن يستوعب عقيدة الفداء ويهضمها؟؟

أسئلة كثيرة، لا بد لنا للإجابة عنها من أن نستعرض عقيدة المسيحيين في هذا ومن خلال كتبهم ومراجعهم المعتمدة[1].

خلق آدم:

وتبدأ القصة في كتب المسيحيين من الوقت الذي خلق الله منه آدم على صورته قائلاً: «لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا» (تكوين ١:٢٦).

هذه الصورة التي أورثت الإنسان الخلود والإرادة والحرية، في الوقت الذي كان فيه سيخلق فانياً بمقتضى طبيعته المخلوقة من عدم، لأن من خلق من عدم فمآله إلى عدم، إلا أن خلقه على صورة الله قد أنجاه من الموت، وجعله خالداً لا يطرأ إليه موت ولا فساد.

(١) انظر قائمة المراجع المسيحية في الفهرس الملحق بالكتاب.

وهو فوق هذا كله، أعطي بسبب خلقه على صورة اللّه، ميزة الاتحـاد بـا لله وإقامة الشركة معه.

وكـان آدم وزوجتـه حـواء يعيشـان في جنـة عـدن الأرضيـة (الفـردوس)[1] خالدين منعّمين، بسبب خلقهما على صورة ا لله.

وأباح ا لله لآدم وزوجته كل شيء في هذه الجنة، إلا شـجرة واحـدة تدعـى شجرة معرفة الخير والشر، وهدّدهما إن أكلا منها أن يطردا من جنة عدن، ويبقيا في الموت والفساد «يوم تأكل منها تموت موتاً» (تكوين ٢: ١٧).

خطيئة آدم:

ولكن آدم وحواء اختارا الرفض، فاسـتجابا لوسوسـة الشـيطان وأكـلا مـن الشجرة، وهدف آدم من هذا أن يستقل عن ا لله، ويغتصب منه الألوهية اغتصاباً، معتقداً أن معرفته للخير والشر ستجعله إلهاً.

نتائج خطيئة آدم:

ولكن على عكس ما توقعه آدم، فقد جلبت عليه خطيئته إثماً عظيماً ونتـائج وخيمة، ومن أهم هذه النتائج:

١ـ الطرد من الفردوس.

٢ـ تشوّه الصورة الإلهية التي خلق عليها الإنسان، وكان من نتائج هذا التشوه:

آ ـ الموت الروحي: وهو الانفصال عن ا لله، وعدم إمكانية الاتحاد معه.

ب ـ الموت الجسدي: وهـو مفارقـة الـروح للجسـد، إلا أن هـذا المـوت لم يتحقق لحظة الخطيئة، وإلا فإن البشرية كانت سـتؤول إلى الفنـاء والـزوال، الأمـر

---

(١) الفردوس لدى المسيحيين هو قصر ملكيّ للإنسان في جنة عدن، وهي موجودة في المشرق، أعلى مكان في الأرض كلها، وهو غير الفردوس الكائن في السماء الثالثة، المعدّ للمؤمنين بعـد موتهـم، وقبل القيامة العامة، أما بعد القيامة فإن المؤمنين يحشرون في الملكوت «سماء السموات».

الذي سيجعل الشيطان منتصراً في المعركة، وعندها لن يكن هناك مجال للخلاص أبداً، ولذلك أجّل الله هذا الموت إلى حين، ريثما تلد حواء بنين وتربيهم.

وراثة البشرية لخطيئة آدم:

والمصيبة الكبرى في خطيئة آدم أنها لم تقتصر عليه وحده، ولكنها انتقلت إلى ذريته كلها بحكم الوراثة (الوراثة من الأب لا من الأم)، فأصبحت ذريته كلها مخطئة بسبب خطأ أبيها آدم، وبالتالي انتقلت إليها جميع العقوبات التي حلت بآدم من طرد من الفردوس وتسلط للموت، فلو ثبت آدم على الطاعة لثبت الجميع ولحسبوا طائعين بطاعته، ونالوا الحياة الأبدية في فردوس عدن، ولكن خطأه قد قلب الموازين رأساً على عقب، فجرّ على نفسه وعلى ذريته جميعها غضب الله وسخطه وعقوبته.

الأبرار والأشرار يحشرون في الجحيم مملكة الشيطان:

وبناء على هذا فإن الأبرار والأشرار يحشرون بعد موتهم في مملكة الشيطان المسماة بالجحيم، لأن أباهم آدم اختار الاستجابة للشيطان، فعصى الله وأكل من الشجرة، وهو بهذا قد اختار أيضاً لذريته جميعها أن يكونوا عبيداً للشيطان والخطيئة.

ولكن...، ألم يشعر آدم بالندم أو بما يسمى بوخز الضمير؟؟ ألم يلجأ إلى ربه بالتضرع والتوبة؟؟

توبة آدم:

الجواب على هذا لدى المسيحيين، بلى...

بلى لقد تاب آدم من ذنبه، ولكن توبته تلك لا يمكن لها أن تنقذه من تلك الخطيئة ونتائجها للسببين التاليين:

١- لا يمكن لهذه التوبة أن تفي بمطلب الله العادل، ذلك المطلب الذي هدّد به آدم «يوم تأكل منها تموت موتاً»، وبالتالي فإن حكم الله لا يمكن أن يتراجع

عنه، وإلا فإنه سيكون غير صادق إذا لم يظل الإنسان في قبضة الموت الـذي حكم به.

٢ـ تعجز هذه التوبة عن تغيير طبيعة الإنسان التي تشوّهت صورة الله فيها بسبب الخطيئة، فصارت ميتة روحاً وجسداً، بل إن كل ما تفعله التوبة هو وقوفها حائلاً بين الإنسان وبين ارتكاب الخطيئة مجدداً.

وأمام هذه العوائق التي تقف في وجه قبول الله لتوبة آدم، كان لا بدّ من حلّ يمكّن الإنسان من الخلاص، دون أن يمسّ العدالة الإلهية والصدق الإلهي، ويتفق في الوقت نفسه مع رحمة الله ورأفته.

الخلاص من الخطيئة بتجسد الابن الإلهي وصلبه:

وكان الحلّ العجيب بنزول ابن الله من عليائه واتخاذه جسداً بشرياً، يسمى «يسوع المسيح»، استطاع عن طريقه أن يشفي الطبيعة البشرية الساقطة حين حلّ فيها، كما استطاع دفع ثمن خطايا البشر جميعهم حين فداهم بنفسه ومات على الصليب بالجسد البشري الذي اتخذه، فأوفى بذلك مطالب الآب العادل، الذي حكم على آدم وذريته بالموت.

والأهم من هذا كله أن المسيح الإله والإنسان معاً، نزل إلى الجحيم بجسده البشري الذي اتخذه، في الوقت الذي كان فيه مدفوناً تحت التراب، وخلص أبرار العهد القديم من مملكة الشيطان وعبودية الخطيئة، ثم قام في اليوم الثالث من القبر، ليصعد بعد أربعين يوماً من قيامته إلى السماء، ويجلس عن يمين الآب بجسده الذي صلب به ودفن ثم قام به...

وبذلك استحق المسيح لدى المسيحيين أن يسمى بالفادي والمخلّص، لأنه خلّص البشرية من الشيطان وعبوديته، ومن خطيئة آدم ونتائجها، ومن الموت الأبدي وسلطانه.

وبالتالي فإن الإنسان أصبح يموت بعد مجيء المسيح المخلّص الفادي على أمل الرجاء والقيامة، اللذين سيحصلان يوم القيامة العامة، حين يأتي المسيح في مجيئه الثاني، فيقوم الناس جميعهم من بين الأموات، وعندها يحشر المؤمنون في سماء السموات ونعيمها، والأشرار في جهنم وسعيرها.

ولهذا فإن المسيحيون يحتفلون في عيد الفصح (١٣-١٥ نيسان) من كل عام بموت المسيح وصلبه وقيامته، وألسنتهم تلهج بالحمد وبالثناء للإله الرحيم الذي افتدى البشرية بابنه الحبيب، وللرب العظيم يسوع المسيح الذي تحمّل ما تحمّل في سبيل خلاصهم وفدائهم.

ومع شعور أغلب المسيحيين بالاغتباط والفرحة في هذا اليوم المجيد، ورغم استسلامهم لهذا الفداء، الذي لا يفتأ كهنة المسيحيين يؤكدون على أنه سر من الأسرار، لا يسعه إلا الإيمان، ولا يمكن للعقل أن يدركه ولا أن يفهمه.

ومع هذا فإننا نجد إلى جانب هذا الجموع الكثيرة المستسلمة لسر الفداء بقلوبها وعواطفها جموعاً أخرى، ولكنها قليلة على كل حال، لم تستطع أن تغضّ الطرف عن رؤية الكثير من المثالب والثغرات، و لم تتقبل إلغاء عقولها عن وزن هذه العقيدة بميزانها...

مناقشة عقيدة الفداء في ضوء العقل وميزانه

هذه الفئة كانت تتلعثم في طريقها تائهة حيرى تتلمس طريق الرشاد والصواب.

إذ كيف لها أن تتقبل تحجيم عقولها في الوقت الذي جعل الله العقل لها مكرمة، تتميز به عن غيرها من المخلوقات من جماد وحيوان!!!

وأنّى لها أن تسلّم بأن الله تعالى يخاطب عباده بما يتناقض مع عقولهم التي ميّزهم بها عن باقي المخلوقات، والتي جعلها العمدة في التكليف والاستخلاف!!

هذه الأمور وأمور كثيرة أخرى كانت تنغّص على هذه الفئة فرحتها بعيد الفصح، عيد الفداء والخلاص... نذكر منها:

١ـ خلود الإنسان قبل الخطيئة:

يستند هذا القول لدى المسيحيين إلى مرتكزين اثنين:

أ ـ خلق الإنسان على صورة ا لله.

ب ـ تهديد ا لله آدم وتوعده بالموت إن أكل من الشجرة «يوم تأكل منها تموت موتاً» (تكوين ٢:١٨)، وذلك حسب قولهم يقتضي خلود الإنسان قبل الخطيئة، وإلا فكيف يهدده ا لله بما هو كائن..

ونعود إلى الدليل الذي يستدلون به على خلود الإنسان، وهو خلقه على صورة ا لله، «لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا» (تكوين ١:٢٦) لنجد هذا الدليل لا يدل من قريب ولا من بعيد على أن الإنسان خلق خالداً كما هو ا لله خالد.

وهذا ما يقرّ به بعض اللاهوتيين المسيحيين، حين يؤكدون على أن نظرية خلق الإنسان على الصورة الإلهية بمعنى خلوده نظرية غريبة عن الوحي تماماً[1].

ويبقى كل ما تفيده هذه الآية منحصراً في تزويد الإنسان بصفات يسيرة جداً من بعض صفات ا لله كالإرادة والقدرة والعلم والإدراك، وهي في الواقع لا تشابه صفات ا لله إلا في التسمية فقط، أما حقيقتها فشتان بين علم ا لله وعلم الإنسان وقدرة ا لله وقدرة الإنسان...!!

وتزويد الإنسان بهذه الفيوضات اليسيرة من صفات ا لله أمر يقتضيه خلق الإنسان ليكون خليفة ا لله على أرضه، ليتسنّى له أن يسخّر لنفسه جميع مظاهر الكون التي حوله ويفيد منها.

---

(١) لم يخلق الإنسان في الإسلام على صورة ا لله، حسب المعنى المسيحي لهذه العبارة، والذي يقتضي خلود الإنسان وكونه خيراً خالصاً لا يعرف الشر، أما ما ذكر عن النبي ﷺ من أنه قال: «خلق ا لله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً في السماء» (أخرجه البخاري). فليس المراد به أن الإنسان مخلوق على صورة ا لله، بل الضمير في قوله «صورته» يعود إلى آدم لا إلى ا لله تعالى... والمعنى المراد: هو أن ا لله تعالى أوجد آدم على الهيئة التي خلقه عليها، منذ أن خلقه وطوله ستون ذراعاً في السماء.

أما السرمدية (الخلود) والأزلية فهي لا ريب صفات خاصة با لله وحده، ولا يمكن للإنسان أن يتمتع بأي من هذه الصفات...

وهذا ما ذكره أشعياء في العهد القديم على لسان ا لله تعالى: «أنا الأول والآخر، لا إله غيري» (أشعياء ٤٤:٦).

وهذا ما يذكره القرآن الكريم أيضاً: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

وهل يعقل لآدم الخلود وهو مخلوق من العدم ومآل العدم إلى عدم؟؟ هذا فضلاً عن أن مقتضى دليلهم «يوم تأكل منها تموت موتاً»، أن يموت آدم عقب الخطيئة مباشرة، ولكن هذا لم يحدث، فهناك وقت بقي فيه آدم وحواء على قيد الحياة بعد الخطيئة، مكّنهما من إنجاب البنين والبنات، وبناء على هذا فإن معنى هذا الموت الذي هددهما ا لله به إن أكلا من الخطيئة، يجب أن يكون شيئاً آخر غير الموت الجسدي، وليس هناك أفضل من الموت الروحي عقوبة يتوعد ا لله به آدم وزوجه إن أكلا من الشجرة، هذا الموت الذي يستلزم غضب ا لله وانقطاع صلة المحبة والقرب والرضى، وهو بالطبع موت مؤقت يزول بالتوبة والندم والإنابة إلى ا لله.

وتفسير الموت في قوله: «يوم تأكل منها تموت موتاً» بالموت الروحي، هو ما يرجحه اللاهوتي «يحيى التكريتي»، أحد علماء المسيحيين القدامى، الأمر الذي يؤكد على أن القول بخلود آدم قبل الخطيئة لا دليل عليه أبداً.

مناقشة توبة آدم

٢ـ أما الأمر الثاني الذي يقف عنده كثير ممن يعملون عقولهم، هو مسألة توبة آدم والموانع التي تقف حاجزاً بين آدم وبين إنقاذ هذه التوبة لآدم وذريته،...

إذ يا لها من موانع تسلب عن ا لله صفات الكمال، وتسمه بصفات النقص والعجز؟ ولعمري كأن هذه الموانع أقوى من ا لله، حتى يعجز عن إزالتها بكلمة منه؟

أما تبرير المسيحيين لعدم إمكانية إزالة الخطيئة بكلمة من الله ومغفرة منه، بسبب أن الكلمة لا يمكن أن تعيد صورة الله في الإنسان، تلك الصورة التي تشوهت بالخطيئة، فإن هذا التبرير يجعلنا نتساءل: أوليس الله الذي خلق الإنسان على صورته ـ على فرض صحة هذا القول ـ بكلمة «كن» قادراً على أن يعيدها أيضاً بكلمة «كن»؟

الجواب بالتأكيد سيكون بلى...

وهل يمكن لله الرؤوف الرحيم أن يحكم على آدم بالموت الأبدي لمجرد أكله من الشجرة التي نهاه عنها؟

وهل يكون حكم الله على العصاة بالطرد واللعن حكماً أبدياً، وتوبتهم وإنابتهم أو إصرارهم على الذنب وعنادهم بعد ذلك سيّان في ميزان الله؟؟

أوليس من المنطق والمعقول، حسب ما نعرفه عن عدالة الله وحكمته وعلمه واتصافه بجميع صفات الكمال، أن يكون حكمه على آدم بالموت والطرد من رحمة الله جارياً على آدم في حالة إصراره على الذنب وعدم شعوره بالندم والتوبة؟؟

وهل يعتبر تغيّر حكم الله على آدم من الطرد واللعن إلى التوبة والقبول بسبب تغيّر حالة آدم من المعصية إلى الإنابة والرجوع، هل يعتبر هذا تراجعاً من الله؟؟

لا...، إن علم الله الأزلي وحكمته ينفيان وقوع مثل هذا من الله...

فهو عالم منذ الأزل أن آدم سيعصيه ثم يتوب، وبأن عقابه سيكون كذا إن عصاه، وثوابه كذا إن تاب وأناب...

وواضح أن هذا لا يعتبر تراجعاً أبداً، لأن التراجع يدل على الجهل وسوء الحكمة، وحاشى لله العلي الحكيم أن يكون هذا شأنه...!!

وأنّى للبشرية أن تظن هذا في حق ا لله، وهو القاهر فوق عباده، وهو على كل شيء قدير، وأين هو الدليل على ذلك سواء من العقل أو من النقل...؟؟

٣ـ وراثة البشرية جميعها لخطيئة آدم ونتائجها...

ويا له من ذنب ارتكبه آدم استحق بسببه اللعن الأبـدي، واستحقت ذريته بسببه أيضاً هذا اللعن والطرد...!!

أو يعقل أن تجرّم العدالة الإلهية إنساناً بذنب لم ترتكبه يداه؟؟

كيف ذلك، والعهد القديم يقول: «لا يموت (أي الابن) بإثم أبيه بل يحيا حياة» (حزقيال ١٨:١٧). ويقول أيضاً: « لاتقتل الآباء بالبنين ولا تقتل البنون بالآباء، بل كل امرئ بذنبه يقتل» (تثنيه ٢٤:١٦).

وهذا ما يؤيده القرآن الكريم بقوله: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**﴾ [النجم ٣٨].

وهل يمكن للعقل أن يصدق أن الخطيئة يمكن لها أن تُورّث عن طريق التناسل؟ وهل للخطيئة مورّثات وكرموزمات يمكن أن تنتقل عن طريقها ومن خلالها فتتغلغل في ذرية المخطئ؟ إن هذا الشيء ينفيه العلم، وينقضه العقل، ويمنعه الدين أيضاً كما رأينا.

فمن الممكن أن يكون مصير آدم النار يوم القيامة ـ على فرض عدم توبته ـ، ويكون مصير أبنائه الجنة، إن هم صلحوا وأنابوا، ولم يتبعوا الطريق التي مشى عليها أبوهم آدم، طريق العصيان والمخالفة...

٤ـ وأهم هذه التساؤلات التي تغزو عقول هذه الفئة القليلة، التي رفضت إلغاء دور العقل، وأبت الاستسلام للعواطف، إنما هو ما يتعلق بمسألة الفداء على وجه الخصوص.

إذ أليس القول بضرورة التجسد والفداء يستلزم عجز ا لله تعالى، طالما أنه لم يستطع إنقاذ عباده من الخطيئة وسلطان الشيطان، إلا بأن يُنزِل ابنَه الإله أيضاً من عليائه، فيتجسد ويصلب ويموت ويدفن، ومن ثمَّ يصير خطيئة بذاته، حين يدخل عالم الخطيئة وعالم الشيطان، وهو المسمى بالجحيم، فيدفع عند ذلك ثمن خطايا البشرية التي ورّثهم إياها أبوهم آدم...!!

وما الحلّ الذي يطرحه هؤلاء المسيحيون اللاهوتيون للتوفيق بين صدق ا لله في تنفيذ وعده «يوم تأكل منها تموت موتاً»، وصلاحه الذي يقتضي عدم فناء البشرية عن بكرة أبيها، إلا ثغرة أخرى من الثغرات، التي توهن مفهوم علم ا لله وقدرته اللامتناهية...

إذ أليس هناك من حلّ إلا في تجسد الابن الإلهي الغالي، ليصلب عوضاً عن البشرية فيكون بهذا قد دفع ثمن خطاياهم، وحقق مطلب الآب، حين مات عوضاً عن جميع البشرية المحكوم عليهم بالموت دون خطيئة ارتكبتها أيديهم، ومن ثمّ ينزل إلى الجحيم مملكة الشيطان، ليبيد الخطيئة والشيطان..؟؟

أوليس في قدرة ا لله أن يبيد الخطيئة ومملكة الشيطان، دون أن يميت ابنه الحبيب، ويدخله بعد ذلك في الجحيم، ليصير هو الآخر في سلطان الخطيئة والشيطان، ليتمكن عند ذاك من إبادة الخطيئة والشيطان...!!

وهل يعقل أن يكون للشيطان مملكة تناصب مملكة ا لله العداء، وتعمل جاهدة للتغلب عليها، بل وتستطيع ذلك حين تضم آدم إلى عطفها، فتغويه بالخطيئة، وتخلق في نفسه الشر والخطيئة، ليصبح عبداً لها وللخطيئة، في الوقت الذي خلق ا لله فيه آدم خيراً خالصاً لا يعرف الشر ولا يفكر فيه...

أو لا يعطي هذا القول الشيطان سلطة كبرى تعارض سلطة ا لله...؟؟

أو ليس من الأفضل الذي يتناسب مع صفات الله الكاملة المثلى، التي لا تضاهيها صفة ولا يشبهها مخلوق، أن نقول إن الله تعالى قد خلق الإنسان، وجعل نفسه قابلة لفعل الخير ولفعل الشر، وزوّده حرية الاختيار، فلم يجبره على فعل خير ولا شرّ، ولكنه مع هذا لم يتركه دون أن يرشده إلى طريق الخير مبيناً له ثوابه، ويحذره من طريق الشرّ منذراً إياه من عقابه، وبناءً على هذا فإن الإنسان يفعل الخير أو الشر بحرية كاملة مسؤولة عن عملها، ولكنها في الوقت نفسه لا تعارض إرادة الله ومشيئته، بل إن كل ما يفعله الإنسان يفعله بإرادة الله، تلك الإرادة التي أرادت من الإنسان الفاعل للخير فعل الخير، ومن الإنسان الفاعل للشر فعل الشر، وذلك حين وهبت هذا الإنسان حرية الاختيار والإرادة، وليس معنى هذا أن الله يرضى بكفر العبد وفعله للشر، ذلك أنه شتان بين الإرادة والرضى، وهذا ما ذكره تعالى في القرآن الكريم حين قال: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ**﴾ [التغابن ٢].

وقال أيضاً: ﴿**وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ**﴾ [الزمر ٧].

ثم إننا بعد هذا كله ما نزال نرى الخطيئة إلى اليوم تعمل عملها كما كان الأمر في الماضي، وما يزال هناك أناس مخطئون من المسيحيين وغيرهم، وقد سيطرت عليهم الخطيئة، وتمكّن الشيطان من إغوائهم، حتى بعد مجيء المسيح المخلّص الفادي...

فأين هو افتداؤه للبشرية من الخطيئة ومن سلطان الشيطان؟؟

والأدهى من هذا كله هو أننا ما زلنا نرى الموت يفعل فعله في نهش الأجساد البشرية، حتى بعد مجيء المسيح المخلّص من الموت والفساد، تماماً كما كان يفعل في الماضي...

وما تبرير المسيحيين لهذا بقولهم: إن الموت قبل مجيء المسيح كان موتاً أبدياً، والموت بعد مجيئه أصبح موتاً مؤقتاً، وهو ما يعبرون عنه بالرقاد، إلا من أجل خدمة عقيدة الفداء والخلاص، ولو كان هذا على حساب المنطق والعقل بل والواقع أيضاً.

إذ من الذي أخبرهم بأن الموت قبل مجيء المسيح كان موتاً أبدياً لا قيامة بعده، وكلنا يعلم أن الإيمان بالبعث والقيامة كان موجوداً قبل مجيء المسيح، ومعلناً عنه في رسالات الأنبياء والرسل جميعهم، وأسفار العهد القديم مليئة بالحديث عنها، وخصوصاً في سفر المكابيين الثاني وسفر الحكمة، وسفر المزامير...!!

ونتساءل هنا: لماذا لم ينته الموت نهائياً ولو على سبيل الرقاد ما دام الابن الإلهي، قد تجسد في جسد بشري يسمى «المسيح»، واستطاع من خلال هذا الجسد البشري تجديد الصورة الإلهية في الإنسان، تلك الصورة التي تشوهت نتيجة خطيئة آدم، طالما أن هذا التشوه برأيهم هو السبب في جريان الموت الأبدي على الإنسان؟.

لقد كان من مستلزمات هذا التجديد إلغاء الموت مباشرة بشكل كامل وجذري...!!

والأمر الثاني الذي يدعو إلى التساؤل قولهم بأن القيامة العامة ستكون للناس جميعهم مؤمنهم وكافرهم، وهذا ما يتناقض مع عقيدة الفداء التي ما برحوا يردّدونها ويؤكدون عليها، إذ أن ما حققه المسيح للبشرية من فداء من سلطان الموت والخطيئة والشيطان، لا ينتقل إليهم إلا إذا آمنوا بالمسيح، وحلّ عليهم الروح القدس، الأقنوم الثالث في الثالوث، الذي يأتي دوره في الفداء مكمّلاً لدور الابن (المسيح)، حيث يورّث المؤمنين بالمسيح كل ما فعله المسيح من أجلهم...

وبناء على هذا، فإن الكفار بالمسيح ينبغي أن يظلوا تحت سلطان الموت، فلا يقومون منه، ما داموا يرفضون المسيح وفداءه...!!

حقاً هنالك أسئلة كثيرة، وعلامات استفهام، تتوارد على الساحة عند الحديث عن عقيدة الفداء والخلاص، تنتظر من يجيب عنها، وهذا لا شك يحتاج إلى علم غزير، وعقل متفتح، وجرأة في البحث عن الحق والحقيقة...

وأهم من ذلك كله، البحث في الموضوع بحيادية كبيرة، دون دوافع جانبية من تعصب لمذهب معين، أو انسياق وراء هوى وعاطفة جانحة...

المطلب التاسع : دور الروح القدس في عملية الخلاص والفداء [١]:

يعتقد المسيحيون بأن للأقنوم الثالث في الثالوث الإلهي (الروح القدس)، دوراً أساسياً في عملية الفداء، فهنالك رابط تكميلي بين عمل الروح القدس وبين عمل الابن في الإنسان، فالمسيح (الابن الإلهي المتجسد) قد صلب ومات فداء للبشرية، وهو قد قدّم هذا الفداء والخلاص للبشرية ككل، إلا أن الروح القدس هو الذي يورّث المؤمنين هذا الفداء والخلاص، ويجعله حقاً لهم، عن طريق حلوله فيهم بمواهبه ونعمه، فهو الذي يتولى عملية فكّ ناموس الخطيئة، وتحطيم سلطان الموت من الطبيعة البشرية لدى كل إنسان على حده، بعملية فائقة.

ويعتقد المسيحيون أن حلول الروح القدس على المؤمنين بالمسيح، قد بدأ منذ يوم العَنصرة (يوم الخمسين من قيامة المسيح)، حيث حلّ الروح القدس على التلاميذ جهاراً وبصوت مسموع ومنظر آخّاذ، «ولما حضر يوم الخمسين، كان الجميع معاً بنفس واحدة، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملأ كل البيت، حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدؤوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» [أع ٢ : ١ ـ ٤].

حلول الروح القدس في الأسرار الكنسية [٢]:

يحل الروح القدس في المؤمنين بالمسيح عن طريق الأسرار الكنسية.

---

(١) ـ متى المسكين : الروح القدس الرب المحيي ص ٦١، ٦٣، ١٤٠، ١٦٣، ٦٥١، ٦٧٦.
ـ الروح القدس لمجموعة من المؤلفين ص ٧٩، ٤٥، ٤٦، ٤٧.

(٢) غريغوريوس جبارة : التعاليم السنية ص ٢، ٣١، ٣٢، ٤٨ ـ ٧٠،
ـ حبيب جرجس أسرار الكنيسة السبعة ص ٥، ٧، ٨، ٤٧، ٥٠، ٦٢ ـ ٩٢.
ـ سيليوس الكبير : مقال عن الروح القدس ٢٦ : ٦٤ .
ـ جراسيموس مسرة : الأنوار في الأسرار ص ٢٩ ـ ٦٧، ٧٧، ٧٩، ١١٣ ـ ٢١٢.
ـ د . جورج بباوي : المعمودية في الكنيسة الواحدة الجامعة ص ١٢١ ـ ١٦٢.
ـ تيموثي وير : الكنيسة الأرثوذكسية إيمان وعقيدة ص ١٠٧، ١٠٩ ـ ١١٩.
ـ د . إبراهيم سد راك : أسرار الكنيسة السبعة ص ٥٩.
ـ كوستي بندلي : مدخل إلى القداس الإلهي ص ١٣ ـ ٢٧.
ـ المسيح في سرّ الإفخار ستيا ص ٩ ـ ٣٧.

والسر الكنسي هو : عمل مقدس به تنال نفس المؤمن نعمة الله غير المنظورة تحت علامات منظورة (ممارسة طقس على يد كاهن شرعي).

والأسرار الكنسية سبعة وهي: سرّ المعمودية، سر مسحة الميرون، سر الشكر، سر التوبة، سر مسحة المرضى، سرّ الزيجة، سرّ الكهنوت.

فالخطيئة تسقط بالأسرار السبعة، وعن طريقها يتم اتحاد المتقدمين للأسرار في طبيعة الله ، حيث تجدَّد فيهم الصورة الإلهية التي تشوّهت بالخطيئة.

وسندرس من هذه الأسرار ثلاثة فقط، المعمودية، مسحة الميرون، الشكر، لأن معظم مواهب الروح القدس التي لابّد منها لكل مؤمن بالمسيح، تعطى عن طريق هذه الأسرار الثلاثة، أما باقي الأسرار فهي أسرار خاصة بأناس معينين في حالات خاصة (كالمخطئ، والمريض، والذي يريد الزواج، والكاهن).

أ ـ حلول الروح القدس بالمعمودية :

المعمودية مأخوذة من الكلمة السريانية (عمد)، أي بلّل بالماء، وهي سرّ به يغطّس الإنسان الخاطئ في الماء، وقد تعلم الإيمان المسيحي، على ثلاث دفعات، على اسم الآب والابن والروح القدس، فيحل عليه عندها الروح القدس، ويطهره من كل خطيئة، (جدية وفعلية)، ويصير عندها إنساناً جديداً مبرراً ومقدّساً، ويولد ميلاداً ثانياً عن طريق تجديد الصورة الإلهية، التي خلق عليها وتشوهت بالخطيئة.

ولسر المعمودية الرتبة الأولى بين الأسرار السبعة، لأنها بمثابة باب يدخل فيه المؤمن إلى الكنيسة وملكوت النعمة.

ويرى المسيحيون أن المعمودية ضرورية لحصول الخلاص، إذ أنه على الرغم من أن الخلاص قد حصل بدم المسيح وحده، إلا أنه لايمكن للبشر الحصول على استحقاقات دم المسيح في الخلاص، إلا بالمعمودية.

ب ـ حلول الروح القدس بسر مسحة الميرون:

سر المسحة هو سر مقدس به ينال المؤمن بالمسيح ختم موهبة (نِعَم) الروح القدس. والميرون كلمة يونانية معناها طيب، وتطلق في الاصطلاح الكنسي على السائل المركب من نحو ٣٠ صنفاً من أصناف الطيوب والعطور، وسر المسحة متحد بالمعمودية، ويتمّ بعدها مباشرة، إلا أنه مع ذلك سرّ مستقل بنفسه.

فالمسح بزيت الميرون يلي المعمودية مباشرة، وذلك بأن يتناول الكاهن الميرون ويمسح به أماكن مختلفة من جسم المعمَّد، وعددها ٣٦ مسحة، ويُمنح المعمَّد بسر المسحة نعماً غير منظورة، تحل عليه عن طريق حلول الروح القدس فبه بمواهبه (نعمه).

ج ـ حلول الروح القدس في سرّ الشكر (الافخارستيا):

سر الشكر هو سرّ به يأكل المؤمن ويشرب، تحت شكلي الخبز والخمر، جسد المسيح المقدس، ودمه الكريم للحياة الأبدية[1].

ويعتقد المسيحيون أن منشأ هذا السر، هو قول المسيح لتلاميذه، حينما كانوا يأكلون الخبز ويشربون الخمر احتفالاً بعيد الفصح اليهودي[2]، قبيل صلبه، «خذوا كلوا هذا هو جسدي، وأخذ

---

(١) هذا ماتعلّم به الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية، أما الكنيسة البروتستانتية فهي تخالفها بعض الشيء، انظر ص٢٥٣ من هذا الكتاب.

(٢) الفصح اليهودي هو الاحتفال في يومي ١٣ و ١٤ من نيسان من كل عام، بذكرى خروج بني إسرائيل من مصر، وإنقاذهم من العبودية وتحريرهم، إلا أن المسيحيين اليوم يحتفلون بفصح آخر يختلف معناه عن الفصح اليهودي، حيث يعتبرون المسيح هو فصحهم، وذلك منذ اليوم الرابع عشر من شهر نيسان إلى السادس عشر منه، فيحتفلون بموت المسيح ثم بقيامته، حيث يتناولون في هذه الأيام سرّ الشكر.

ويحتفل بعضهم بهذا العيد في أول جمعة بعد ١٤ نيسان بموت المسيح، ثم يحتفلون في الأحد التالي له بقيامة المسيح.

ـ سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ١٥٩، ١٦٠.

ـ د. أسد رستم: كنيسة الله ١/ ٨١.

ـ د. حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي المجلد ١/ ٣١٩ـ٣٢١.

الكأس وشكر، وأعطاهم قائلاً، اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» [مت : ٢٦ : ٢٦ ـ ٢٨].

وهم يعتقدون أنه بهذا السر يستحيل الخبز والخمر جوهرياً، مع احتفاظهما بشكليهما وأعراضهما، استحالة حقيقية إلى جسد المسيح ودمه، وهذه الاستحالة تتم عن طريق حلول الروح القدس على الخبز والخمر، وهم يقرون بأن هذا التحول هو سر لايسعه إلا الإيمان وحده.

وبذلك ينال المؤمنون، الذين يتناولون هذا السر، الثبات والاتحاد مع المسيح، فيصيرون أعضاء جسده ومشاركي طبيعته الإلهية .

المطلب العاشر : الروح في الإسلام:

وردت كلمة الروح في القرآن بمعان مختلفة[1].

١ ـ بمعنى جبريل عليه السلام ﴿**وأيدّناهُ بروحِ القدس**﴾[2] [البقرة: ٨٧].

﴿**فأرسلنَا إليها روحَنا فتمثَّل لها بشراً سويّاً**﴾ [مريم: ١٦].

---

(١) ـ تفسير الخازن ٣/ ١٠٦، ٤/ ٦٨.

ـ تفسير النسفي ٣/ ١٠٦.

ـ ابن تيمية : الجواب الصحيح ٢/ ٩٥، ١٣٦، ١٣٨ .

ـ القرافي : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ص ٨١ـ ٩١.

ـ أيوب بك صبري : الجوهر الفريد ص ٣٣ .

ـ د . أحمد شلبي : مقارنة الأديان (المسيحية) ص ٤٣، ٤٤ .

(٢) قيل روح القدس هنا هو الإنجيل الذي أيدّ الله به عيسى عليه السلام، انظر الطبري : جامع البيان ٢/ ٣٢١.

٢ ـ بمعنى الوحي بوجه عام وهو: مايوحيه الله إلى أنبيائه على العموم، والقرآن الكريم على وجه الخصوص، وإنما سمي هذا الوحي روحاً، لأن كلامه يقوم في الدين مقام الروح في الجسد، أو لأنه يحيي القلوب الميتة بالجهل

﴿ينزِّلُ الملائكةَ بالروحِ من أمرِهِ على منْ يشاءُ من عباده﴾ (النحل: ٢]

﴿يلقي الروحَ من أمرِه على من يشاءُ من عباده﴾ [غافر: ١٥].

٣ ـ بمعنى الروح الذي تكون بها حياة الجسد، (القوة التي تحدث الحياة في الكائنات): ﴿ويسألونكَ عن الروحِ[1]، قل الروحُ من أمرِ ربّي﴾ [الإسراء: ٨٥]. ﴿والتي أحصنَتْ فرجَها فنفخنَا فيهَا من روحِنَا﴾[2] [الأنبياء: ٩١].

ومن الواضح أن هذه الروح التي يخلقها الله تعالى، فتحدث الحياة في الكائنات هي من علم الله، فهو قد خصّ نفسه بمعرفة كنهها، وهو وحده الذي يمنحها للكائنات فتدب فيها الحياة، أو يأخذها فتصبح الأجسام هامدة.

٤ ـ الروح بمعنى الرحمة (الصلة بين الله والعبد، صلة الرحمة والمحبة) والهدى والتأييد والمواهب الربانية[3]:

﴿تنزّلُ الملائكةُ والروحُ فيها بإذنِ ربهم من كلّ أمرٍ، سلامٌ هيَ حتى مطلعِ الفجرِ﴾ [القدر: ٤ ـ ٥].

---

(١) قيل الروح هنا هو جبريل عليه السلام. انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٢٣.

(٢) قيل الروح هنا هو جبريل عليه السلام. انظر الألوسي: روح المعاني ١٧ / ٨٨.

(٣) ـ تفسير النسفي ٤/ ٣٩٨.

ـ ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/ ٩٥، ١٣٦.

ـ أيوب بك صبري: الجوهر الفريد ص ٣٣.

﴿لا تجدُ قوماً يؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ يوادّونَ من حادَّ اللهَ ورسولَه، ولو كانوا آباءهَم أو أبناءهَم أوَ إخوانَهم، أو عشيرتَهم، أولئكَ كتب في قلوبهمُ الإيمانَ وأيدّهم بروحٍ منهُ﴾ [المجادلة ٢٢].

وبذلك تبين لنا أن الروح في القرآن في جميع الحالات الأربع ليس بإله مستقل قائم بذاته، بل هو مخلوق في كل من الحالة الأولى والثالثة، أما في الحالة الثانية فهو أوامر الله أي كلامه، وكلام الله ليس مخلوقاً، بل هو صفة قائمة بذات الله، وليست هي قائمة بذاتها أبداً، أما في الحالة الأخيرة، حالة تنزّل الرحمات والهدى والمواهب الربانية، فهي أفعال الله تعالى، وهي مخلوقة من قبله تعالى، أما إضافة الروح إلى الله في بعض هذه الآيات التي ذكرناها، فليس فيها مايدل على ألوهية هذه الروح، بل هي كإضافة الأعيان إلى الله تعالى، تلك الأعيان التي خصّها الله بخصائص يحبها[1].

المطلب الحادي عشر: نقد تأليه الروح القدس ودوره في الخلاص:

بالإضافة إلى كل ما ذكرناه من المناقشة أثناء بحثنا عن الأقانيم، التي يعدّ الروح القدس واحداً منها[2]، فإن هذا وإن كان كافياً في بيان حقيقة الألوهية، فإننا سنعرض هنا إلى ما لم تسبق الإشارة إليه في موضوع الروح القدس ونسبة الألوهية إليه:

---

(١) الإضافة إلى الله تعالى تقتضي اختصاص المضاف بصفات تميّز بها عن غيره، حتى استحق هذه الإضافة.

وذلك كما اختُصت الكعبة والعباد الصالحون بأن يقال فيهم: بيت الله، عباد الله، كذلك اختُصت الروح المصطفاة بأن يقال لها روح الله، بخلاف الأرواح الخبيثة، كأرواح الشياطين والكفار.

انظر ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/ ١٢٥، ١٢٦.

(٢) انظر ص ١٠٠ من هذا الكتاب.

١ ـ إن إطلاق كلمة روح على الله بمعنى صفة الحياة غير صحيح، لأن حياة الله ليست بروح كما هي حياة البشر، حيث إن إطلاق كلمة روح على الله يدل على أنه مركب من هذه الروح ومن غيرها (الجسد)، كما يدل على أن الروح جوهر غريب عن الله اتحد به، وهذا يتنافى مع مستلزمات الألوهية[1].

٢ ـ ورد ذكر الروح في الكتاب المقدس (العهد القديم) على الملائكة، حيث أطلق عليهم أنهم روح الله وملاك الله [تكوين ١ : ٢]، [عدد ٢٤ : ٢]، [تكوين ٢١: ١٧]، كما ورد فيه ذكر الروح بمعنى مصدر الشر، وهي لا تذكر على إطلاقها، بل تكون مضافة أو موصوفة، ومن هذا: «وأرسل الرب روحاً رديئاً بين أبيمالك وأهل شكيم» [القضاة ٩: ٢٣]، و«فإنهم أرواح الشياطين» [رؤيا ١٦: ١٤].

كما ورد اسم الروح القدس بمعنى الملاك مرتين في العهد القديم [مزمور ٥١ : ١١ ، أشعياء ٦٣ : ١٠ ـ ١١][2].

---

(١) ـ إبراهيم الباجوري: شرح جوهرة التوحيد ص ١١٣.
ـ ابن تيمية : الجواب الصحيح ٢/ ١٣٨.
ـ أيوب صبري : الجوهر الفريد ص ١١٩.

(٢) ورد في كتاب ملكوت الله في النصرانية واليهودية والإسلام، أن اليهود أزالوا اسم الروح القدس من كتبهم، لأن جبريل المسمى بالروح القدس، كان ينزل بعقوبتهم، ولذلك كرهوه فكتبوا بدلاً من اسمه، في المواضع التي فيها اسمه، كتبوا ملاك الله عوضاً عن جبريل، كما كتبوا روح الله بدلاً عن الروح القدس، ولذلك لانجد اسم الروح القدس أو جبريل في العهد القديم سوى مرتين.
وكان المسيح يحذر اليهود من التجديف على الروح القدس لأنهم قالوا عنه إنه روح نجس [مرقس ٣ : ٢٨ ـ ٣٠]، وأكد المسيح على تلاميذه أن التأييد الذي يلقاه من الله، إنما يأتيه به جبريل الروح القدس، والأعمال التي يعملها إنما هي بتأييد الروح القدس وأنهم سيجدون نفس التأييد من الروح القدس إذا حفظوا وصايا المسيح واتبعوه، ولذلك ظهر في قوانين الإيمان القديمة للأجيال الأولى للمسيحيين، في القرن الأول والثاني والثالث، كلمة «نؤمن بالروح القدس» لتبرئة أنفسهم من التجديف اليهودي على الروح القدس، ومع تطور الأحداث، أراد النصارى في القرن الرابع تأليه الروح القدس، عندما أرادوا التثليث.
ـ انظر عبد المجيد الجندي : ملكوت الله في النصرانية واليهودية والإسلام ص ٧٨ ـ ٨٠.

كما أن مواهب الله ونعمه يطلق عليها اسم الروح أيضاً [خروج ٢٨: ٣]، وهذا يدلنا على أن اسم الروح أو الروح القدس لم يطلق في العهد القديم إلا على مخلوقات من قبل الله تعالى، وليست هي بآلهة أبداً.

وكذلك الحال في العهد الجديد، حيث ورد ذكر الروح القدس مرات عديدة منها ما ورد في (يو ١٤: ٢٦ و١٥: ٢٦) و(مر ٣: ٢٨، ٢٩) و(مت ١٢: ٣١، ٣٢ و٢٨: ٩)، إلا أننا إذا تقصينا هذه الآيات التي ورد فيها ذكر الروح القدس أو الروح فقط دون إضافتها إلى القدس، لم نجد فيها ما يدل على أنه إله، وأقنوم في الثالوث الإلهي، وإنه متحد مع الآب والابن، يقول الأب سليم بسترس: «أما انبثاق الروح القدس منذ الأزل ضمن الثالوث الأقدس، فلا نجد له أي توضيح في نصوص العهد الجديد»[1].

ثم يقول في موضع آخر مبيناً رأي القديس باسيليوس: «لم يجرؤ القديس باسيليوس أن يقول عن الروح القدس إنه إله، لأنه لم يجد هذا القول في الكتاب المقدس، بل كان يكتفي بالقول إنه إلهيّ»[2].

وهاهم أولاء بعض المسيحيين يقرّون بأن اسم الروح هو اسم مشاع بين الثالوث كله وليس خاصاً بالروح القدس، فكل من الآب والابن روح، بمعنى تجرد الجوهر الإلهي عن المادة، ومن هنا يختلف اسم الروح القدس عن اسم الآب والابن، حيث أن اسمي الآب والابن يختصان بأقنوميهما، أما اسم الروح فهو ليس كذلك.

مؤكدين على أن مايعرف عن الروح إنما يرجع إلى تدبيره (التدبير الإلهي هو الله كما هو في فعله)، لهذا نسب إليه اسم الروح القدس، لأنه هو الذي ينجز التقديس في البشر بصورة روحية، وأن كل ما ذكر في الكتاب المقدس (العهد

---

(١) سليم بسترس: اللاهوت المسيحي ٢/ ٩١.

(٢) المرجع نفسه ٢/ ٨٢.

الجديد) عن الأقنوم الثالث إنما يرجع إلى عمله، أما كيان الروح الذاتي واسمه الذي يتعلق بكيانه الذاتي فلا يعرف عنه شيء[1]، ولم يرد له ذكر في الكتاب المقدس.

ويمكننا أن نتساءل هنا بناء على كلامهم هذا فنقول: إذا كان الأقنوم الثالث مجهولاً في وجوده الذاتي، باعترافهم، مجهول الاسم والهوية، فكيف أمكن لهم إذاً أن يثبتوا وجود أقنوم ثالث في الجوهر الإلهي، له صفة خاصة هي الانبثاق، وأنه غير منفصل عن الآب والابن، بل هو متحد معهما في الجوهر. . .، ماداموا لايعرفون شيئاً عن كيان الروح القدس الذاتي، بل كل مايعرفونه عن الروح هو في عمله فقط.

٣ ـ إن مايذكره المسيحيون من ألوهية الروح القدس، إنما يستنتجونه من دوره في الخلاص، عن طريق حلوله في المؤمنين بمواهبه (نعمه)، ويقرّ المسيحيون بأن هذا الحلول لاينحصر في مؤمني العهد الجديد، بل هو يحل أيضاً في مؤمني العهد القديم، باعترافهم، حيث يحل على الأنبياء والرسل فينطق فيهم، ويحلّ على الكهنة بالتقديس والنعمة الكاشفة للحاضر والمستقبل.

إلا أن المسيحيين يميزون بين حلول الروح القدس في العهد القديم وبين حلوله في العهد الجديد، فيجعلون حلول الروح القدس في العهد القديم حلولاً فردياً مؤقتاً، يختص بأزمة محدّدة، ويستمر إلى أن تنتهي هذه الأزمة، أما حلوله في العهد الجديد فهو حلول دائم بمواهبه (نعمه) كلها، كما أنه حلول ثابت حتى في حالة الوقوع في الخطيئة، بالإضافة إلى أن حلوله في العهد القديم هو للتقديس

---

(١) ـ عوض سمعان: الله ذاته ونوع وحدانيته ص ٦٩، ٧٠.

ـ ميخائيل مينا: علم اللاهوت ١/ ١٩٤.

Vldimir Lossky : In The Image of GoD. P.G. 74 , 75. ـ

الجزئي (من الخطيئة الشخصية)، أما تقديسه في العهد الجديد فهو تقديس كامل، بمعنى تجديد الطبيعة البشرية وتأليهها[1].

وبالتالي فإن المسيحيين يؤكدون على أهمية حلول الروح القدس في مؤمني العهد الجديد، حيث إن كل ماعمله المسيح للبشرية ضد الخطيئة والموت يستحيل أن ينتقل إليهم إلا بالروح القدس، ونعقب على هذا بعدة تعقيبات:

أ ـ إن حلول الروح القدس بمواهبه (نعمه) على المؤمنين في العهد الجديد، لايدل على ألوهيته أبداً، إذ من الممكن أن يفسَّر الروح القدس على أنه نعم الله (مواهبه، هباته) يهبها للمؤمنين به وتحلّ فيهم، كما أنه من الممكن أن يفسر بأنه ملاك الله جبريل الذي يدعمهم بالتأييد ويهبهم نعم الله تعالى، لا أن الروح القدس أقنوم وإله، وأنه هو الذي يحل في المؤمنين بنعمه وهباته، وعندها لاتكون تلك النعمة الحالة في المؤمنين إلهاً ولا أقنوماً، بل هي هبات الله تعالى، بمعنى أفعاله المخلوقة من قبله تعالى، والذي يؤيد هذا هو أنه لادليل للمسيحين على قولهم بألوهية الروح القدس سوى بضع آيات من الكتاب المقدس، وهي تدل على الروح القدس في عمله (مواهبه ونعمه)، باعترافهم.

كما أن هناك دليلاً واضحاً وصريحاً على أن المراد من الروح القدس هو نعم الله وهباته، المخلوقه من قبله تعالى، وهو قول المسيح لتلاميذه حين النفخة (مساء

---

(١) ـ فهيم عزيز: الروح القدس ص ١٤ ـ ١٦.
ـ جون و. ستوت: المعمودية والملء ص ٥٧.
ـ متى المسكين: الروح القدس ص ١٤٩، ٦٧٣ ـ ٦٧٥.
ـ أفلاطون: الخلاصة الشهية ص ١٠٧.
ـ الروح القدس لمجموعة من المؤلفين ص ٤٦، ٤٧، ٧٦، ٧٧.
ـ غريغوريوس جبارة: التعاليم السنية ص ٢٤ ـ ٢٦.
ـ مذكرة الأب جورج عطية: بحث (الثالوث) ص ٤٧.
ـ جراسيموس مسرة: الأنوار في الأسرار ص ٨١.

القيامة حين نفخ في وجوههم معطياً إياهم مواهب الروح القدس)، فقال لهم «خذوا الروح القدس»[1] [يو : ٢٠ : ٢٢]، فإننا إذا فسرّنا الروح القدس بالنعم والهبات، لايكون هناك أية حاجة للتأويل الذي لجأ إليه المسيحيون حين قالوا: المقصود هنا من هذه الآية مواهب الروح القدس التي تحل في المؤمنين، وليس جوهره الشخصي، حيث أن العادة قد جرت بأن يسمي الكتاب المقدس الموهبة روحاً[2]، وبذلك نرى أن في هذه الجملة الأخيرة من كلام المسيحيين مايدل على ماذكرناه من أن المقصود بالروح القدس هبات الله ونعمه المخلوقة من قبله، لا أقنوماً إلهياً يدعى أقنوم الروح القدس.

ب ـ ليس هناك من دليل كتابي (من الكتاب المقدس) على ماذكروه من التمييز بين حلول الروح القدس في العهد القديم وبين حلوله في العهد الجديد، وإذا ما أمعنا النظر في سبب هذا التمييز بين هذين الحلولين، وجدنا أن قولهم بوراثة إنسان العهد القديم لخطيئة آدم، وافتداء إنسان العهد الجديد منها، هو السبب الوحيد الذي دفعهم إلى التمييز بين الحلولين، ولذلك فإن دعائم هذا الادعاء تتقوض تلقائياً، إذا تبين عدم صحة قولهم بوراثة الخطيئة الجدية[3].

ثم إن قولهم ببقاء الروح القدس في الإنسان المخطئ في العهد الجديد، يدل من طرف خفي على أنهم يدّعون افتداء المسيح للمؤمنين به من خطاياهم الأصلية

---

(١) وقد يكون المقصود بالروح القدس هنا هو الملاك جبريل عليه السلام الذي يدعمهم بالتأييد، ويهبهم نعم الله تعالى.

(٢) ـ د. موريس تاوضروس: نحو نص عربي موحد لقانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني ص ٧٦ باسيليوس الكبير: مقالة عن الروح القدس ٢٦ : ٦٣.
ـ مذكرة الأب جورج عطية: بحث (الثالوث) ص ٤٧.

(٣) انظر ص ١٣٢، ١٣٣ من هذا الكتاب.

والفعلية، الماضية واللاحقة، تابوا أم لم يتوبوا، وهذا يدل بالتالي على أنه مهما أخطأ المؤمن بالمسيح، فإنه غير مؤاخذ على خطئه، تاب أم لم يتب، لأن المسيح قد افتداه، وهذا عين ماقاله بولس حين قال: «ليس أحد يتبرّر بالناموس (الشريعة) ... المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنه لأجلنا» [غلاطية ٣ : ١١ـ ١٣][1].

ولا يخفى مافي كلامهم هذا من مناقضة للعقل، بل وللنقل أيضاً، حيث ورد على لسان المسيح مايؤكد أهمية العمل بالشريعة والأعمال الصالحة [مت ٥ : ١٧].

ج ـ إن تأكيد المسيحيين على دور الروح القدس في عمل الفداء، وأنه لولا حلوله في المؤمنين لما انتقل إليهم فداء المسيح من الخطيئة والموت والفساد، ولبقوا تحت سلطان الشيطان ولحشروا في مملكته، إن تأكيدهم هذا يجعلنا نتساءل: إذا كان للروح القدس هذا الدور الفعّال في عملية الفداء، وإذا كان حلوله في المؤمنين يكفي لتقديسهم، فما الداعي إذاً إلى تجسد الابن وصلبه وقيامته؟ أليس باستطاعة الروح القدس أن يفعل هذا حين حلوله على البشر؟.

ويجيب المسيحيون بالنفي، فليس باستطاعة الروح القدس أن يقدس الإنسان قبل أن يصلب المسيح ويفدي البشرية، بل لابدّ من فداء المسيح أولاً، ليأتي بعده دور الروح القدس، وإلا فإن الله يكون كاذباً غير صادق، إذا لم يمت الإنسان كما حكم الله «يوم تأكل منها تموت»، هذا الحكم الذي دفع ثمنه المسيح حين صلب عوضاً عن البشر جميعهم[2].

إلا أننا نجيبهم قائلين: إذا أمكن للروح القدس أن يطهر مريم من الخطيئة الجدية، حين حلّ عليها قبيل حبلها بالمسيح، مانحاً إياها قوة استيعاب لاهوت

---

(١) انظر ص ١٨٢ من هذا الكتاب.

(٢) انظر ص ١٢٧ من هذا الكتاب.

الكلمة مع ولادته[1]، وذلك كائن، بإقرار المسيحيين، قبل حدوث الفداء، وقبل تنفيذ حكم الله «تموت موتاً» فما الداعي للتجسد إذاً؟.

أوليس الذي أرسل الروح القدس ليطهر مريم، دون أن يعتبر ذلك كذباً منه، بقادر على أن يرسله إلى جميع البشرية لتطهيرهم كما طهرّت مريم، وعندها لايكون هناك حاجة للتجسد ولا للفداء، لأن البشرية تعتبر مفتداة عند ذلك بعمل الروح القدس، ولا حاجة لنزول الابن وتجسده وصلبه وقيامته.

ويجيب المسيحيون على هذا، بأن تطهير مريم من الخطيئة الأصلية قبل صلب المسيح وافتدائه البشرية، إنما هو لضرورة قصوى، إذ يجب على من تحبل بالابن الإلهي أن تكون نقية طاهرة، حيث أنه من غير الممكن حلول اللاهوت في إنسان نجس، كما أنهم يعقبون على هذا بقولهم: لم يكمل هذا التطهير إلا بصلب المسيح وموته وقيامته[2].

ولكن يالضعف هذين التعليلين، فاللاهوت لايمكن أن يحلّ في إنسان على الإطلاق وذلك بنص كتابهم المقدس (العهد القديم)، حيث ورد فيه: «لاتحل روحي على الإنسان أبداً لأنه جسد» [تك ٦: ٣]، ثم إن قولهم بتطهير مريم من الخطيئة الجدية، وتعقيبهم على هذا بأنه لم يكمل هذا التطهير إلا بالصلب و . . . إنما هو من جمع بين المتناقضات وكان عليهم في أقل الدرجات، إما القول بتطهير مريم قبيل حبلها بالمسيح وصلبه وقيامته، وعندها يجري عليهم ماذكرناه من انتقاد، أو أن يقولوا بعدم طهارة مريم قبل الصلب والقيامة، وهذا يتناقض مع ما أكّدوا عليه.

د ـ إن قول المسيحيين بأن نتائج فداء المسيح للبشرية من الخطيئة والموت والفساد، لا تنتقل إلى البشر إلا عن طريق الروح القدس، الذي لايحلّ إلا في

---

(١) انظر ص١١٠ من هذا الكتاب

(٢) انظر ص١٢٧ من هذا الكتاب

المؤمنين المتقبلين له عن طريق الأسرار، فإنه يتناقض مع إقرارهم بأن أجساد الناس جميعهم كافرهم ومؤمنهم ستقوم من القبور وتتحد بالأوراح يوم القيامة العامة[1]، ثم يحشر المؤمنون في الملكوت (سماء السماوات) والكفار في جهنم. ونتساءل هنا: كيف تنتقل نعمة القيامة من الموت والخلود الأبدي يوم القيامة إلى الكفار، رغم عدم إيمانهم بالمسيح، وعدم حلول الروح القدس فيهم[2].

هـ ـ إن أهمّ مشكلة تواجههم بهذا الصدد هو اختلافهم حول ما يحل في المؤمنين عن طريق الأسرار، هل هو جوهر الروح القدس (أقنومه) أم مواهبه (نعمَه) والقول بحلول الروح القدس بمواهبه عن طريق الأسرار، هو ماعليه أغلب اللاهوتيين، أما القديسان كيرلس الاسكندري وغريغوريوس النيزنيزي، فقد ذهبا إلى أن الروح القدس يحل بأقنومه الشخصي في المؤمنين[3].

وعندها يمكن أن يقال لهم: ما هو الفارق بين ناسوت المسيح وناسوت جميع البشر، لماذا لم يصر البشر جميعهم آلهة بهذا الحلول، أي مؤلّفين من لاهوت وناسوت، كما هو الحال في المسيح الذي حلّ فيه الابن بجوهره (آقنومه)، مادام كل من الابن والروح القدس إلهاً كاملاً، يملك الجوهر كاملاً.

وبالطبع يقف المسيحيون أمام هذا السؤال وقفة حيرة، فليس أمامهم إلا أحد أمرين كلاهما مرّ:

١ ـ أن يكون جميع البشر آلهة، كما هو المسيح، وعندها لايكون للمسيح خاصية مميّزة على أحد منهم، بالإضافة إلى أن هذا يتناقض مع قولهم بسمو الله في كيانه الذاتي.

---

(١) ـ الأنبا غريغوريوس: أنت المسيح ابن الله الحي ١ / ٦١.
ـ مبادئ العقائد المسيحية ص ١٧٦، ١٨٥، ١٨٧.
ـ اسحاق ساكا: القيامة العامة ص ٣١، ٤٤، ٤٩، ٦٠.

(٢) انظر ص ١٣٧ من هذا الكتاب.

(٣) متى المسكين: الروح القدس الرب المحيي ص ٢٩٩، ٣١٠، ٣١١.

٢ ـ أن يكون كل من كيرلس وغريغوريوس، وهما من الآباء القديسين، ويعتبر كلامهما مرجعاً أصلياً ملهَماً لدى المسيحيين، ويسمونه بالتقليد (وينسبونه إلى الرسل ومن ثم إلى المسيح)[1]، مخطئين في هذا، مما يخولنا القول بعدم إمكانية اعتبار أقوال القديسين الأوائل (التقليد) أسساً من الأسس التي يعتمد عليها في إثبات الأمور العقدية، بل لابد من استنادها على نص كتابي، ومن الواضح أن إثبات ألوهية الروح القدس وحلوله بالأقنوم أو بالمواهب، لا دليل عليه من كتابهم المقدس، على فرض صحته وعدم تحريفه.

(١) انظر ص ٢٥٧ من هذا الكتاب.

الفصل الرابع

تحريف المسيحية الأصلية

أتى المسيح عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل، مصدقاً لشريعة التوراة، وداعياً إلى عبودية الله الواحد الأحد، مؤكداً على عبوديته لله تعالى، حيث خصصه الله تعالى بالنبوة والرسالة . . . ومكث المسيح عليه السلام في دعوته تلك، فترة محددة قصيرة لاتتجاوز الثلاث سنوات، إلا أن هذه المهمة التي جاء بها المسيح عليه السلام، لم تسلم من التحريفات عن منبعها الأصلي، ومفهومها الحقيقي، وقد ساهم في تحريف هذه الديانة عدة أشياء، من بينها الاضطهادات التي توالت على المسيحيين، بالإضافة إلى دور بولس الأساسي في هذا التحريف، كما كان لعامل التاريخ ومرور الزمن أثر هام في هذا، إلى أن وصلت المسيحية في طورها النهائي إلى ماهي عليه الآن.

وهاهي ذي بعض العقول المسيحية، التي تحررت من تعصب الكنيسة، تقرّ بهذا، ونذكر من هؤلاء، على سبيل المثال، البروفسور شارل جينبير، رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس، يقول: «ويجب علينا أن لاننسى أنه (المسيح) لم يؤسس شيئاً: لم يأتِ بدين جديد، ولا حتى بأي طقس جديد من طقوس العبادة، لم يأتِ إلا بتصور شخصي فريد للتقوى في إطار الديانة اليهودية، تلك الديانة التي لم يزعم قط أنه يبغي التغيير من معتقداتها أو من شرعها أو من شعائرها . . . أما أن ننسب إليه إرادة تأسيس كنيسة . . . كنيسة تكون كنيسته هو . . . كنيسة تختص بالعبادات والطقوس التي يعينها لها، والتي يظهر فيها رضاءه عنها . . . كنيسة يمهّد لها فتح الأرض جميعاً . . . فهذا قول لايقرّ واقع الأحداث، ولا صريح التسلسل التاريخي.

ولن نتعدى الحق إن أضفنا: أن كل ذلك لايمكن اعتباره إلا تحريفاً لفكرته، وأنه لم يكن ليرضى عنه قط لو نمى إلى علمه منه شيء»[1].

ويقول في موضع آخر: «. . . إن دين المسيح، ونعني به الدين الذي يتخذ المسيح إلهاً خاصاً به، هذا الدين، . . . قد تطور فأصبح مجموعة «مجموعة عقائدية» و «مذهباً للعقيدة» بعد أن كان في بدايته «أسلوب حياة»[2].

وتقول المحاضرة فرانسيس يونغ (المحاضرة في دراسة الأناجيل في جامعة بيرمنغهام، بريطانيا): «إن إيمان الكنيسة بوضع تاريخي معيّن، أثرّ على حفظ ونقل آثار يسوع»[3].

ولا بد لنا لنتابع تطور المسيحية وتحريفها من أن ندرس أولاً عقيدة الرسل والكنيسة الأولى في المسيح، وذلك من خلال كتابات المسيحيين ومصادرهم المعتمدة، لكي يتبين لنا كيف بدأ هذا التطور للعقيدة التي جاء بها المسيح، منذ عهد الرسل إلى وقتنا الحاضر.

---

(١) شارل جينيير: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٦٢.

(٢) المرجع نفسه ص ١٦٣.

(٣) أسطورة تجسد الإله في المسيح ص ٤٣.

المبحث الأول :
عقيدة الرسل والكنيسة الأولى في المسيح عليه السلام:

يحظى رسل المسيح (تلاميذه الاثنا عشر) بمحبة المسلمين وتكريمهم، وذلك تبعاً لما جاء به دستور المسلمين، القرآن الكريم، الذي تحدث عن تلاميذ المسيح الاثني عشر (الحواريين)، واصفاً إياهم أنهم أنصار المسيح عليه السلام رأحباؤه: **﴿يا أيها الذينَ آمنوا كونوا أنصارَ الله، كما قالَ عيسى ابنُ مريم للحواريّينَ من أنصاري إلى الله، قال الحواريّونَ نحن أنصارُ الله، فآمنتْ طائفةٌ من بني إسرائيلَ وكفرتْ طائفةٌ، فأيّدنا الذين آمنوا على عدوّهم فأصبحُوا ظاهرين﴾** [الصف: ١٤].

ولذلك فإن المسلمين ينزهون التلاميذ الاثني عشر عن أن يكونوا هم أول من حرفوا دين المسيح عليه السلام، وينسبون ذلك إلى بولس الرسول ومن تابعه.

ومع ذلك فإننا عندما ندرس عقيدة الرسل بالمسيح[1]، فإننا سندرسها من خلال مصادر المسيحيين، لأننا وإن كنا لانقرّ بهذا الذي ينسبونه إليهم، إلا أنه مع هذا عميق الأثر في تبيان العقيدة التي جاء بها المسيح عليه السلام وتحريفها من بعده.

---

(١) هنالك الرسل الاثنا عشر، تلاميذ المسيح (مت ١٠ : ٢ ـ ٤)، وهناك الرسل السبعين الذين يقال فيهم إن المسيح قد اختارهم وأرسلهم ليعلّموا المسيحية، وهناك المئة وعشرون الذين خطب فيهم بطرس خطاباً امتلؤوا بعده بالروح القدس (أع ٢ : ١٣ ـ ٢٦).

ومن خلال دراستنا لعقيدة الرسل والكنيسة الأولى، حسب ماترويه المصادر المسيحية المعتمدة، نرى أنهم يقرون بأن القول بألوهية المسيح لم يكن هو السائد في عهده، بل على العكس تماماً، حيث كانوا يعتقدونه عبداً نبياً(١).

ويعلل الأنباغريغوريوس سبب إخفاء المسيح للاهوته، جاعلاً السبب في هذا إتمام تدبير الخلاص، إذ أنه لو أعلن هذا لما ساعد الشيطان على خلاص الناس بتحقيق صلب المسيح وموته، بل لكان هذا حاثاً له على إفشال عملية الصلب(٢).

ولايخفى مافي هذا القول من طعن بالقدرة الإلهية، التي يمكن للشيطان إفشال تدابيرها، زد على ذلك أنه ينبغي على النصارى أن يشكروا اليهود لأنهم قاموا بالمساعدة في إنجاح عملية الفداء، بصلبهم المسيح.

وها هو ذا اللاهوتي عوض سمعان يقول: «المسيح لم يفرض على الناس الاعتقاد بأنه ابن الله . . . بل تركهم يستنتجون الحقيقة من تلقاء أنفسهم(٣)».

ويقول اللاهوتي سليم بسترس: «لقد كانت قيامة المسيح نقطة الانطلاق لإيمان الرسل إيماناً كاملاً ثابتاً بأن يسوع هو ابن الله الحي»(٤).

---

(١) ـ سليم بسترس: اللاهوت المسيحي ج١ / ١٣٢، ١٣٣.

ـ عوض سمعان: فلسفة الغفران قسم ١ / ١٤٣.

ـ د. منير خوام: المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية ص ٤٠٩.

ـ عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص ٣٤٩، نقلاً عن عوض سمعان في كتابه (الله، طرق إعلانه عن ذاته) ص ٨.

ـ د. حنا الخضري: تاريخ الفكر المسيحي المجلد ١ / ١٢٧ ـ ١٣٢، ٢١٠، ٢٧٥، ٣٠٥، ٣٨٠ ـ ٣٨٤.

(٢) الأنباغريغوريوس: أنت المسيح ابن الله الحي ح١ ص ٢٤ ـ ٢٩.

(٣) ـ عوض سمعان: فلسفة الغفران في المسيحية قسم ١ ص ١٤٣.

ـ وانظر الأنباغريغوريوس: أنت المسيح ابن الله الحي ح ١/ ٢٤ ـ ٢٩.

(٤) سليم بسترس: اللاهوت المسيحي المعاصر ١ / ١٣٢.

ولا يكتفي هذا اللاهوتي بهذا الإقرار الصريح، بل يعقبه بما هو أكثر أهمية حين يشير إلى ما ذكره الإنجيليّ متّى عن قول بطرس للمسيح: «أنت المسيح ابن الله الحي» بعد أن سأله المسيح عن هويته، وأن المسيح قال له: «طوبى لك يا سمعان[1] بن يونا، فإنه ليس اللحم والدم أعلنا لك هذا، بل أبي الذي في السماوات» [مت ١٦ : ١٧٥، ١٧٦].

مبيناً أن هذه العبارة قد أضافها كاتب إنجيل متى، وأنه في هذا لا يعلن إيمان بطرس في أثناء حياة يسوع، بل إيمان بطرس والرسل والكنيسة الأولى بألوهية المسيح من بعد قيامته[2].

ويوضح المسيحيون في مصادرهم، كيف نما القول بألوهية المسيح في أذهان المسيحيين، على فترات متعاقبة، منذ صلب المسيح، وحتى اختمر، نوعاً ما، في يوم صعوده (يوم الأربعين من قيامته)، وهذا يدلنا على أن ألوهية المسيح ترتكز لديهم على صلبه أولاً وقيامته ثانياً وصعوده ثالثاً. وبذلك نرى أن صلب المسيح، حسب اعتقادهم، وما أعقبه من قيامة وصعود هو البذرة التي تخلقت منها شجرة المسيحية وترعرعت، حتى صارت دوحة عظيمة مترامية الأطراف، فالصلب والقيامة والصعود هو المحور الذي تدور عليه المسيحية الحالية.

ويبين المسيحيون عقيدة الرسل، مؤكدين على أن التلاميذ أصيبوا بخيبة أمل كبيرة، حطمت آمالهم ونفسياتهم، عندما مات المسيح على الصليب، إذ صلبت بموته جميع الأحلام في المِسِّيا السياسي (المخلّص)، ملك إسرائيل الذي سيحررها من الاستعمار والاستعباد الأجنبيين، ويساعدها في الحصول على الاستقلال الوطني، وتأسيس أمة وطنية، فالمسيح قد خيّب آمالهم حين مات دون أن يحقق لهم أي شيء

---

(١) سمعان هو نفسه بطرس الرسول.

(٢) سليم بسترس : اللاهوت المسيحي ١ / ١٣٢.

مما يحلمون به، مات ميتة العار على الصليب، إلا أن المسيح قام من القبر، «حادثة القيامة من الموت غيّرت الكثير والكثير جداً من مفهوم التلاميذ، الذين رأوا بعيونهم يسوع محاكماً ومضروباً ومهاناً ثم مصلوباً ومماتاً على الصليب، وموضوعاً في قبر جديد، وهم أنفسهم أيضاً الذين رأوا نفس المسيح مقاماً من بين الأموات»[1].

أما الحدث الهام الذي كان له أكبر الأثر في تغيير العقيدة بالمسيح من نبي إلى إله فهو صعوده إلى السماء، حيث استطاعوا في تلك الفترة «أن يفكروا بتعمق في شخصية يسوع الناصري»[2]، وخاصة بالوعد الذي وعدهم به يسوع بأنه سيرسل لهم روح الحق [يو ١٦ : ٨]، ولم يكتمل إيمان الرسل بيسوع على أنه إله، إلا بعد حلول الروح القدس عليهم، في يوم الخمسين من قيامة المسيح[3].

ونحن في هذا البحث لن نناقش مدى صحة قول المسيحيين بصلب المسيح وقيامته، بل سنكتفي باعترافاتهم الصريحة في أن رؤية المسيحيين للمسيح أثناء حياته، لم تكن إلا على أساس أنه بشر نبي مرسل من قبل الله، فهو لم يدّع لنفسه الألوهية أبداً، وأن القول بألوهية المسيح، قد بدأ ينمو شيئاً فشيئاً من بعد صلبه وقيامته وصعوده إلى حين حلول الروح القدس على تلاميذه يوم الخمسين من قيامته.

وهذا من المسيحيين اعتراف هام بتحريف العقيدة المسيحية، وهم وإن كانوا ينسبون هذا التعليم إلى الروح القدس، الذي يدّعون أن التعاليم التي يعلمهم إياها معصومة ملهمة، فإن هذا لم يكن إلا من أجل إعطاء صبغة الشرعية. لهذا التغيير الواضح في نظرة الرسل والناس إلى المسيح في عهده على أنه نبي بشر، وإلى ما آلت إليه المسيحية فيما بعد من تأليه للمسيح....

---

(١) د . حنا الخضري : تاريخ الفكر المسيحي المجلد ١/ ٣٨١، ٣٨٢ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٧٥ .

(٣) سليم بسترس : اللاهوت المسيحي ١ / ١٣٣ .

ولنا في هذا مايؤيده وهو اعتراف المسيحيين بقلة معلوماتهم عن القرون الأولى، وفقدان نصوص مؤلفات الأقدمين، بسبب الاضطهادات التي مرّ بها المسيحيون في القرون الأولى[1].

وهذا يدلنا على عدم وجود أي مستند شرعي لتلك العقائد التي يؤمنون بها. ونقول: مهما حاول المسيحيون التأكيد على أن ما عليه الكنيسة الآن من عقائد، إنما يرجع إلى تعاليم الرسل المعصومة، الذين اكتملت نظرتهم بيسوع يوم حلول الروح القدس عليهم (يوم الخمسين من قيامة المسيح)، فإن هذا على فرض اعتباره مسوّغاً لتغيير العقيدة التي جاء بها المسيح، نرى أنه ادّعاء لاغير، ومن الأدلة على ذلك إقرارهم بأن التلاميذ كانوا يعتقدون أن المسيح بعد صعوده سيجيء مرة ثانية لدى نهاية العالم[2]، وذلك في وقت قريب جداً، ولقد اعتقد كثير من الذين عاشوا في القرن الأول الميلادي وعاصروا المسيح، أن تلك النهاية للعالم قريبة، وأنهم سوف يشهدون تلك النهاية المفزعة، التي يعقبها عودة المسيح إلى الأرض.

ونجد من هؤلاء الرسل، بولس الرسول[3] [١ سالونيك ٤ : ١٧، قور ١٥ : ٥٢]، ومن هؤلاء أيضاً متّى الرسول في إنجيله، ويقول في هذا جون فنتون لدى تفسيره لإنجيل متّى: «لقد اعتقد متّى أن العالم المعاصر (للمسيح) الذي يمتلئ بالخطيئة والمرض والموت، فسوف يأتي إلى نهايته سريعاً، وأن يسوع سوف يأتي بمجد، وأن كل إنسان سيكون إما من المباركين أو من الملعونين [مت : ٢٥ : ٣١]، ولقد اعتقد متى أن هذا سوف يحدث سريعاً، قبل أن يكون رسل المسيح قد أكملوا التبشير في كل مدن إسرائيل [١٠ : ٢٣]، . . . وقبل أن يفنى الجيل الذي عاصر المسيح [٢٤ : ٣٤]»[4]

---

(١) انظر ص١٦٤ من هذا الكتاب.

(٢) مجيء المسيح الثاني حسب ما يعتقده المسيحيون سيكون يوم القيامة العامة، ليدين الناس ويفرز الصالحين عن الطالحين.

(٣) جوزيف هولزنر: بولس الرسول ص٢٤٥.

(٤) أحمد عبد الوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص٢٣-٢٤.

ونحن نرى في هذا الشك من التلاميذ حول المجيء الثاني دليلاً على عدم إلهامية الروح القدس لهم، بالإضافة إلى أن هناك عقائد كثيرة لم تتبلور لدى رسل المسيح، باعتراف المسيحيين أنفسهم، وأن أول من جاء بها هو بولس الرسول، الذي لم يرَ المسيح ولم يسمع منه، ومن هذا عقيدة الفداء. . .، وإلغاء الشريعة الموسوية.

وها هو ذا د. أسد رستم يبين لنا، أثناء كلامه عن الرسل والتلاميذ، كيف كان التلاميذ بعد صعود المسيح يطبقون الشريعة الموسوية، ويتابعون الطقوس الإسرائيلية الشائعة آنذاك ويتعبدون في هيكل سليمان، وأن الطقوس في هذه الفترة لم تكن سوى ثلاثة، المعمودية، وضع الأيدي، الشركة، (بينما تراها الآن أصبحت سبعة أسرار، بفضل بولس الرسول)[1]، كما قدسوا في بادئ الأمر يوم السبت، كما كان يفعل اليهود، وأن يوم الأحد لم يصبح بدلاً عنه قبل القرن الثاني[2].

وبذلك نرى من خلال اعترافات المسيحيين هذه، أن النظرة إلى المسيح على أنه إله، قد كانت بعد صلبه وصعوده إلى السماء، فما دام قد صعد دون أن يحقق للناس آمالهم في المسيا السياسي، ملك إسرائيل، وما دام قد مات تلك الميتة المشؤومة[3]، حسب اعتقادهم بصلبه، فلا بد إذن من أحد أمرين: إما أن يكون المسيح إنساناً شريراً آثماً، لأن المصلوب ملعون، وإما أن يكون هنالك تأويل لهذا، وبالطبع اختار المسيحيون الأمر الثاني، فذهبوا إلى أن المسيح هو الإله نفسه، تجسّد لأجل خلاصهم، ونزل إلى الجحيم لافتدائهم. . .، واستساغ المسيحيون هذا، حيث أنهم كانوا يعيشون في وسط وثني، قد ألف وجود آلهة بشرية، تموت لأجل

---

(١) انظر ص١٨٨ من هذا الكتاب.

(٢) د. أسد رستم: الروم ١/ ٢٤، ٢٥، ٣٨.

(٣) حيث ورد في العهد القديم «المعلّق (على خشبة الصلب) ملعون من الله» (تثنية ٢١: ٢٣).

خـلاص البشـرية . . . ، فلم لا يكون المسيح أحـد هذه الآلهـة إذن، مع تغـيير في الشكل والاسم و . . . ، خاصة وأن لهذا أثره في جلب الأمم الوثنية إلى المسيحية، التي لاتمت إلى مسيحية المسيح بصلة، بل هي الوثنية ذاتها، مع تنميق في الأسماء وتغيير في المظاهر[1].

---

(١) انظر ص١٩٨ من هذا الكتاب.

المبحث الثاني:

مانزل بالمسيحيين من اضطهاد، وأثر هذه الاضطهادات في تحريف المسيحية:

نشأت المسيحية على أرض فلسطين، وكانت كما أرادها الله دعوة خاصة لبني إسرائيل، وهذا ماعبر عنه المسيح بقوله: «إلى أمم لاتمضوا . . . بل اذهبوا بالحري إلى خراف بني إسائيل الضالة» [مت: ١٠ : ٥ـ٦]، إلا أن هذه الدعوة الخاصة لبني إسرائيل مالبثت أن انطلقت على يد بولس الرسول، لتتعدى حدود بني إسرائيل، وتنتشر في بقاع العالم، حيث بدأ يبشر جميع الأمم، ويدعوهم إلى الديانة الجديدة.

وكانت فلسطين وبعض بقاع الأرض آنذاك، تحت سيطرة الدولة الرومانية الوثنية، ودعيت رومية عاصمة كل المسكونة.

وقد بدأت الاضطهادات تنصبّ على المسيحيين بشدة، وكانت أولى هذه الاضطهادات التي حلّت بهم، هي من اليهود القاطنين في فلسطين، وقد كان المسيح ضحية هذه الاضطهادات، ولم تلبث الاضطهادات أن اشتدت على المسيحيين بعده، وخاصة في عهد هيرودوس أغريبا، حفيد هيرودوس الكبير، الذي نصِّب من قبل الرومان ملكاً على اليهود في فلسطين، فبدأ عام ٤٣ ، ٤٤م بإثارة اضطهاد شديد على المسيحيين، وكان ضحية هذا الاضطهاد القديس يعقوب ابن زبدي أخو يوحنا، كما قبض على الرسول بطرس وزجّه في السجن، عازماً على إعدامه بعيد الفصح إرضاءً لليهود، إلا أن بطرس أنقذ من السجن . . .

وبعد هيرودوس أغريبا، وتحوّل فلسطين من بعده إلى إدارة ولاة رومانيين، خفت اضطهادات اليهود للمسيحيين، ومع هذا فإن رؤساء الكهنة كانوا على استعداد لاغتنام الفرص، وإيقاع الضرر بالمسيحيين بكل ما أوتوا من قوة.

وفي عام ٦٧م، ابتدأ عصيان اليهود للرومان، فوجّه الرومان جيوشهم إلى فلسطين، وحاصروا أورشليم، وأخذوها عنوة، وهدموا هيكل أورشليم، وهلك أكثر من مليون يهودي، واقتيد الألوف إلى العبودية، وتفرقوا في بلاد مختلفة، ومنذ هذا الوقت لم يعد بإمكان اليهود أن يلحقوا الضرر بالمسيحيين، كما كانوا يفعلون سابقاً[1].

أما الاضطهادات العظمى على المسيحيين فقد كانت من قبل الرومان أصحاب السلطة آنذاك، إلا أن الحكومة الرومانية، لم تميّز بادئ الأمر بين المسيحيين واليهود، ولم يكونوا يعلمون بأن المسيحيين يؤلفون جمعية دينية مستقلة عن اليهودية، ولذلك تنعّم المسيحيون بادئ الأمر بذلك التساهل، من قبل الدولة الرومانية تجاه اليهود. إلا أن الأمر تغيّر منذ عام ٥٤م، حيث بدأت الحكومة الرومانية باضطهاد المسيحيين، ويرجع بعض المؤرخين المسيحيين السبب في هذا، إلى تبيّن الدولة الرومانية انفصال المسيحيين عن اليهود، وتأليفهم جمعية دينية مستقلة عنهم، فبدأت عندها تعاملهم بعداء خاصة وأن الديانة المسيحية كانت في ذلك الوقت قد انتشرت بسرعة غير عادية، فكانت تهدد بإلغاء الديانة القومية الرومانية[2].

أما البعض الآخر من المؤرخين المسيحيين، فيرجع السبب في هذا إلى اضطهاد الدولة الرومانية لليهود الذين بدؤوا يثورون ضدها، كما رأينا، مما أدى إلى اضطهاد المسيحيين، حيث كان ينظر للمسيحية على أنها هرطقة يهودية[3].

---

(١) ـ سمير نوف : تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٤٠، ٤٢.
ـ د . أسد رستم : الروم ١/ ٣٢.

(٢) سمير نوف : تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٤٤.

(٣) خريسوستمس بابا دوبولس : تاريخ كنيسة أنطاكية ص ٥٨.

ويشير المؤرخون المسيحيون إلى عشرة اضطهادات مرت بها الكنيسة المسيحية بين السنة ٦٤م والسنة ٣١٣م، ويبين هؤلاء المؤرخون أن هذه الاضطهادات لم تكن متتابعة، بل قد يعقبها في بعض الأحيان بعض التسامح، وذلك مرهون بأحوال الأباطرة الرومان الذين يتناوبون الحكم.

وأولى هذه الاضطهادات كانت في عهد نيرون، امبراطور الدولة الرومانية في الشرق والغرب (٥٤ ـ ٦٨م)، وقد أجري هذا الاضطهاد بموجب تشريع خاص صدر عن الأمبراطور نيرون سنة ٦٤م، وقد قضى فيه بأن لا يسمح لأحد بالانتساب إلى المسيحية[١].

وقد استشهد في هذا الاضطهاد في رومية الرسولان بطرس وبولس، واحتمل المسيحيون في رومية عذابات فادحة، استمرت حتى الموت، حيث ألبسوا جلود الوحوش، وهيِّجت الكلاب ضدهم، وصلبوا على صلبان، ثم صبت عليهم مواد ملتهبة، فأشعلوا في الليالي، بدلاً من المشاعل لإنارة حدائق نيرون[٢].

وفي مطلع القرن الثاني الميلادي، تطورت مجدداً حال المسيحيين في المملكة الرومانية إلى ما هو أسوأ، ففي زمن الامبراطور طرايان (٩٨-١١٧م)، صدر القانون الذي يمنع الجمعيات السرية، وذلك سنة ٩٩م.

وعلى الرغم من أن الامبراطور طرايان يعتبر أفضل مدبّر للمملكة، إلا أنه مع هذا كان مضطهداً للمسيحيين، حيث كان ينظر إليهم من وجهة نظره الوثنية.

---

(١) ـ د. أسد رستم: الروم ١/ ٣٣ ـ ٤٩.
ـ سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٤٤ ـ ٤٦.
هذا ويخالف المؤرخ سمير نوف ماذكره د. أسد رستم من أن نيرون أصدر تشريعاً عاماً بأن لايكون أحد مسيحياً، فيؤكد على عدم إصدار نيرون لقانون عام لكل المملكة بشأن المسيحيين، وأنه مع هذا لم ينحصر الاضطهاد في رومية وحدها، بل عمّ أرجاء الامبراطورية. المرجعان نفسهما.

(٢) المرجعان نفسهما، خريسوستمس بابا دوبولس: تاريخ كنيسة انطاكية ص ٥٨، ٥٩.
ـ المطران ميشيل يتيم، الأرشمندريت أغناطيوس ديك: تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية ص ٢٦.

وقد مسّ هذا القانون المسيحيين قبل كل شيء، حيث أصبح الانتساب إلى المسيحية جريمة ضد الدولة تستحق العقاب، وطورد المسيحيون من قبل المحاكم، فيما إذا جرت الشكاوى في حقهم من قبل الوثنيين، أما في عهد الامبراطور التالي (أدريان ١١٧ ـ ١٣٨م)، فقد ظهر لأول مرة محامون عن المسيحيين.

ومنذ منتصف القرن الثاني الميلادي إلى أوائل القرن الثالث (من عام ١٦١م إلى ٢١٩م)، حدثت تغييرات هامة في علاقة الحكومة الرومانية بالجمعية المسيحية، فقد بدا الامبراطور مارك أفريلي (١٦١ ـ ١٨٠م) متعصباً ضد المسيحية والمسيحيين، فأخذ باضطهادهم بشدة، حيث اعتبرهم ضالين عن الوثنية، فأراد إرجاعهم إلى جادة الصواب، ومن أجل ذلك نهج في الاضطهاد منهجاً سبق فيه سالفيه من الأباطرة، فبعد أن كان سلفه يكتفون بالشكاوى من قبل المواطنين الوثنين ضد المسيحيين، دون أن يتتبعوا ويفتشوا عن المسيحيين، أصدر الامبراطور أفريلي الأمر بالبحث عن المسيحيين وإقناعهم لكي يرتدعوا عن ضلالاتهم، أما إذا أصرّوا فليتعرضوا للتعذيب حتى الموت. فلم يكن في الاضطهادات السابقة شهداء بمقدار هذا الوقت، حيث حرّق بعضهم بالنار، أو طرحوا طعاماً للوحوش الضارية، . . . كما صدر في سنة ٢٠٢م أمر جديد، يمنع اعتناق المسيحية واليهودية تحت عقاب الموت.

أما حال المسيحيين منذ أوائل القرن الثالث إلى منتصفه، فإنهم قد حظوا بتسامح كبير، من قبل الأباطرة الذين اعتلوا العرش، فاستطاعت الجمعيات المسيحية في هذا الوقت أن تنتشر في المملكة الرومانية، واعتنق كثير من الأغنياء والأشراف المسيحية، إلا أن هذا لاينفي وقوع بعض اضطهادات قليلة في زمن الامبراطور مكسيمين التراكي (٢٣٥-٢٣٨م)، إلا أنها على كل حال اضطهادات لم

تشمل جميع المسيحيين في الدولة الرومانية، كما أنها كانت قصيرة جداً بسبب قصر المدة التي حكم فيها هذا الامبراطور[1].

ومنذ منتصف القرن الثالث (٢٤٩ ـ ٢٦٠م) بدأت الاضطهادات الكبرى تتوالى على المسيحيين، ففي عام ٢٥٠م، صدر مرسوم التحريم، وقد حرم فيه القول بالنصرانية، وقضي فيه بتعذيب المؤمنين لإرجاعهم إلى عبادة ا الأصنام، وألّفت الحكومة الرومانية لجاناً لتنفيذ هذا (البحث عن المسيحيين) وإرغام المسيحيين على عبادة الآلهة، وتقديم البخور والخمور لها، وتناول اللحم المقدس، وإلا حلّ بهم العقاب، فلاذ بعض المسيحيين بالهرب، وأنكر البعض المسيحية وقدموا الذبيحة للأصنام، بينما ثبت البعض على مسيحيتهم واحتملوا كل أصناف العذاب، فبقي بعضهم أحياء، وبعضهم عذِّب حتى الموت، وفاق هذا الاضطهاد بقساوته جميع الاضطهادات التي سبقته، عدا اضطهاد أفريلي[2].

كما صدر عام ٢٥٨م مرسوم ثانٍ، أمر فيه بإعدام جميع الأساقفة والكنهة والشماسة، أما النساء الشريفات (سيدات البلاط) المسيحيات، فإنهن يرسلن إلى المنفى، بعد حجز أملاكهن، إذا أصروا على موقفهن، أما الموجودون في خدمة البلاط، فإنهم يُسلبون أموالهم وحقوقهم، ويكرهون على العمل في أراضي الأباطرة مقيدين بالسلاسل، أما باقي الشعب فإن المرسوم لم يأت على ذكره، حيث إنهم كانوا في الواقع يعاملون دائماً بقساوة شديدة، ويلاحظ في هذا المرسوم أنه يتميز عن غيره في إيجابه مصادرة الأملاك[3].

(١) سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٤٥ ـ ٥٤.
(٢) ـ المرجع نفسه ص ٥٤.
ـ د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله ١/ ١٠٠، ١٠١.
(٣) ـ المرجع الأخير نفسه ١/ ١٠٥، ١٠٦.
ـ سمير نوف: تاريخ الكنيسة ص ٥٥، ٥٦.

أما حال الكنيسة منذ سنة ٢٦٠ م وحتى نهاية القرن الثالث، فقد كانت في راحة من الاضطهاد، بسبب تعاقب أباطرة على الحكم متسامحين مع المسيحية.

إلا أن بداية القرن الرابع شهد اضطهاداً ضد المسيحيين، وذلك أن الامبراطور ديو كلتيان (ديوقلسيانوس) (٢٨٤ ـ ٣٠٥م) الحكيم العادل، والذي كان متسامحاً مع المسيحيين بادئ الأمر، قد قسم الامبراطورية الرومانية إلى أربعة أقسام بأربع رئاسات، وذلك من أجل ضبط الامبراطورية الرومانية المتداعية، وكان هو يرأس أحد هذه الأقسام، وكان غاليري رئيساً لقسم ثانٍ، وقد زوّجه فيما بعد من ابنته، وكان لغاليري هذا دور كبير في إعادة الاضطهادات ضد المسيحيين، حيث نجح عام ٣٠٣م في إقناع الامبراطور باضطهادهم، وتبع ذلك مرسوم عام يتضمن مايلي: كل اجتماعات المسيحيين الدينية ممنوعة، والكنائس المسيحية يجب أن تهدم، ونسخ الكتاب المقدس يجب أن تصادر وتحرق، أما المتمسكون بالمسيحية فيحرمون من حقوقهم المدنية، ويسمح في محاكمات المسيحيين بالجلد، ونتيجة لذلك فقد أعدم كثير من المسيحيين ممثلي الكنيسة، وأحرق بعضهم بالنار، وأغرق البعض الآخر.

وفي سنة ٣٠٤م ظهر مرسوم، حكم بموجبه على المسيحيين إجمالاً بالجلد والتعذيب لإجبارهم على إنكار المسيحية وتقديم الذبيحة للأصنام، فبدأ تقتيل المسيحيين علناً، وكان معذبوهم يخترعون أنواعاً مختلفة من التعذيبات، لكي يجبروهم على إنكار المسيحية[1].

يقول المؤرخ دوبولس في هذا: «وبعض المسيحيين في أنطاكية تملكهم الخوف، فأسرعوا جملة إلى الأصنام، مقدمين ضحايا حتى ينجوا من الموت»[2].

---

(١) ـ د. أسد رستم: الروم ١/٣٨، ٣٩.
ـ سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٥٧ إلى ٦١.
ـ ميشيل يتيم وأغناطيوس ديك: تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية ص ٧٢.
ـ ول ديورانت: قصة الحضارة ١١/ ٣٧٨.
ـ خريسوستمس بابا دوبولس: تاريخ كنيسة أنطاكية ص ٧٤، ٧٥ ـ ٧٧.
(٢) المرجع نفسه ص ٧٦.

انتهاء الاضطهادات بصدور مرسوم قسطنطين الكبير[1]:

تغيرت أحوال المسيحيين في بداية القرن الرابع، حين اعتلى العرش الامبراطور قسطنطين الكبير، وهو ابن لقسطنطي خلور، أحد الرؤساء الثلاثة الذين عينهم الامبراطور ديو كلتيان على أحد أقسام الامبراطورية، وكان قسطنطي خلور، والد قسطنطين قد صار امبراطور الغرب، وغاليري امبراطور الشرق، وذلك بعد تنحي الامبراطور ديو كلتيان عن الحكم، وقد خلف الامبراطور قسطنطين أباه الامبراطور قسطنطي، وذلك عام ٣٠٦م، وكان معروفاً بتسامحه مع المسيحيين تماماً كما كان والده، وذلك على العكس تماماً مما كان عليه حال غاليري امبراطور الشرق.

وفي بداية عام ٣١٣م، أعلن منشوره في ميلانو، أذاع فيه بأن الديانة المسيحية مسموح بها في الامبراطورية، كما أمر بإرجاع كل ماأخذ من المسيحيين ومن كنائسهم من الأملاك الثابتة في زمن الاضطهاد الأخير.

وقد وافق امبراطور الشرق أيضاً على إعلان حرية المعتقد هذا (لغاية في نفسه)، وبهذا تنعّم المسيحيون في الشرق والغرب بالحرية الكاملة.

وفي سنة ٣٢٣م انتصر قسطنطين امبراطور الغرب على امبراطور الشرق ليكيني، وبذلك أصبح قسطنطين امبراطور الغرب والشرق معاً، كما كان أسلافه الأباطرة قبل ديو كلتيان، وهجر قسطنطين رومية، التي كانت عاصمة الامبراطورية

---

(١) ـ د. أسد رستم: الروم ١/ ٥١ ـ ٥٤، وكنيسة مدينة الله ١/ ١٨٣ ـ ١٨٩.
ـ سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٦٣، ٦٤، ١٧٩، ١٨٠.
ـ خريسو ستمس بابا دوبولس: تاريخ كنيسة أنطاكية ص ٨٠ ـ ٨١.
ـ ميشيل يتيم، أغناطيوس ديك: تاريخ الكنيسة الشرقية ص ٧٥، ٧٦.
ـ ول ديورانت: قصة الحضارة ١١/ ٣٨٢، ٣٨٦، ٣٨٧.

الرومانية سابقاً، وذلك سنة ٣٣٠م، ونقل عاصمته إلى بيزنطة، التي دعيت باسمه قسطنطينية.

وفي سنة ٣٣٧ تقبّل قسطنطين المعمودية، ولم يلبث بعدها سوى فترة وجيزة، ثم توفي، ويؤكد المسيحيون على أن قسطنطين قد آمن بالمسيح قبل المعمودية، منذ سنة ٣١٣م، حيث رأى إشارة الصليب مرسومة عند الشمس قبل المغيب، وذلك في أثناء معركة بينه وبين أحد خصومه، ويعلل د. أسد رستم عدم طلبه للمعمودية إلا في ساعة متأخرة، وقبيل وفاته، بأن قسطنطين قد رأى أن مصلحة الدولة والكنيسة تقضي بأن يظل هو حبر رومة الأعظم، ليتمكن من خدمة الاثنين معاً[1].

أثر هذه الاضطهادات في الديانة المسيحية:

لابد أن يكون لهذه الاضطهادات التي واكبت سير المسيحية منذ نشأتها وحتى بداية القرن الرابع، آثارها السلبية على الديانة المسيحية، وقد رأينا أثناء عرضنا لهذه الاضطهادات، كيف أمر الأباطرة بحرق الكتب المقدسة، وكيف أدى اضطهاد المسيحيين إلى خضوع البعض إلى مطالب الأباطرة، فارتدوا عن المسيحية إلى الوثنية.

ولايخفى أن هذه الاضطهادات الممتدة عبر ثلاثمائة عام، وما صاحبها من استشهاد لرسل المسيح وتلاميذهم، أو سجنهم، واختفاء من تبقى منهم على قيد الحياة هرباً بدينهم، قد أثّرت في نقل الديانة الصحيحة إلى الأجيال التي تليهم، وساهمت في نموّ أفكار جديدة لم تكن من المسيحية.

---

(١) د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله ١/ ١٨٩.

ولنا في كلام المسيحيين خير برهان، فهاهما المؤلفان المسيحيان، المطران ميشيل يتيم، والأرشمندريت أغناطيوس ديك يذكران الآثار السلبية لهذه الاضطهادات: «دام هذا الاضطهاد (الاضطهاد الأخير)، سنتين في الغرب، وعشر سنوات في الشرق، وقد أحدث في الكنيسة أضراراً جسيمة، فقد تهدمت المعابد ودور الكنائس، واحترقت الكتب المقدسة، والمؤلفات القديمة، ووثائق دور الأساقفة، وهذا مايفسّر لنا قلة معلوماتنا عن القرون الأولى وفقدان نصوص تآليف الأقدمين»[1].

ولذلك فإن هناك كثيراً من العلماء المسيحيين من يبحث عن قيمة الأناجيل، التي اعتبرت الأناجيل الرسمية بعد انتهاء عصور الاضطهاد، آخذين بعين الاعتبار، الوقت الذي دوِّنت فيه هذه الأناجيل، وهو عصور الاضطهاد، وهذا ماحدا ببعض علماء المسيحيين أنفسهم إلى أن يعتذروا عن بعض الاضطرابات في الأناجيل، معللين هذا بأنها دوِّنت في عصور اضطهاد المسيحية الأولى، يقول الإمام محمد أبو زهرة في هذا: «وفي الحق أن تلك الاضطهادات جعلت كل عمل يقومون به في شؤونهم الدينية ـ وخاصة ماكان متصلاً ببناء الشريعة ـ يقومون به سراً لا جهراً، وفي خفية من العيون المتربصة، والأعداء المترقبين، والسرية يحدث في ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى مايحكى عما يحدث فيها، فيتظنَّن في كل مايروى عنها، ولا مانع من أن يدسّ على اجتماعاتها مالم يجرِ فيها، وينقل عن أشخاصهم مالم يقولوه، ويتسامع الجمهور أموراً ماحدثت في تلك الاجتماعات، ولا قالها حاضروها، فإذا جرى الشك والريب فيما دوّن من كتب المسيحية، التي نقدتُ سندها بسبب هذا الاضطهاد، والتي كتبت في ظلمة السرية، يكون قد وقع حيث وجدت دواعيه، وقامت شواهده»[2].

---

(١) ميشيل يتيم، أغناطيوس ديك: تاريخ الكنيسة الشرقية ص ٧٥.

(٢) محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص ٣٢، ٣٣.

المبحث الثالث:

بولس الرسول ودوره في تحريف المسيحية[1]:

يكاد يتفق الباحثون في المسيحية وتاريخها من مسيحيين وغير مسيحيين على أن لبولس دوراً هاماً في تكوين المسيحية الحالية، حيث اعتمدت على مقولات بولس في تصوير العقيدة على النحو الذي تشكلت به في المجامع، التي سنتحدث عنها فيما بعد[2].

وبذلك يمكننا اعتبار المسيحية الحالية هي مسيحية بولس إلى حدّ كبير، إذ هو الذي وضع أسسها وأرسى قواعدها وفصّل عقائدها.

«ومن أجل ذلك يمتدحه المادحون، فيرونه رسولاً هادياً، ومؤسساً بانياً. . ، ومن أجل ذلك ـ أيضاً ـ ينتقده القادحون، فيرونه المسؤول الأول عن تبديل مسيحية عيسى عليه السلام وتغييرها وتحريفها، وحشوها بالوثنية الخرافية، والوضعية الأسطورية»[3].

ونظراً لأهمية شخصية بولس، لابد لنا أن نتعرف على البيئة التي عاش فيها، ومدى تأثير تلك البيئة على أفكاره، بالإضافة إلى معرفة كيفية تحوله إلى المسيحية.

---

(١) شارل جينير: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٨٧ إلى ١٣٠.
ـ هيم ماكبي: بولس وتحريف المسيحية ص ٢٩ ـ ٣١.
ـ ندرة اليازجي: رد على اليهودية واليهودية المسيحية ص٤٣٥.
ـ د. محمد عبد الله الشرقاوي: دراسات في الملل والنحل ص ١٣.
ـ الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٤٥.
ـ جوزيف هولزنز: بولس الرسول ص ٢١٧، ٢٩٥.

(٢) انظر ص٢١٧ من هذا الكتاب.

(٣) د. الشرقاوي: دراسات في الملل والنحل ص ١٣.

المطلب الأول: حياة بولس وقصة تحوله إلى المسيحية [1]:

ولد بولس في مدينة «طرسوس» من أعمال كيليكية[2]، وهو رجل يهودي، كان اسمه قبل أن يعتنق المسيحية «شاؤول»[3].

ولا يوجد بين أيدي المسيحيين من المصادر التي يستقون منها المعلومات عن بولس، سوى «أعمال الرسل» التي كتبها لوقا تلميذ بولس، ورسائل بولس نفسها.

ويروي لنا سفر أعمال الرسل حياة بولس، وهي قد احتلت الجزء الأكبر من ذلك السفر، وذلك على لسان بولس نفسه فيقول: «أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس كيليكية» [أعمال ٢٢ : ٢]، والغريب في هذا أن بولس نفسه لايذكر ذلك في رسائله أبداً، بل إنه يقول عن أصله: «أنا أيضاً إسرائيلي من نسل إبراهيم من سبط بنيامين» [رسالته إلى أهل رومية ١١/ ١]، وكأنه لم يكن يرغب في أن يعرف قرّاء رسائله أن أصله من آسيا الصغرى، من طرسوس.

أما تاريخ ولادته، فإن المصادر المعتمدة في هذا المجال، لم تتفق على تاريخ محدد في هذا المجال، وهي تتفاوت بين السنة الميلادية الأولى والسنة العاشرة، والشيء المؤكد في هذا، هو ولادته بعد ولادة المسيح بوقت قصير، إلا أنه مع هذا لم يره على الإطلاق.

بل لقد كان بولس من اليهود المعادين للمسيح والمسيحية، وكان يعلن عداءه هذا باضطهاده للمسيحيين. أما عن كيفية تحوله إلى المسيحية فقد تمت عام ٣٧م،

---

(١) ـ شارل جنيبر: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٨٧ ومابعد.

ـ د. الشرقاوي: دراسات في الملل والنحل ص ١٧ إلى ٣٣.

ـ هيم ماكبي: بولس وتحريف المسيحية ص ٣٥ إلى ٤٤.

(٢) تقع مدينة طرسوس جنوب تركيا وشمال سورية، على بعد حوالي سبعة عشر كيلومتراً من شاطئ البحر الأبيض. المرجع الأخير نفسه ص١٧.

(٣) أكبر الظن أن اسم بولس هو اللفظ اليوناني المرادف لاسمه العبري (شاول).

ويعتبر سفر أعمال الرسل المصدر الوحيد الذي ذكر حادثة تحوّله من اليهودية إلى المسيحية، إلا أن المدقق في هذا السفر، يجد ثلاث روايات متناقضة في ذكر هذه الحادثة، يناقض كل منها الآخر في بعض التفاصيل، إلا أننا سنذكر إحدى هذه الروايات، تاركين التفصيل فيها إلى الكتب المتخصصة في هذا المجال مخافة التطويل، وسنكتفي بالإشارة إلى مواضعها من سفر أعمال الرسل.

يذكر مؤلف سفر أعمال الرسل عن بولس، كيف أنه كان ذاهباً إلى دمشق من أجل اضطهاد المسيحيين وسوقهم إلى أورشليم موثقين: «وفيما هو منطلق وقد قرب من دمشق، أبرق حوله بغتة نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتاً يقول له: شاول شاول، لمَ تضطهدني، فقال من أنت يارب، قال: أنا يسوع الذي أنت تضطهده. . . الآن قم وادخل المدينة وهناك يقال لك ماذا ينبغي أن تصنع» [أعمال ٩: ٣ـ٧].

أما الموضعان الأخريان فهما في [أعمال ٢٦: ١٣ـ١٨] و[أعمال ٢٢: ٦ـ ١٠].

أما رسائل بولس فإنها لا تذكر هذه الحادثة، أبداً ومع هذا فإنها تؤكد رؤية بولس للمسيح دون ذكر لتفاصيل هذه الرؤية «بولس رسول لا من الناس ولابإنسان، بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات» [رسالته إلى أهل غلاطية ١: ١]. ويعلّق (Edman) على هذا فيقول: «ولكن شهادة بولس الموثوق بها، لاتحدثنا عن التفاصيل، إنه لايصوّر الرؤيا على الطريق إلى دمشق، بل حتى لايعيّن حدوث الرؤيا هناك، إنه ببساطة يصرّ على رؤيته للرب عيسى الذي قام من الأموات»[1].

(١) د. الشرقاوي: دراسات في الملل والنحل ص ٢٩، ٣٠.

ويحاول الباحثون الغربيون أن يجدوا تفسيراً مقبولاً لتحول بولس إلى المسيحية فجأة، ومن غير سابق إنذار، وخاصة أنه كان من ألد أعداء المسيحية، وتختلف هذه التبريرات مابين تبريرات عاطفية، واصفين أنها معجزة إلهية، إلى مايذكره البعض من أن بولس كان يعاني من أمراض نفسية وعضوية، أدّت به إلى هذا التحول المفاجئ.

إلا أن الذي يرجحه بعض الباحثين المحققين في شخصية بولس ولاهوته، هو أن بولس عجز عن محاربة المسيحية من خارجها بالعنف والاضطهاد، فلجأ إلى سلاح محاربتها من داخلها، عن طريق الدس والتدمير الداخلي، فاخترع هذه القصة، لكي ينتسب للمسيحية من غير أن يثير حوله الشكوك.

وعلى الرغم من أن المسيحيين يؤكدون عدم رؤية بولس للمسيح أثناء حياته على الأرض، إلا أنهم يجعلون بولس في مصافّ الرسل الاثني عشر (تلاميذ المسيح الاثني عشر)، فيصير بذلك عدد الرسل ثلاثة عشر، وهذا ماينسبه بولس إلى نفسه، حين يقول: «بولس رسول لامن الناس. . . بل بيسوع المسيح»[غلاطية ١:١]، فهو بذلك يصرّ على رتبته الرسولية، مؤكداً على أنه لم يأخذها من أورشليم، أي من الرسل الاثني عشر، بل هو تسلمها عن طريق يسوع المسيح نفسه، فهو رسول ملهَم، وكل مايقوله ليس هو عن طريق الاجتهاد الشخصي منه، بل هو قد ألهمه إلهاماً (أوحي إليه)[1].

إلا أن ادعاء بولس لهذا الإلهام، هو ادعاء لا دليل عليه، سوى قول بولس نفسه، بل إن هناك ماينقضه وهو إقرار المسيحيين بأن نظرة بولس اللاهوتية (أفكاره، وعقائده عن الله تعالى) مليئة بالتناقضات النفسية، وهي بالتالي لم تسقط

(١) ـ هيم ماكبي: بولس وتحريف المسيحية ص ١٤.
ـ جوزيف هولزنز: بولس الرسول ص ٧٩، ٢٩٦.

جاهزة من السماء، بل هي ثمرة من ثمار الصلاة التأملية، وعندما نقرأ رسائل بولس الواحدة تلو الأخرى، وفقاً لتسلسلها التاريخي، يمكننا أن ندرك التطور الفكري لبولس بكل وضوح وجلاء[1]، مما حدا ببعض المسيحيين المتحررين من التعصب، إلى الشك في رسولية بولس.

المطلب الثاني: البيئة التي عاش فيها بولس وأثرها في لاهوته:

ولد بولس من عائلة يهودية أقامت بمدينة طرسوس، وكان أبوه مواطناً رومانياً، وقد ورث عنه ابنه بولس هذا الحق الثمين، فكان يهودياً رومانياً بآن واحدة.

وتبيّن لنا قراءة سفر أعمال الرسل بأن بولس كان قد تعلم في أكاديمية القدس الفريسية، وهي من ألمع المدارس اليهودية آنذاك، وأنه قد كان على علاقة بكهنتها، وأنهم هم الذين أرسلوه لاضطهاد المسيحيين في دمشق. [أع إصحاح ٥ , ٦ , ٩]، إلا أن بولس لايذكر شيئاً من هذا عن نفسه في رسائله. ويعقب على هذا الأستاذ شارل جينيبر فيقول: «وليس في وسعنا بطبيعة الحال نفي هذا الخبر بصورة قاطعة... وأغلب الظن في رأينا، أنه تلقى فعلاً العلوم الخاصة بأصول اليهودية واستوفاها، وتدرج في الدراسات الدينية إلى أبعد حدودها، ولكن في غير القدس من المدن فلم تكن فلسطين هي الموطن الوحيد للعلماء اليهود»[2].

---

(١) المرجع نفسه ص ٧٩، ٢٩٦، ٢٤٩، ٤٠٠.

ـ وانظر مناقشتنا لإلهامية بولس وكتبة الأناجيل في ص ٢٩٠، ٢٩١ من هذا الكتاب.

(٢) شارل جينيبر: المسيحية ص ٨٩.

ـ وانظر هيم ماكبي: بولس وتحريف المسيحية ص ١٧.

ـ والأب توماس اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٤٥.

ـ ول ديورانت: قصة الحضارة ج١١/ ٢٦١ ـ ٢٦٥.

أما طرسوس المدينة التي نشأ فيها بولس، فكانت في ذلك الوقت حلقة الاتصال بين آسيا الصغرى والشام، ومفرق الطرق التجارية الهامة، فكان فيها خليط من البضائع المختلفة، بالإضافة إلى المعتقدات والأفكار الوافدة إليها من البلدان المحيطة بها.

وقد ازدهرت في طرسوس المدارس اليونانية، وقام بين رحابها مايمكن أن يسمى اليوم بـ«الجامعة»، «ويقول المؤرخ سترابون عن تلك الجامعة: إنها كانت سبباً لشهرة المدينة في العالم اليوناني الروماني، وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسات الفلسفية»[1].

كما شاعت في طرسوس الفلسفات اليونانية على وجه العموم، والفلسفة الرواقية على وجه الخصوص، وإذا مارجح الباحثون أن بولس لم يكن من رواد جامعة طرسوس، ولامن دارسي الفلسفة الرواقية، فإن هذا لاينفي عنه معرفته بالرواقية، حيث عاش في هذا الوسط المشبع بالتراث اليوناني، ولذلك فإن الدكتور A.M.Hunter مفسر رسائل بولس، يؤكد استخدام بولس لكلمات ومفردات رواقية في رسائله[2].

وقد أكد الكاتب الألماني هولزنز على أن بولس إنسان مثقف، مطلع على ملاحم هوميروس[3] (أسطورة يونانية تتحدث عن آلهة بشرية)، وأنه جرّاء اتصاله

---

(١) شارل جينيبر: المسيحية ص ٨٨.

(٢) د. الشرقاوي: دراسات في الملل ص ١٩.

تقول الفلسفة الرواقية باللوغوس أو العقل منبثاً في العالم وتسميه الله، انظر يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٢٤. هذا وقد استخدم بولس اصطلاح اللوغوس بمعنى «كلمة الله»، وأطلقه على المسيح [عب ١: ٢-٤]. انظر جوزيف هولزنز: بولس الرسول ص٤٠٥.

ـ القس د. حنا الخضري: تاريخ الفكر المسيحي ص ٢٨٦ـ٣٨٨.

(٣) جوزيف هولزنز: بولس الرسول ص ١٧٠.

باليونان التصقت به بعض العبارات الطيّارة التي تدهشنا ونجدها في مواعظه ورسائله، فهو يستعمل عبارة موجودة في صلاة لكيانيش المشهورة للإله جوبيتير «إننا من ذريته»، فيستعملها في موعظته لأهل أثينا [أعمال ١٧ : ٢٨][1]. كما يؤكد وجود بعض الشبه بين طريقة الوعظ عند بولس وبين كتب الرواقيين الشعبيين[2].

أما حالة طرسوس الدينية التي ترعرع بولس في أحضانها، فإنها تستدعي منا معرفة الوضع الديني في الشرق الآسيوي، حيث يتبين لنا وجود عدد من الآلهة كانت تحتلّ مكان الصدارة فيها، خلال العهد الأول لقيام المسيحية، وكانت بين هذه الآلهة أوجه شبه لاتحصى، إلى درجة أنها امتزجت وتوحّدت في بعض الأحيان، وكان أهمها أتيس في بلاد الفريجيين، وأدونيس في الشام، وملكارت في فينيقيا، ثم تموز ومردوك في ربوع مابين النهرين، وأوزيريس بمصر، وعلينا أيضاً إذا أردنا الإنصاف، أن نذكر الإله الفارسي ميثرا، الذي بدأت شهرته في تلك العصور بين رحاب الامبراطورية الرومانية [3].

وإذا مانظرنا إلى هذه الآلهة في هذه الديانات الشرقية (الوثنية) لنبحث عما هو مشترك بينها، نجد أن الأساطير تنص على موت هذه الآلهة في مواسم معينة من السنة، ومن ثمّ بعثهم في مواسم أخرى، من أجل خلاص البشرية من الموت[4].

ويشرح الأستاذ «شارل جينيبر» أستاذ تاريخ الأديان، الخطوات المختلفة التي يسيرها الإله، في مخيلة الناس، إذ ذاك، للقيام بهذا الدور، فيقول: «يتعذب الإله تماماً كما يتعذب الإنسان، ثم يموت كما يموت الإنسان، ولكنه يتغلب على العذاب

---

(١) المرجع نفسه ص ٧٨.

(٢) المرجع نفسه ص ٢١٧.

(٣) شارل جينيير : المسيحية ص ٩١، ٩٢.

(٤) انظرص ٢٠٢، ٢٠٣ من هذا الكتاب.

وعلى الموت، إذ يبعث من جديد، وأتباعه يمثلون رمزاً، ويجدّدون كل عام، بشكل ما، مأساة حياته على هذه الأرض»[1].

أما الآلهة في طرسوس خاصة، فالراجح أن هنالك إلهين لهما مكانة خاصة، الأول يدعى «بعل طرز» أي سيد طرسوس، والثاني «ساندان»، «وكان يقام في طرسوس مهرجان سنوي لتكريم ساندان، ويبلغ هذا الاحتفال ذروته عند التظاهر بإحراق تمثال هذا الإله، وقد كانت فكرة بعثه إلى حياة جديدة هي محتوى هذا الطقس الديني»[2].

وإذا ماتتبعنا أقوال بولس وآراءه في المسيحية، نجد أنه قد اقتبس من هذه الديانات الشرقية، وطبعها بطابعه المسيحي، هذا ماعليه كثير من الباحثين في المسيحية، بل وحتى المتعصبين منهم، يقرّون باستعارة بولس من الوثنية أو من الفلسفة اليونانية بعض اصطلاحاتها.

وإليك بعض هذه الأقوال التي قيلت على سبيل مدح بولس أو ذمّه:

يقول المؤرخ المسيحي ول ديورانت: «هذه الأديان الخفية ـ الوثنية ـ هي التي أعدت اليونان لاستقبال بولس، وأعدت بولس لدعوة اليونان»[3].

كما يقول المؤلف جوزيف هولزنز في معرض مدحه لبولس: «وضع الشريعة في مصافّ العبادات الطبيعية الوثنية، مع عبادات إله القمر وإلهة الأرض كيفالي...»[4].

---

(١) المرجع نفسه ص ٩٥، ٩٦.

ـ وانظر جوزيف هولزنز: بولس الرسول ص ٨٦، ٨٧، ١٠٩.

(٢) د. الشرقاوي: دراسات في الملل والنحل ص ٢١، ٢٢..

(٣) المرجع نفسه ص ٢٢ نقلاً عن ول. ديورانت.

(٤) جوزيف هولزنز: بولس الرسول ص ٢٩٥.

أما المؤرخ الفرنسي رينان فهو يرى أن بولس قد طمس على براءة عيسى وغيبها في ضباب من اللاهوت والتعابير المعقدة[1].

ويقول الأستاذ جينيبر: «فمن المرجح إذن، إن لم يكن من الثابت تاريخياً، أن بولس تدرّج في نشأته الأولى بين أحضان بيئة مشبعة تماماً بفكرة «النجاة» هذه القائمة على شفاعة أو وساطة إله يموت ثم يبعث ويشاركه أتباعه مصيره، إذ يتحدون به ـ لا بالإيمان المطمئن القوي فحسب، ولكن أيضاً بالطقوس الرمزية الفعّالة (الأسرار)»[2].

المطلب الثالث: اللاهوت المسيحي (الأفكار العقائدية المسيحية) عند بولس:

١ ـ تعميم الدعوة المسيحية:

إن بولس هو أول من أخرج المسيحية من جانبها الضيق الذي كانت عليه في عهد المسيح، وهي الدعوة في فلسطين وبين بني إسرائيل فقط، إلى الحيّز الواسع، حيث جعلها رسالة عالمية، وراح يبث المسيحية في أقطار العالم، مبتدئاً بالامبراطورية الرومانية جميعها، فكتب رسائل أرسلها إلى بلدان كثيرة، كما قام برحلات ثلاث، جاب خلالها معظم الامبراطورية الرومانية، ونحن نرى في هذا تحدّياً من بولس لأقوال المسيح الصريحة الواردة في الانجيل، التي تفيد حصر رسالته في بني إسرائيل فقط، وأنه جاء لهداية خراف إسرائيل الضالة، ووصاياه لتلاميذه، بقوله: «إلى أمم لاتمضوا... بل اذهبوا بالحريّ إلى خراف بني إسرائيل الضالة»

---

(١) هيم ماكبي: بولس وتحريف المسيحية ص ٣٢.

(٢) ـ شارل جنيبير: المسيحية ص ١٠٣.

ـ وانظر ندرة اليازجي: رد على اليهودية واليهودية المسيحية ص ٤٣٥.

ـ والقس فهيم عزيز: الفكر اللاهوتي في رسائل بولس ص ٢٢.

[متى ١٠: ٥، ٦]، وبالطبع، فإن بولس أدرك مايفعله، وأنه بهذا يناقض أقوال المسيح، فراح لذلك يؤكد على تسلّمه لهذا بإعلان (وحي) من يسوع[1]، وماذاك إلا لكي يعطي مايقوله صفة الشرعية فقال: «واعلموا أيها الأخوة أن الإنجيل الذي بشرتكم به ليس إنجيلاً بشرياً، فلاأنا تسلمته من إنسان ولاتلقيته، بل جاءني بإعلان من يسوع المسيح» [غلاطية ١: ١١].

٢ً - إلغاء الشريعة الموسوية:

لقد كان لتبشير بولس بالمسيحية بين الوثنيين، أثر كبير في تغيير تعاليم المسيح الذي يقول: «لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس (الشريعة) والأنبياء، ماجئت لأنقض بل لأكمل. . . الحق أقول لكم إنه إلى أن تزول السموات والأرض لايزول من الناموس بناء ولانقطة ولاحرف حتى يتم الكل» [مت ٥: ١٧].

إلا أن بولس، ورغبة منه في ترغيب الوثنيين (الأميين) في الدخول بالمسيحية، ألغى بعض تشريعات موسى عليه السلام، بما فيها فريضة الختان، وأحلّ لهم لحم الخنزير، كما ألغى السبت وجعل عوضاً عنه الأحد (وهو يوم الشمس عند الوثنيين)[2].

هذا ولم يكتفِ بولس بإلغاء بعض تشريعات التوراة فقط، بل نراه في بعض الأحيان يلغي اعتبار الشريعة على الإطلاق، مؤكداً أن الخلاص هو عن طريق الإيمان لا الأعمال.

---

(١) قد يكون لبولس مستند في ذلك، هو قول المسيح الذي يرويه عنه إنجيل متى فقط، وذلك بعد قيامته من الأموات، «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» [مت ٢٨: ١٩] إلا أن هذه الآية التي ينسبها متى إلى يسوع تناقض ماورد عنه في مواضع أخرى، أوردتها الأناجيل جميعها، من عدم إرساله إلا إلى بني إسرائيل . . . بالإضافة إلى أن مفسري الكتاب المقدس المسيحيين يرجّحون كون هذه الوصية التي وضعها الإنجيل على لسان يسوع، ليست من كلام يسوع، بل هي موجز الكرازة المسيحية للتعميد آنذاك، انظر ص٩٣، ٩٤ من هذا الكتاب.

(٢) جوزيف هولزنز: بولس الرسول ص ٢٣١، ١١٨.

ويقول البروفسور (W.D.Davies) : «ظل موقف بولس تجاه الشريعة من أكثر المواضيع المثيرة للجدل في التفكير الديني المسيحي، وخصوصاً دراسات العهد الجديد.

هنا يجد المرء نفسه مرة أخرى أمام مسألة شائكة للغاية، وهي عدم معرفة موقف بولس الحقيقي والواضح من الشريعة»[1].

فبولس في رسالته إلى أهل غلاطية يشن هجوماً شديداً على الشريعة، حيث يعتبر بحق لاغياً للشريعة اليهودية، وذلك حين يؤكد على أن التبرر (حالة البر) إنما تنال بالإيمان لا بالعمل، فلو كان البر بالشريعة، لكان موت المسيح عملاً لا داعي له [غلاطية ٣: ١١، ١٢]، فالمسيح افتدى البشرية من الخضوع للناموس (الشريعة) ومن اللعنة التي تحلّ على كل من لا يخضع له، وذلك حين افتداهم بنفسه، حيث صار لعنة لأجلهم، حين علّق على الصليب، لأنه ملعون كل من يعلّق على الصليب، وذلك بنص التوراة[2] [تثنية ٢١: ٢٢] فالخلاص عنده هبة مجانية من الله عن طريق فداء المسيح لهم، ولا يمكنهم أن يكتسبوها بأية وسيلة.

إلا أننا نرى موقف بولس من الشريعة في رسالته إلى أهل روما يختلف عن هذا، حيث يعتبر الشريعة مقدسة وعادلة وصالحة[3]، ونتساءل عن السبب الذي

---

(١) د. الشرقاوي: دراسات في الملل والنحل ص ٦٦.

(٢) إلا أن كلام بولس هذا غير صحيح، إذ أن آية العهد القديم تنص على أن الذي يقتل بخطيئة يستحق بها القتل، فيعلق على خشبة، عند ذاك يحكم عليه بأنه ملعون [تثنية ٢١ : ٢٢، ٢٣]، فليس المراد إذاً أن كل من يعلق على خشبة ملعون، فهذا من بولس تزوير للعهد القديم، وما ذاك إلا من أجل أن يجعل المسيح ملعوناً ليتحمل اللعنة عن البشرية، فيتخلصوا من الخضوع للناموس الذي هو بنص العهد القديم ملعون كل من لايخضع له [تثنية ٢٧ : ٢٦، غلاطية ٣ : ١٠].
انظر محمد الصادقي: عقائدنا ص ١٧٠.

(٣) ـ د. الشرقاوي: دراسات في الملل والنحل ص ٦٩ ـ ٧١.
ـ وانظر جوزيف هولزنز: بولس الرسول ص ١١٨، ٤٥٢.
ـ توماس اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٤٥.
ـ عبد المجيد الجندي: ملكوت الله في النصرانية ص ١١٢.

حدا ببولس إلى هذا، ويحاول المسيحيون إيجاد مخرج من هذا المأزق، إلا أن تبريراتهم في هذا المجال هي تبريرات واهية، يكلفون أنفسهم فيها مالاطاقة لهم به، ولو أننا أمعنا النظر في الرسالة التي وجهها بولس إلى أهل كورنثوس لأدركنا السبب، حيث يقول فيها: «فصرت لليهود كيهودي، لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس، مع أني لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس المسيح، لأربح الذين بلا ناموس» [رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ٩ : ٢٠، ٢١][1].

وبذلك نرى أن إلغاء الناموس (شريعة التوراة)، هو نتيجة حتمية لإدخال الوثنيين في المسيحية، وهذا يسهل علينا الآن معرفة السبب في تشديد المسيح وصيته لتلاميذه بعدم الخروج عن دائرة بني إسرائيل.

وها هو ذا اللاهوتي القس فهيم عزيز يقرّ بأن بولس قد أضاف من عنده أشياء لم يقلها المسيح ولا تلاميذه، فيقول: «ولعلّ أهم أمرين أضافهما الرسول (بولس) هما صلة موت السيد بالناموس، ثم صلته بالإنجيل إلى الأمم وليس فقط لليهود ... وهذا الأمر لم تدركه الكنيسة الأولى تماماً»[2].

٣ ـ فكرة الخطيئة الموروثة وتجسد الابن وصلبه فداء للبشرية :

جاء بولس كذلك بفكرة الخطيئة الموروثة والخلاص منها، أي بعقيدة الفداء، التي تعتبر إحدى عناصر العقيدة المسيحية الحاضرة[3]، والمرتكز الذي يُرتكز عليه في تجسد الابن، وتأليه المسيح.

---

(١) كتبت رسالة روما إلى يهود وغير يهود، بينما وجهت رسالة غلاطية إلى وثنيين فقط، فبولس لايعترف إلا للوثنيين الذين تبعوه، وربما لبعض اليهود، بأن التوراة صارت منسوخة .

ـ هيم ماكبي : بولس وتحريف المسيحية ص ٨٤.

(٢) القس فهيم غزيز : الفكر اللاهوتي ص ١٦٨، ١٦٩ .

(٣) انظر (اكو ١٥ : ٤٩، ٢ كو ٤ : ٤ ، رومية ٥ : ١٢ ـ ٢١).

وفكرة الخلاص والفداء هذه فكرة اقتبسها بولس من الأفكار الدينية الوثنية السائدة آنذاك[1]، يقول المؤرخ ول ديورانت في هذا: «ولقد أنشأ (بولس) لاهوتاً لاتجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح، أما أسس هذااللاهوت فأهمها أن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم، ولا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفّر بموته عن خطيئته»[2].

فراح ينادي بأن المسيح مات وصلب من أجل فداء خطايا البشرية، حتى إنه يمكننا أن نقول إن بولس هو أول من فسّر عملية صلب المسيح على أنها للفداء وتكفير الخطايا، مع أن هذه الفكرة لم تكن واردة حتى عند كتبة الأناجيل الأربعة المعتمدة، وكان من جرّاء ذلك أن نسب إلى المسيح ألقاباً جديدة، من بينها «ابن الله»، «الرب»، «السيد»، «صورة الله»، «السابق الوجود»، «المخلص»، «الفادي»[3].

كما أطلق على المسيح لقب «الله» مرتين[4]، [رومية ٩ : ٥، أعمال ٢٠ : ٢٨].

ويمكننا القول: إن ألقاب «ابن الله»، «الرب»، «السيد»، كانت مستخدمة من قبل بني إسرائيل بكثرة، قبل أن يستخدمها بولس وينسبها للمسيح، ولكنها كانت مستخدمة حسب المعنى المجازي لا الحقيقي، بالإضافة إلى أن المسيح نفسه كان ينادى من قبل المسيحيين بـ «يارب» بمعنى أيها المعلم الأعظم، وذلك بإقرار

---

(١) انظر ص٢٠٢ من هذا الكتاب.

(٢) د. محمد أحمد الحاج: النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ١٤٥، نقلاً عن ول ديورانت.

(٣) ـ انظر رو ١٥ : ٦، أف ١ : ٣، ٢كو ١ : ٣، غلا ٤ : ٤، ١كو ١٢ : ٣، ٨ : ٦، اتيمو ٦ : ١٥، كولوسي ١ : ١٥ـ١٩.

ـ انظر د. حنا الخضري: تاريخ الفكر المسيحي ص ٣٨٥ـ٣٩٠.

(٤) القس فهيم عزيز: الفكر اللاهوتي ص ١٣٦، ١٤١، ١٥٢.

اللاهوتيين المسيحيين، أما بولس فإنه قد استخدم هذه الألقاب، وأطلقها على يسوع، بمعنى آخر غير ماكانت تستعمل له، أطلقها بمعناها الحقيقي لا المجازي[1].

وبذلك فإن بولس يصور المسيح شخصية إلهية تسبق العالم نفسه في الوجود «بكر كل خليقة» [كولوسي ١ : ١٥]، وأن هذا الابن قد أرسله الآب مولوداً من امرأة، فظهر الله في صورة عبد، وما ذاك إلا من أجل فداء البشرية[2]، وبهذا نرى أن بولس هو أول من قال بالتجسد، وأرسى دعائمه (الخطيئة الموروثة والفداء منها).

وإذا ماكنا نرى في بولس، من خلال دراستنا لرسائله، الداعي الأول لتأليه المسيح وإرساء عقيدة التجسد[3]، والفداء، . . . إلا أن هذه العقائد التي أرساها بولس لم يكن حاسماً فيها، على الرغم من أنه هو الذي افتراها وشق طريقها[4]، بل رأينا كيف أن المسيحيين يقرون بتطور اللاهوت الفكري لبولس من رسالة إلى أخرى[5].

---

(١) المرجع نفسه ص ١٣٦، ١٤١.

ـ أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح ص ٤٤، وانظر ص ١٢١ من هذا الكتاب.

ونحن إذا ماتصفحنا الأناجيل الأربعة، فإننا لانجد فيها عبارة «ابن الله»، منسوبة إلى المسيح، إلا نادراً جداً، وعلى لسان تلامذته، أما بولس فقد استخدمها في رسائله بكثرة، بالإضافة إلى اتفاق أساتذة المسيحية على أن المسيح لم ينسب إلى نفسه لقب «ابن الله»، ولم يستخدمه على الإطلاق.

ـ د . الشرقاوي : دراسات في الملل ص ٩٠، ٩٤.

(٢) ـ القس فهيم عزيز : الفكر اللاهوتي ص ١٤٥، ١٤٦.

ـ جوزيف هولزنر : بولس الرسول ص ٩٣.

(٣) إن إنجيل يوحنا هو وحده من بين الأناجيل الذي يتماشى مع رسائل بولس في تأليهه للمسيح، إلا أننا إذا أخذنا بعين الاعتبار زمن كتابة رسائل بولس مابين (٥٠ إلى ٦٠)، وزمن كتابة إنجيل يوحنا (مابين ٦٨ إلى ١١٥م)، أدركنا أن إنجيل يوحنا على فرض صحة نسبته إلى يوحنا الرسول، قد اعتمد في كتابته للإنجيل على رسائل بولس، بحيث يصح لنا القول بأن بولس هو أول من قال بالتجسد وتأليه المسيح.

(٤) هيم ماكبي : بولس الرسول ص ٩٧.

(٥) انظر ص ١٧٦، ١٧٧ من هذا الكتاب.

ولذلك فإننا نراه تارة ينسب للمسيح لقب الله، وتارة يميز بينه وبين الله، فلم تكن فكرته في هذا واضحة جلية، بل هي مليئة بالمتناقضات، إلا أن أفكاره حول المسيح لم تلبث أن تبلورت على يد من بعده من المسيحيين، الذين ساروا سيره.

ويرى المؤلف شارل جينيبر أن تصوير بولس للمسيح بأنه ابن الله وبكر كل خليقة لايجعل منه إلهاً كما هو الله تماماً، بل إن بولس كان يميّز تماماً بين الله وبين ابن الله، الذي أطلق عليه أيضاً اسم السيد، فالسيد عنده هو شخص مهيمَن عليه من قبل الله، وهو طوع أمره، وخاضع له تمام الخضوع، «لكن لنا إله واحد، الآب الذي منه كل شيء، ونحن إليه، وربٌ واحد يسوع المسيح الذي به كل شيء ونحن به» [اكورنثوس ٨ : ٦][1].

«وإذا أردنا التحديد وجب القول بأن بولس كان يرى أن «السيد» (المسيح) يمثل بمفرده «صنفاً من أصناف الخليقة»، يعتبر أقرب صنف إلى الله، ويمكن وصفه بـ «إلهي». ومن ناحية أخرى، فمن المؤكد لدينا أن الاعتقاد بألوهية المسيح بعد ذلك كان لابد له من النمو، إذ بدا تصوير بولس له مشوباً بالكثير من التردد والنقص، بحيث لم يقدر له مقاومة الزمن، واتجهت تقوى المؤمنين في قوة، دون ماإدراك للعقبات، إلى تنشيط الإيمان بالوحدة بين «السيد» و «الله». »[2].

٤ ـ التثليث وألوهية الروح القدس: أما عقيدة التثليث وألوهية الروح القدس في تعاليم بولس، فإنه باعتراف المسيحيين، لم يعط تعليماً واضحاً عنها، فهو لم يترك في كتاباته عقيدة محددة عن الثالوث والأقانيم الإلهية (أي جوهر واحد، ثلاثة أقانيم متميزة، ولكنها بنفس الوقت متحدة. . .)، بل كل ماهنالك أنه

---

(١) ـ شارل جينيبير : المسيحية ص ١٣٦ .

ـ أسطورة تجسد الإله ص ٥٢ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٣٧ .

تعرض لذكر الآب، وذكر الابن، تارة على أنه إله، وتارة على أنه في مرتبة دون مرتبة الله، أما الروح القدس فإنه لم يعط عقيدة وافية واضحة عنه، فهو قد تعرض لذكره في رسائله على أنه روح بمعنى تيار قوي غير طبيعي يؤثر في الناس، أما ألوهيته وانبثاقه من الآب . . . ، فهو ما لم يذكره أبداً[1].

وبهذا نرى، بأنه مهما يكن من أمر بولس، وتغييره لتعاليم المسيح، وتعليمه بإنجيل يخالف إنجيل المسيح، فإن ماعليه العقيدة المسيحية الآن من التثليث وألوهية المسيح والروح القدس، هي عقيدة غريبة، بعض الشيء، حتى عن فكر بولس مؤسسها الحقيقي، إلا أنه مع ذلك يعدّ واضع البذرة الأساسية لها، حتى نمت في تربة خصبة من الأفكار الوثنية عبر العصور.

٥ ـ الأسرار الكنسية :

أما عن الأسرار الكنسية، فقد كان لبولس دور المؤسس لها، حيث أصبحت بعض التقاليد الشائعة لدى الحواريين، كالتعميد وتناول الخبز جماعة، أصبحت مع بولس شعائر مقدسة، ويرجع هذا إلى تأثر بولس بأساطير الشفاعة والخلاص الشائعة في بيئته الوثنية في طرسوس خاصة، وآسيا الصغرى عامة، حيث كانت أكثر الطقوس فيها إثارة للعواطف تلك المتعلقة بفكرة التطهر وبمفهوم الأضحية، سواء منها الأضحية المكفرة عن الذنوب، بغية تهدئة الغضب الإلهي، أو المهداة إلى الإله من أجل إرضائه، أو من أجل التقرب منه، وكان من شأن هذه الأضحية، التوحيد بين الأتباع وبين إلههم على أنهم جسم واحد أمامه.[2]

---

(١) القس فهيم عزيز : الفكر اللاهوتي ١٥٤ ـ ١٥٦.
(٢) انظر ص٢٠٧ من هذا الكتاب.

ولذلك راح بولس، من أجل جلب الوثنيين، ينهج على منهاجهم، فأوجد لتناول الخبز جماعة[1]، «تفسيراً ربطه برباط لاينفصم إلى عذاب عيسى الذي تحمّله لتخليص البشرية، وغمره غمراً بذلك المفهوم الخصب للتضحية من أجل التكفير ومن أجل التقرب والمشاركة في الذات الإلهية»[2].

«وفي الوقت نفسه اتخذت طقوس الاغتسال للتعميد معنى لايقلّ عمقاً عما سبق، ذلك أن بولس يقول في «الرسالة إلى أهل غلاطية» [٣: ٢٧]، «أما أنتم الذين عُمِّدتم في المسيح، فقد ارتديتم المسيح»، وهذا يعني أن المسيحي يتحد بالمسيح بواسطة التعميد»[3].

يقول المؤرخ ول ديورانت في هذا: «إن المسيحية لم تقضِ على الوثنية بل تبنّتها، ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها»[4].

ويقول Berry في كتابه [الأديان العالمية]: «لقد كوّن شاول (بولس) المسيحية على حساب عيسى، فهو في الحقيقة مؤسس المسيحية... وقد أدخل على

---

(١) ورد تناول الخبز جماعة مع يسوع في يوم الفصح في الأناجيل متى ومرقس ولوقا، أما يوحنا فيوردها برواية مختلفة تماماً، حيث يجعل المسيح هو المؤسس لطقس تناول الخبز والخمر، طالباً من تلاميذه أن يتعبدوا بهذا إلى أبد الدهر [يو ٦ : ٥٣ ـ ٥٨].

أما ماذكره كتبة الأناجيل الثلاثة الأولى فإنه لايدل على أن هذا التناول هو سر حقيقي من أسرار الكنيسة.

وإن أول تصريح مباشر عن جعل هذا التناول سراً مقدساً (القربان المقدس) من أسرار الكنيسة ورد في رسائل بولس، الذي يعتبر فعلاً المرجع الأول لفكرة القربان المقدس من أجل الخلاص والفداء (اكورنتوس ١١ : ٢٣ ـ ٣٠)، بالإضافة إلى أن سفر أعمال الرسل يدل على أن القربان المقدس لم يكن معروفاً بين طقوس النصارى في القدس (أع ٢ : ٤٢ ـ ٤٦).

ـ انظر هيم ماكبي : بولس وتحريف المسيحية ص ٤٩، ٥٠، ٥٤.

(٢) شارل جينيير : المسيحية ص ١٣٩.

(٣) المرجع نفسه ص ١٤٠.

(٤) د. محمد أحمد الحاج : النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ١٤٥.

ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب إليه العامة منهم، وأدخل صوراً من فلسفة الإغريق ليجذب إليه أتباعاً من اليونان، وعيسى أصبح ابن الله، حملت به أمه العذراء حملاً غير طبيعي، واحتلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً احتلته قديماً صورتا «حورس» وأمه «إيزيس» ووضعتا في كل الكنائس»[1].

وبذلك يمكننا تلخيص أهم القضايا التي يحتويها إنجيل بولس (رسائله):

١ ـ عمومية مسيحيته.

٢ ـ إلغاء بعض التشريعات الموسوية في بعض رسائله، منها فريضة الختان، تحريم الخنزير....، وإلغاء الشريعة الموسوية كلها في رسائل أخرى، مؤكداً على أن التبرر بالإيمان لا بالعمل، وأن المسيح قد افتدى البشرية من الخضوع للشريعة حين صار لعنة لأجلهم، فالشريعة تطبق على الأشرار فقط.

٣ ـ بنوة المسيح لله وتجسده (الله تجسد في المسيح).

٤ ـ فداء المسيح للبشرية من خطيئة آدم، حين صلب لأجلهم.

٥ ـ مصالحة الله للبشر بواسطة موت (ابنه) المسيح.

٦ ـ الموت مع المسيح والقيام معه عن طريق الإيمان، فالخلاص ينال بالإيمان بالمسيح الذي مات على الصليب من أجل أن يحيا الناس معه.

وبهذا نرى أن بولس الذي لم يرَ المسيح ولم يسمع منه، كما أنه لم يتتلمذ على أيدي تلامذته قط، قد أخذ يبشر بإنجيل يزعم أنه تلقاه من يسوع ومن أبيه مباشرة [غلاطية، الإصحاح الأول]، وبهذا أصبح هناك إنجيلان، إنجيل يسوع الذي عند تلامذته في أورشليم، وإنجيل بولس، وهو يختلف عنه في مسائل عدة، وهذا مايؤكده القس فهيم عزيز بقوله: «كل من يقرأ أقوال السيد وكتابات الرسول،

---

(١) المرجع نفسه. وانظر ص٢٠٣ من هذا الكتاب.

(٢) د. الشرقاوي: دراسات في الملل والنحل ص ٥٦ ـ ٥٩.

يجد أن هناك اختلافاً كبيراً بينهما في شكل هذه الأقوال، ويمكن أن يقال إن تعاليم السيد كانت مواعظ، بينما كتابات الرسول كانت أقرب إلى النبذ اللاهوتية».

«فالسيد كان يبشر بأن ملكوت الله[1] قد ظهر في حياته وفي تعاليمه وأعماله. . . أما الكنيسة الأولى ومعها الرسول بولس الذي أخذ عنها هذه الحقيقة، فقد أعلنت أن يسوع الناصري بموته وقيامته وصعوده إلى الآب، هو نفسه المخلص المنتظر. . . ومن هذا نرى أن يسوع أعلن أن في حياته وأعماله قد ظهر ملكوت الله، بينما الرسول، كواحد من الكنيسة الأولى، نادى بأن موت يسوع وقيامته وصعوده هو أساس الملكوت في حياة الناس. . . »[2].

المطلب الرابع: العلاقة بين بولس وتلاميذ المسيح[3]:

لا يوجد بين أيدينا من المصادر الأصلية عن حياة أصحاب المسيح المباشرين، رسله الاثني عشر[4] (الحواريين)، وعلاقتهما ببولس، سوى أعمال الرسل، ورسائل بولس.

---

(١) جاء المسيح مبشراً بملكوت الله، ومقصوده من ملكوت الله، حالة نفسية، حالة برّ تقوم على نبذ الأنانية والاعتصام بطاعة الله، وهذا ما ألمح إليه المسيح لما سأله أحد الفريسيين متى يأتي ملكوت الله، فأجابهم: «إن ملكوت الله يأتي بغير ترقب، ولا يقال إنه هنا أو هناك، لأن ملكوت الله في داخلكم». [لو ١٧: ٢٩، ٣٠].

(٢) القس فهيم عزيز: الفكر اللاهوتي ص ١٢١ - ١٢٣.

(٣) الحواريّون هم تلاميذ المسيح الاثني عشر، ويسمون بالرسل، لأن المسيح قد أرسلهم إلى البلدان، ليدعوا اليهود المتفرقين في البلدان (يهود الشتات) إلى المسيحية. [مت ١٠: ٢ - ٤].

(٤) شارل جنيبير: المسيحية ص ١١١، ١١٢، ١٣١، ١٣٣، ١٥٧.

- د. الشرقاوي: دراسات في الملل والنحل ص ٣٤ إلى ٥١.
- هيم ماكبي: بولس وتحريف المسيحية ص ٦٩ إلى ٧٩.
- ندرة اليازجي: رد على اليهودية ص ٤٣٥، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٥١.
- وانظر جوزيف هولزنز: بولس الرسول ص ٩٨، ١٠٩، ١٤٠، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ٢٩٦، ٢٩٣، ٣٥٥، ٤٦٧.

وحتى هذان المصدران، فإنهما لايعطياننا فكرة واضحة عن هذا، حيث إن أعمال الرسل مشكوك في صحة نسبتها إلى مؤلفها لوقا، أما رسائل بولس فهي لا ترينا حقيقة هذه العلاقة وما كان عليه فكر الحواريين وما يؤمنون به، إلا من خلال نظرة بولس ونقله لهذا... وعلى كل حال، فإننا إذا تصفحنا أعمال الرسل ورسائل بولس، نجد بينهما تضارباً كبيراً في كثير من الأحيان، مما يقلّل من أهميتهما وإمكانية الاعتماد عليهما كمصدر موثوق به.

وأهم مايمكننا قوله هنا، هو أن بولس قد عدّ نفسه رسولاً مكمّلاً للاثني عشر، وأخذ يبشر بإنجيل، ادّعى أنه لم يقبله من إنسان، ولاتعلمّه من أحد، بل بإعلان من يسوع المسيح [غلاطية، الإصحاح الأول].

ونرى هنا كيف يؤكد بولس على مسألة استقلاله التام عن تلاميذ المسيح، فهو لم يتتلمذ على أيديهم، كما أن إنجيله الذي يبشر به إنجيل لاعلاقة له بتعاليمهم التي أخذوها عن المسيح، بل إن بولس نفسه لم يصعد إلى أورشليم، مقرّ تلاميذ المسيح، ليناقشهم ويسمع منهم تعاليم المسيح، بل بقي مستقلاً عنهم بتعاليمه وإنجيله مايقارب ثلاث سنوات، ليسافر بعدها إلى أورشليم، حيث قابل الرسول بطرس وحده، من بين جميع التلاميذ، ثم رأى بعده الرسول يعقوب (أخو المسيح من أمه، ورئيس كنيسة أورشليم)[1]، وذلك حسب مايرويه بولس عن نفسه في رسالته إلى أهل غلاطية [غلاطية ١ : ١٨ , ١٩].

---

(١) لم يؤمن يعقوب بالمسيح إلا بعد صعوده إلى السماء، فهو لذلك ليس من الرسل الاثني عشر، وقد اختلف المسيحيون في يعقوب هذا هل هو أخوه من أمه أم لا، فذهب البعض إلى أنه أخوه من أمه، التي تزوجت بعد أن ولدته بيوسف النجار، الذي كان خطيبها عندما حبلت بالمسيح، وهي إذ ذاك عذراء، وذهب البعض إلى أنها بقيت عذراء طوال حياتها، ولم تتزوج يوسف هذا، أما إخوة المسيح الوارد ذكرهم في الإنجيل، فليسوا هم أولاد القديسة مريم، وإنما هم أولاد خطيبها من زوجته الأولى، وأن مريم لم تتزوجقطّ، ولم تنجب غير المسيح.

ـ ميخائيل مينا : علم اللاهوت ٣ / ٤٧٩ ـ ٤٨١.

إلا أن ماذكره بولس هنا عن نفسه، يتعارض مع ماورد في سفر أعمال الرسل، الذي يبين ذهاب بولس إلى أورشليم عقب اتباعه المسيحية مباشرة، وأن تلاميذ المسيح خافوا منه ولم يصدقوا أنه صار تلميذاً للمسيح، وأن برنابا (أحد تلاميذ المسيح السبعين) هو الذي قدّمه إلى الرسل الاثني عشر مؤكداً صدقه.

ـ أما موقف الرسل من آراء بولس وإنجيله، فيختلف اختلافاً متضارباً بين مايرويه بولس نفسه في رسائله، وبين مايرويه سفر أعمال الرسل.

فرسالة بولس إلى أهل غلاطية ورسالته إلى أهل كورنثوس تبينان لنا كيف كان الخلاف بين بولس وبين تلاميذ المسيح في أورشليم قائماً، حتى برنابا الذي كان مع بولس قد انحاز إلى باقي الرسل ضد بولس [غلاطية ٢ : ١١، ١٤]، وماذاك على الأرجح إلا لأنه قد تبينت له اتجاهات بولس وتغييره في المسيحية.

أما سفر أعمال الرسل فهو يبرز لنا التلاميذ في صورة المقرين لبولس على رسالته الجديدة، مبيناً كيف صحبه برنابا في رحلات تبشيرية كثيرة [أع ١١ و١٢ و١٣ و١٤]، وهو مع هذا لايستطيع أن يخفي حدوث الشجار بين برنابا وبولس، والذي أدّى إلى مفارقة أحدهما للآخر [أع ١٥ : ٣٩].

وأهم تناقض نذكره في هذا هو الرواية لحادثة اجتماع بولس بالتلاميذ في القدس، فسفر أعمال الرسل يؤكد على تأييد التلاميذ لبولس تأييداً عاماً في اجتماع القدس سنة ٥١م، الذي انعقد من أجل البحث في حال من اتبع المسيحية من الوثنيين، مبيناً أن الخلافات بينهم كانت عارضة، لم تلبث أن زالت، وحلّ محلها الوفاق التام مع بولس على أن إنجيله الخاص هو للأميين (الوثنيين)، والذي يعفيهم من الختان والحفاظ على الناموس الموسوي [أعمال ١٥]. ويوجب عليهم الامتناع فقط عن الزنا والحيوان المخنوق والدم وعما ذبح للأصنام.

أما رسائل بولس فهي تختلف عن هذا، حيث تبين لنا أن بولس سافر إلى القدس بعد أربعة عشر عاماً ليعرض عليهم الإنجيل الذي يبشر به بين الأمم، وإنه

التقى بالمعتبرين فقط من التلاميذ على انفراد، وليس في اجتماع عام، وأن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا عليه بشيء، ولم يعطه يمين الشركة سوى يعقوب وصفا[1] (بطرس) ويوحنا وبرنابا، على أن إنجيله هو للأمم، أما الإنجيل الذي بأيديهم فهو لليهود، إلا أن بطرس قد عاد فقاومه هو وبرنابا وجميع التلاميذ، ويتحدث بولس عنهم باستخفاف واستهتار [غلاطية ٢ : ٢ ـ ١٤].

ويعقب على هذا التناقض المؤرخ هيم ماكبي (أستاذ تاريخ الأديان في معهد ليوبايك بلندن)، فيقول: «إن كاتب «أعمال الرسل» [لوقا] محنك خبيث، فهو لايريد أن يوحي بأن بولس هو الذي اخترع هذه المسيحية، بل يريد أن يقنعنا بالأصل المعتبر، وأن كنيسة بولس ليست إلا استمراراً لكنيسة القدس»[2].

وإذا ماتبين لنا اختلاف سفر أعمال الرسل عن رسائل بولس في وصفه للعلاقة بين بولس وباقي التلاميذ، وإذا ماأخذنا بعين الاعتبار أهمية معرفة هذه العلاقة ليتبين لنا موقف التلاميذ من بولس وإنجيله، ومدى مخالفته لتعاليم المسيح، فإنه ليس بوسعنا أن نصدق ماتذكره المصادر التاريخية المسيحية عن موافقة التلاميذ الاثني عشر، وباقي الرسل لبولس في إنجيله إلى الأمميين، مع إقرارهم بوجود بعض الخلاف بادئ الأمر.

ويقول المؤرخ المسيحي هيم ماكبي في هذا: «والرسالة إلى أهل غلاطية أكثر قرباً إلى الحقيقة التاريخية، لا لأنها أقدم منها وحسب، وإنما لأنها توضح حالة سائدة بين جماعة القدس وبولس، حالة عملت الكنيسة على طمسها بعد ذلك [ولمصلحة بولس]»[3].

---

(١) اسم أعطاه يسوع المسيح لسمعان بطرس. قاموس الكتاب المقدس ص ٥٤٣.

(٢) هيم ماكبي : بولس وتحريف المسيحية ص ٦٩.

(٣) موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة من ٧٠ إلى ٧٤.

وها هم أيضاً بعض الكتّاب المسيحيين الذين استطاعوا أن يبحثوا في الموضوع بشكل عقلاني أكثر منه عاطفي، يؤيدون وجود خلاف كبير بين بولس وباقي التلاميذ...

فالمؤلف موريس بوكاي، يرى أن التلاميذ اعتبروا بولس خائناً لفكر المسيح، حيث كوّن المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح من حوله لنشر تعاليمه، وبذلك أصبح هناك مسيحيتان، المسيحية اليهودية، وهي ماعليه تلاميذ المسيح، والمسيحية البولسية، وهي المسيحية التي انتصرت على المسيحية اليهودية، وهي المسيحية التي ثبتت عليها الأقدام بعد قليل من التطورات سارت عليها حتى وصلت إلى ماهي عليه الآن[1].

أما الأستاذ شارل جنيبير، فيظهر الرسل مستنكفين من النتائج التي وصل إليها بولس حول المسيح وتعاليمه، إلا أنه فرضها عليهم فرضاً.

كما يبرز لنا سذاجة الرسل أمام بولس وذكائه، فهم لم يعارضوا قول بولس بأن عيسى كان «إنساناً سماوياً»، وأنه تمثلت فيه «روح الله»، ولو علموا مراده من أن عيسى قد تمثّل فيه الله، لأنكروا هذا وقاوموه[2].

ويرى الأستاذ بول جونسون أن «المسيحية قد ولدت مع بولس، وأنه مع ظهور بولس أصبحت تعاليم عيسى ليست شيئاً أكثر من توثيق لفرقة يهودية غاصت في التيار العام للعقيدة اليهودية القديمة. أما المسيحية الهلّلينية (اليونانية) البولسية فهي شيء مختلف تماماً، جديد تماماً»[3].

---

(١) موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٧٠ إلى ٧٤.

(٢) شارل جنيبير: المسيحية ص ١٣٣، ١٥٧.

(٢) د. الشرقاوي: دراسات في الملل والنحل ص ٥٠.

ويؤكد الأستاذ ندرة اليازجي اختلاف بطرس ويعقوب مع بولس، وأن بولس عمل على محاربة بطرس بكل قواه[1].

وهاهو ذا المؤرخ جوزيف هولزنز، رغم تعصبه لبولس، يذكر أقوالاً للآباء في القرن الثاني الميلادي، تذم بولس، وتصفه بأشنع الأوصاف، فيقول عن بولس: «لقد تنكّرت له أمته، وحتى الآن تعتبره لغزاً لايحلّ، إن قولاً يعود إلى المنتصف الأول من القرن الثاني يشبه حكماً رسمياً للرسول، من يدنس الهيكل، ويحتقر أيام الأعياد، ويحلّ شريعة أبينا إبراهيم، ويعرّي وجهه أمام الشريعة، لايمكنه أن يرث الحياة المستقبلية حتى ولو كان يعرف الناموس. [أقوال الآباء ٣: ١٢]»[2].

إنجيل بولس:

يتكون إنجيل بولس من أربع عشرة رسالة، وقد كتبت هذه الرسائل للمدن المختلفة ولبعض الأشخاص، شرح فيها بولس أفكاره وآراءه، وهي كمايلي:

١ ـ الرسالة إلى روما.

٢ ـ الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس.

٣ ـ الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس.

٤ ـ الرسالة إلى أهل غلاطية.

٥ ـ الرسالة إلى أهل أفسس.

٦ الرسالة إلى أهل فيليبي.

٧ ـ الرسالة إلى أهل كولوسي.

٨ ـ الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي.

٩ ـ الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي.

---

(١) ندرة اليازجي: رد على اليهودية واليهودية المسيحية ص ٤٣٥، ٤٣٩، ٤٤٦، ٤٥١.

(٢) جوزيف هولزنز: بولس الرسول ص٤٤٩.

١٠ ـ الرسالة الأولى إلى تيموثاوس.

١١ ـ الرسالة الثانية إلى تيموثاوس.

١٢ ـ الرسالة إلى تيطس.

١٣ ـ الرسالة إلى فيلمون.

١٤ ـ الرسالة إلى العبرانيين.

المبحث الرابع: الوثنية ودورها في تحريف المسيحية

كان للوثنية[1] السائدة في المجتمع الروماني والوثنيات المنتشرة حوله أثر بارز في تسرب الوثنية القديمة إلى المسيحية، ونفهم ذلك واضحاً وجلياً إذا علمنا أن هذه الوثنيات على الرغم من تنوع آلهتها، قد عرفت عقيدة التثليث بأشكال مختلفة، إلى جانب عقيدة نزول الابن الإله من السماء، وتجسده في شكل بشري، ومن ثم صلبه وبعثه، ثم نزوله إلى الجحيم، ومن ثم صعوده إلى السماء. . .

يقول البروفسور أندريه نايتون (مدرس علم الأديان المقارنة في جامعة فرنسا): «ونحن في دراستنا لتاريخ الأديان اليوم لانستطيع أن ننكر مابين المسيحية والوثنية من صلات وثيقة وأواصر متينة، بل إنه يلزمنا ويجب علينا أن نبين كيف أن المسيحية هذه تحدرت من الوثنية، وصار لهما نسب واحد وأصل مشترك»[2].

ويقول في موضع آخر: «إننا لانستطيع أن نفهم مسيحيتنا حق الفهم، إذا لم نعرف جذورها الوثنية، فقد كان للوثنية قسط وافر في تطور الدين المسيحي»[3].

ويقول مؤرخ الأديان أرنست رينان: «إن الدراسات التاريخية المسيحية وأصولها تثبت أن كل ماليس له أصل في الإنجيل مقتبس من أسرار الوثنية»[4].

وقد رأينا فيما قبل، أن بولس الرسول هو أول من حرّف سير المسيحية عن أصلها، وأدخل فيها التعاليم الوثنية، كالتجسد، وعقيدة الخلاص والفداء،

---

(١) الأديان الوثنية هي في عرف الفلسفة الدينية: إقامة الأوثان وعبادتها.

محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين ١٠/ ٦٣٨.

(٢) الأصول الوثنية للمسيحية لمجموعة من المؤلفين ص ١٩.

(٣) المرجع نفسه ص ٢٠.

(٤) المرجع نفسه ص ٢٠ نقلاً عن رينان.

وألوهية المسيح. . . . ، حتى استحق لقب مؤسس المسيحية الجديدة، حيث وضع بذرتها الأساسية، لتنمو بعده في تربة خصبة من الأفكار الوثنية عبر العصور، لتصير على ماهي عليه في الوقت الحاضر[1].

إن هذا الاعتراف من قبل المسيحيين باقتباس المسيحية من الوثنية، لاينحصر في المسيحيين الذين تحرروا من تعصبهم، وبحثوا في الحقيقة بكل جدّ وإخلاص، بل يمكننا أن نجد مثل هذه الاعترافات، في كتابات الآباء الأوائل، كالقديس جستين الذي يعترف بوجود أفكار جوهرية متشابهة بين المسيحية والوثنية[2]، إلى جانب بعض المسيحيين المتعصبين لمسيحيتهم في عصرنا الراهن، الذين لم يستطيعوا أن ينكروا هذه الحقيقة، ومن هؤلاء اللاهوتيين «هـ. لوكليرك» الكاثوليكي، الذي يقول: «إننا على علم بتلك النزعة التي لاتعترف بالطابع الأصيل للمسيحية، وتحاول أن تردّ أصولها إلى الأديان الوثنية، طبعاً استعار المؤمنون من هنا وهناك بعض التفاصيل الوثنية أنّى وجدوها»[3].

المطلب الأول: التثليث عقيدة وثنية:

التثليث عقيدة وثنية عرفته البشرية منذ غابر العصور، ذلك أن فكرة تعدد الآلهة قد ظهرت في البشرية عند أول انحراف لها عن عقيدة التوحيد الأصلية، وكانت أبرز عقائد المعدّدين هي عقيدة التثليث، وهي جمع الآلهة الوثنية ضمن مجموعات تحتوي كل منها على ثالوث.

---

(١) انظر ص١٨٨ من هذا الكتاب.

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥.

(٣) المرجع نفسه ص ٢٦.

يقول البروفسور كارل غوستاف يونغ : «. . . . . وإذن فإن التثليث ليست فكرة مسيحية أساسياً، وإنما جاءت من الأديان الوثنية القديمة»[1].

ويقول الأستاذ محمد مجدي مرجان (قسّ سابق أسلم) : «والمتتبع لتاريخ الأديان الوثنية يجد أن الثالوث المقدس يعتبر أصلاً من أصولها، ومعتقداً من معتقداتها، وقد قال بهذا الثالوث قدماء المصريين، وقال به الهنود، وقال به غيرهم من الأمم الوثنية»[2].

فالتثليث كان معروفاً عند قدماء المصريين، حيث كان لهم آلهة كثر، صنفوها فيما بعد ضمن مجموعات، كل مجموعة من هذه الآلهة تحتوي على ثلاثة ثواليث (تسعة آلهة، كل ثلاثة منهم على حدة)، ومن أشهر ثواليثهم أوزيريس وزوجته (وأخته بنفس الوقت) إيزيس، وابنهما حورس[3].

ومن ثواليثهم أيضاً أمون ورع وبتاح، وهم يعتقدون أن هذه الثلاثة هي إله واحد[4]، وغير هذا من الثواليث للآلهة المصرية، يقول العالم الألماني جاكوبسون : «إن الروح القدس عند المسيحيين يوازي «كع» (كع ـ موتف)[5] عند المصريين، وبه يتحد الآب بالابن، إن الولادة الإلهية للفرعون تتم عبر «كع»، وذلك من خلال أم بشرية للملك، غير أن هذه الأم، كما عند المسيحيين تبقى خارج إطار التثليث.

(١) المرجع نفسه ص ٩٣.

(٢) د. محمد أحمد الحاج : النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ٩٩، نقلاً عن محمد مرجان.

(٣) واليس بدج : الديانة الفرعونية ص ٧٢.

ـ د. سيد محمود القمني : أوزيريس عقيدة الخلود في مصر القديمة ص ٨٥ـ١٤٦.

ـ ياروسلاف تشرني : الديانة المصرية القديمة ص ٣٤ـ٤٢.

(٤) ـ د. محمد جابر عبد العال : في العقائد والأديان ص ٥٥، ٥٦.

(٥) هو كاموت إف Ka - mut - ef، أدمجه المصريون مع الإله «مين» تحت اسم «مين موت إف» ومع الإله «آمون رع»، تحت اسم «آمون كاموت إف».

ـ انظر ياروسلاف تشرني : الديانة المصرية القديمة ص ٢٤٥.

هكذا نجد عند الأقباط المصريين في فجر المسيحية هذا التأثر، فقد نقلوا الأفكار المصرية القديمة حول «كع» وألبسوها لروح القدس»[1].

وكذلك الهنود القدماء، عرفوا تعدد الآلهة، وتعددت دياناتهم، وكان من أبرز معتقداتهم الإيمان بالثالوث، وعرف عندهم أكثر من ثالوث، فهو يختلف من طائفة إلى أخرى، ونرى هذا الثالوث واضحاً أكثر شيء في أكبر ديانتين في الهند، البرهمية والبوذية.

أما البراهمة فقد اعتقدوا بثالوث إلهي مكون من ثلاثة أقانيم، هي إله واحد ظهر في ثلاثة مظاهر، وهو الإله (براهما) عندما يظهر بصورة الخالق، والإله (فشنو أو وشنو) عندما يظهر في صورة الحافظ، والإله (سيفا أو شيوا) عندما يظهر في صورة الهادم[2].

وكذلك الحال في البوذية، حيث يعبدون المثلث (بوذا، دهرما، سنغها)[3].

ولم يقتصر التثليث على ديانات الهنود القدماء والمصريين القدماء، بل لقد انتشر وعرف أيضاً عند أمم وثنية أخرى كاليونان والرومان والفرس والصين....[4].

---

(١) الأصول الوثنية للمسيحية ص ٨٣.

(٢) ـ د. غوستاف لوبون: حضارة الهند ص ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٧.

ـ أبو زهرة: مقارنات الأديان: الديانات القديمة ص ٢٢، ٢٣.

ـ محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٢٢.

ـ د. الحاج: النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ٩٩ ومابعدها.

(٣) ـ د. لوبون: حضارة الهند ص ٣٧٧.

ـ التنير: العقائد الوثنية ص ٢٢.

(٤) س. هـ. هوك: ديانة بابل وآشور ص ٤١.

ـ التنير: العقائد الوثنية ص ٢٧ ـ ٣٠.

ـ أبو زهرة: مقارنات الأديان ص ٧١.

المطلب الثاني: عقيدة التجسد والفداء عقيدة وثنية:

لم يقتصر اقتباس المسيحية من الوثنية على عقيدة التثليث فقط، بل إن عقيدة تجسد الإله في المسيحية وموته وبعثه ونزوله إلى الجحيم، ماهي إلا عقائد وثنية، أدرجها المسيحيون، بدءاً من بولس الرسول، في المسيحية، مع قليل من التغيير والتطوير.

يقول في هذا البروفسور نايتون: «. . أن الكنيسة ابتلعت بعض العناصر الوثنية، لكنها أضفت عليها طابعها الخاص، وذلك لاستقطاب مايمكن استقطابه من عبدة الأصنام»[1].

كما يقول العلامة دوان في كتابه «خرافات التوراة والإنجيل»: «ومن عقائد الوثنيين القدماء قولهم بتجسد أحد الآلهة ونزوله وسكنه معهم»[2].

فأوزيريس معبود المصريين، الذي ربما كان ملكاً دنيوياً حقيقياً وليس مجرد خيال، تغلّب عليه أخوه ست وقتله وجلس على عرش مملكته بدلاً عنه، إلا أن ميتة هذا الملك تحولت إلى أسطورة، لم تتكون دفعة واحدة بل عبر عدة أجيال، حيث اعتُقد أن هذا الملك قد أقامته الآلهة من بين الأموات، استجابة لاستعطاف زوجته إيزيس، حيث حملت منه إيزيس بعد قيامته بوحيدها حورس، وهي ماتزال عذراء حتى بعد الحمل، ثم رفعته الآلهة من بين الموتى إلى السماء جسداً حياً، ليصبح إلهاً لمملكة الموتى، تعويضاً له عما لحقه في الدنيا من أذى.

إلا أن هذه العقيدة بأوزيريس قد تطورت، حيث آمن به المصريون على أنه كان من الأصل إلهاً، أتى إلى الأرض واتخذ جسداً بشرياً لخلاصهم، ولم يلبثوا أن نسبوه بالتدريج إلى الإله «رع» ملك الآلهة، وجعلوه ابناً له، وأنه مات من أجل

---

(١) الأصول الوثنية للمسيحية ص ٢٤.

(٢) التنير: العقائد الوثنية ص ٥٤، نقلاً عن دوان.

خلاصهم، حيث يعتبرونه الرمز والنموذج للانبعاث والحياة الدائمة، إذ كما أنه قام من الأموات وصعد إلى السماء مع الآلهة، فإنهم كذلك سيبعثون من الأموات عن طريق اتحادهم به، وأصبح أوزيريس إلهاً للانبعاث.

وبذلك أصبحت مأساة أوزيريس وآلامه، تمثّل ثلاثة أيام من كل عام على مسارح العبادة، في عيد للقيامة مجيد، وذلك في ٢٥ كانون الأول. كما أقيم للعذراء زوجته «إيزيس» تماثيل عدة وهي ترضع طفلها الإلهي «حورس»، ومع أوزيريس ظهرت عقيدة المخلص لأول مرة في تاريخ مصر[1].

ويقول البروفسور تشرني في اقتباس المسيحية من هذه الوثنية: «فإن مختلف العناصر الوثنية وجدت طريقها للمفاهيم أو العقائد المسيحية والممارسات الدينية، فإن تقديس مريم العذراء، وصورتها مع ابنها المسيح الطفل، بين ذراعيها، تدين بالتأكيد، تقريباً، إلى قدر من تأثير صور الإلهة «إيزيس» مع «حورس» الطفل على حجرها»[2].

ويقول واليس بدج: «فقد وجد المصريون المسيحيون في أوزيريس النموذج الأصلي للمسيح، ورأوا في الصور والتماثيل التي تمثل إيزيس ترضع طفلها حورص (حورس) نموذج مريم العذراء وابنها، ولذلك ماوجدت المسيحية شعباً في العالم مهيأ العقل كلياً لتقبّل تعاليمها كما وجدته في شعب مصر»[3].

(١) ـ د. سيد محمود القمني: أوزيريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة ص ٨٢ ـ ٨٦، و ١٤٦ ـ ١٥٣، ١٥٦، ١٦٧.

ـ واليس بدج: الديانة الفرعونية ص ٥١ ـ ٧٢.

ـ ياروسلاف تشرني: الديانة المصرية القديمةص ٣٤ ـ ٤٠ و ١١٧ ـ ٢١٣.

(٢) ياروسلاف تشرني: الديانة المصرية القديمة ص ٢١٤.

(٣) واليس بدج: الديانة الفرعونية ص ٨٨.

وكذلك الحال عند الإغريق اليونانيين، وعند البابليين والرومانيين، حيث عبدوا آلهة عديدة، كان من بينها الإله البشري، وهو كما رأينا في مصر اسمه أوزيريس، ويسمى في بابل «تموز»، و«أدونيس» في سورية، و«آتيس» في روما، و«ديونيسيوس» عند الإغريق، ولهؤلاء جميعاً روابط مشتركة، تتلخص في كون هذه الآلهة، إلهية وبشرية بنفس الوقت، ماتت وبعثت من الأموات في اليوم الثالث، من أجل خلاص البشرية من الموت، وبذلك فإن أسماء هذا الابن (الإله البشري) تتعدد بتعدد المناطق، على الرغم من أن له نفس السمة لدى الجميع[1].

بل إن هناك من الآلهة البشرية من ولد من عذراء، تماماً كما هي العذراء والدة المسيح، ومنهم من نزل إلى الجحيم ليخلّص الأموات، كما نزل إليه المسيح.

ونذكر من هؤلاء «كرشنا» الذي يدور حوله اعتقاد البرهميين في الهند، حيث يعتقدون أن الإله «فشنو» (وشنو)، الأقنوم الثاني، قد حلّ فيه، وإذا ما عقدنا مقارنة بينه وبين المسيح، وجدنا تشابهاً كبيراً في كثير من تفاصيل حياتهما وأهدافهما ومن هذا[2]:

---

(١) محمد وحيد خياطة: المرأة والألوهية ص ٥٤.
- س. هـ. هوك: ديانة بابل وآشور ص ٤١، ٩٣، ٩٤.
- جيمس فريزر: أدونيس أو تموز ص ١٨ - ٢٤.
- أنطون مورتعات: تموز عقيدة الخلود والتقمص ص ١٨٤، ١٨٥.
- فراس السواح: لغز عشتار ص ٢٦٨.
- د. مينرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي ص ٩٦.

(٢) - د. لوبون: حضارة الهند ص ٦١٠.
- أبو زهرة: مقارنات الأديان ص ٢٥ ومابعدها.
- التنير: العقائد الوثنية ص ١٣٠.
- العهد الجديد [إنجيل متى ١: ١٨ - ٢١]، [٢: ١ - ٢]، [٢٧: ٤٥ - ٥٠] مرقس [١٦: ١٩].
- رسالة بولس إلى رومية إصحاح ٤، ٥، وغيرها من أسفار العهد الجديد.

أقوال البرهمية في كرشنة	أقوال المسيحيين في المسيح
١ ـ كرشنة هو المخلص والفادي وابن الله.	١ ـ المسيح هو المخلص والفادي، وابن الله.
٢ ـ ولد كرشنة من العذراء ديفاكي.	٢ ـ ولد المسيح من العذراء مريم.
٣ ـ عرف الناس ولادة كرشنة من نجمه الذي ظهر في السماء.	٣ لما ولد يسوع ظهر نجمه في المشرق، وبواسطة نجمه في المشرق، عرف مجوس المشرق مكان ولادته.
٤ ـ صلب كرشنة، ومات على الصليب.	٤ ـ المسيح صلب، ومات على الصليب.
٥ ـ نزل كرشنة إلى الجحيم.	٥ ـ نزل المسيح إلى الجحيم.
٦ ـ صعد كرشنة إلى السماء بجسده، شاهده كثيرون صاعداً.	٦ ـ صعد المسيح إلى السماء وشاهده كثيرون صاعداً.
٧ ـ لسوف يأتي كرشنة في اليوم الأخير، ويدين الأموات.	٧ ـ يسوع سوف يأتي في اليوم الآخر ليدين الأموات.

أما (بوذا) الذي هو محور البوذية، فإن اعتقاد البوذيين فيه، يشبه أيضاً إلى حد كبير، اعتقاد المسيحيين في المسيح عليه السلام، نذكر أمثلة منها[1].

(١) ـ محمد الصادقي: عقائدنا ص ٤٦٩.

ـ أبو زهرة: مقارنات الأديان ص ٤٧ ومابعدها.

ـ التنير: العقائد الوثنية ص ١٤٧ ومابعدها.

ـ أسفار العهد الجديد [مت ٢ : ١ ـ ١١]، وإصحاح ٢٨، يوحنا إصحاح ٢٠، وغيرها من أسفار العهد الجديد.

أقوال البوذيين في بوذا	أقوال المسيحيين في المسيح
١ ـ ولد بوذا في ٢٥ من شهر كانون الأول.	١ ـ ولد المسيح في ٢٥ من شهر كانون الأول.
٢ ـ ولد بوذا من العذراء «مايا» من غير مضاجعة رجل.	٢ ـ ولد المسيح من العذراء مريم من غير مضاجعة رجل.
٣ ـ كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا.	٣ ـ كان تجسد الابن (المسيح) بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم.
٤ ـ لما مات بوذا ودفن انحلت أكفانه، وفتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية.	٤ ـ لما مات يسوع ودفن انحلت الأكفان وفتح القبر بقوة غير طبيعية.
٥ ـ صعد بوذا إلى السماء بجسده، ولسوف يأتي مرة ثانية إلى الأرض، ليدين الأموات.	٥ ـ صعد يسوع إلى السماء بجسده، ولسوف يأتي مرة ثانية ليدين الأموات.

يقول نايتون أستاذ علم الأديان المقارنة: «إن حياة كائن إلهي على الأرض أمر طبيعي جداً في التفكير الوثني، بل إن الوثني كان يرى أن هذا التجسيد أفضل طريقة لاختراق العالم الإلهي الغرائبي والتعرف على الألوهة عن كثب، إن نزول الإله على الأرض على شكل إنسان أفضل طريقة للحوار المباشر المرئي بين الآلهة والبشر. لهذا نجد كاتباً مسيحياً مثل القديس جوستين، لايتحرج من الكتابة: «إننا حين نقول إن الكلمة تجسدت في المسيح من غير اجتماع جسدي، إنما نعني أمراً أكثر غرابة من تلك القصص التي تروي ولادة أبناء زيوس (أحد الآلهة البشرية)»[1].

---

(١) الأصول الوثنية للمسيحية ص ٣٢.

ويقول في موضع آخر: «أما ولادة المسيح فقد تعددت الأساطير التي أضافت على الحقيقة التاريخية مسحة من الغرابة، إننا نجد بعض الكتاب المسيحيين، مثل القديس جيروم، يقول بأن المسيح ولد في المكان الذي ولد فيه أدونيس... بل إن المسيح ولد في المغارة التي ولد فيها أدونيس»[١].

المطلب الثالث: الأسرار والأعياد المسيحية واقتباسها من الوثنية:

إن اقتباس المسيحية من الأديان الوثنية لم يقتصر على عقيدة التثليث والتجسد والخلاص...، بل إن أسرار المسيحية (المعمودية، الشكر)، والأعياد الكنسية، لمقتبسة أيضاً من الوثنية، مع قليل من التغيير في مظهر هذه الطقوس، فسرّ المعمودية لدى المسيحيين مقتبس من طقس التعميد الوثني الذي كان يتم لدى الاحتفال بموت الآلهة البشرية وبعثها، وكان لهذا الطقس أثره الأخروي في هذا المعمَّد[٢].

وكذلك الحال في سر الشكر (سر القربان المقدس) لدى المسيحيين، فهو مقتبس من طقس الأضحية في الوثنية، حيث كان المحتفلون يذبحون جدياً، وهو في تلك الحالة رمز للإله البشري، وهم يعتقدون أنهم بذبح هذه الأضحية، يتواحدون مع الإله البشري بعد الموت، مما يؤدي إلى انبعاثهم معهم[٣].

بل لقد وجد من بين أسرار الديانات الوثنية كأسرار ديونيسيوس، من يحتفل بأكل اللحم وشرب الخمر، وهم يعتقدون أنهم بذلك يتناولون لحم معبودهم ودمه، تماماً كما هو الحال في المسيحية.

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٣.

(٢) د. القمني: أوزيريس وعقيدة الخلود ص ١٥٥، ١٥٦.

(٣) المرجع نفسه، وس. هـ. هوك: ديانة بابل وآشور ص ٩٣.

يقول نايتون نقلاً على لسان فرانز كومون في كتابه عن الأديان الشرقية القديمة: «أن أتباع أتارغاتيس (المعبودة السورية القديمة) كانوا يلتهمون السمك الذي يقدمونه لها، ثم ينشدون أنهم بذلك يتناولون لحم معبودتهم»(١).

وكذلك الحال مع أتباع الإله ميترا (في إيران فارس)، حيث اكتشف من بين الآثار تمثال لأتباع الإله ميترا، وهم يتناولون الخبز والنبيذ، ويصف الكاتب الفرنسي فرانز كومون هذا قائلاً: «نظراً لأن لحم الثور كان صعب المنال أحياناً، فقد اضطر أتباع الإله ميترا إلى استخدام الخبز والنبيذ مكان اللحم، وكانوا يرمزون بذلك إلى لحم معبودهم ميترا ودمه»(٢).

أما بالنسبة للأعياد المسيحية، فإن آباء الكنيسة يعترفون بصراحة، بأن هذه الأعياد قد وقتت بتاريخ الأعياد الوثنية نفسها، حيث أنهم وجدوا أن اقتلاعها قد يضرّ بالمسيحية.

ففي حوالي العام ٦٠٠ من الميلاد، وجّه البابا غريغوري الكبير رسالة إلى المبشر ميليتوس، الذي كان يبشر بين الانكليز، نلمس من خلالها، كيف كانت الكنيسة تداهن الوثنية وتقتبس منها، حيث قال له: «دع البريطانيين وعاداتهم، وأبق لهم أعيادهم الوثنية، واكتف بتنصير تلك الأعياد والعوائد، واضعاً إله المسيحيين موضع آلهة الوثنيين»(٣).

وسنذكر مثالين لهذه الأعياد المقتبسة الكثيرة، وهو عيد الميلاد، حيث أنه لم يعلن تاريخ ميلاد المسيح قبل عام ١٣٠م، وبرغم ذلك فقد تعرض هذا التاريخ إلى

(١) الأصول الوثنية للمسيحية ص ٦٤.

(٢) المرجع نفسه ص ٦١. وانظرص١٨٨، ١٨٩من هذا الكتاب.

(٣) ـ الأصول الوثنية للمسيحية ص ٥٧، ٥٨.

ـ د. محمد أحمد الحاج: النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ١١٣.

ـ وانظر ول. ديورانت: قصة الحضارة ٦/ ٣٢٩ـ٣٤١.

تقلبات عديدة، إلى أن تم الاتفاق على أنه يوم ٦/ كانون الثاني، وأنه أثبت التواريخ وأقربها إلى الصحة، إلا أن الكنيسة قد اختارت ليوم ميلاد المسيح تاريخاً آخر، يتفق مع احتفال كبير لدى الوثنيين وهو ولادة الإله البشري «ميترا»، بالإضافة إلى أنه يوم الاحتفال بالعيد الشمسي (بولادة رع إله الشمس)، وهو يوم ٢٥ كانون الأول[1].

وكذلك الحال في اختيار تاريخ عيد الفصح[2]، للاحتفال به، بحيث يصادف عيد اليونايين لموت وقيامة أحد الآلهة[3]، وما إلى ذلك من أعياد أخرى...

(١) ـ الأصول الوثنية للمسيحية ص ٥١، ٥٢.
ـ ياروسلاف تشرني: الديانة المصرية القديمة ص ٢١٤.

(٢) انظر ص ١٣٩ حاشية (٢) من هذا الكتاب.

(٣) ـ الأصول الوثنية للمسيحية ص ٥٥.
ـ جوزيف هولزنز: بولس الرسول ص ٢٢١.
ـ د. القمني: أوزيريس ص ١٥٦.
ـ فراس السواح: لغز عشتار ص ٣٠٧.

المبحث الخامس: المجامع المسكونية

إن ماعليه المسيحية الآن من عقيدة التثليث وألوهية المسيح، لم يكن واضحاً منذ العصور الأولى للمسيحية، وخاصة لدى تلاميذ المسيح، وإن أول من حرّف سيرها عن المنهج الذي نهجه المسيح وعلّمه، هو بولس الرسول، فكان هو الخطوة الأولى نحو مسيحية مختلفة تمام الاختلاف عن مسيحية المسيح، ثم نمت هذه المسيحية الجديدة خطوة فخطوة، حتى حدّدت بشكلها النهائيّ من خلال المجامع المسكونية والمكانية التي تمّ انعقادها منذ بداية القرن الرابع الميلادي، ومن خلال رسائل واعترافات إيمانية صدرت عن بعض الأساقفة إفرادياً(١).

ومنذ اللحظة الأولى التي ابتدأت فيها المسيحية بالانحراف عن العقيدة الأصلية التي جاء بها المسيح، عقيدة التوحيد الخالص، بدأ الخلاف بين المسيحيين حول أركان العقيدة المسيحية، ومن الطبعي أن لايتفق الناس جميعاً على الباطل والانحراف، حيث أن سبل الباطل متعددة لايمكن لها أن تتفق إلا على مبدأ الباطل فقط، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوهُ، ولاتتبعوا السبُلَ فتفرَّقَ بكم عن سبيله**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ولابد لنا قبل ذكر تلك المجامع المسكونية التي كانت العمدة في تحديد عقائدهم، من أن نذكر لمحة موجزة عن المجامع وتعريفها. . . لدى المسيحيين.

المطلب الأول: المجامع وأنواعها(٢):

المجمع في الاصطلاح الكنسي هو:

---

(١) تيموثي وير: الكنيسة الأرثوذكسية إيمان وعقيدة ص ٢١.

(٢) البطريرك أغناطيوس زكا الأول عيواص: الكنيسة ومقومات المجمع المسكوني فيها، ذكرت المقالة في المجلة البطريركية، السنة العاشرة، عدد ٩٧ـ٩٨ / ٧٢. ص ٤٣٥ ـ ٤٣٨. ومقالة قبول المجامع، المنشورة في المجلة البطريركية عدد ١٠٩، السنة الحادية عشرة، تشرين الثاني ١٩٧٣، ص ٥٤٨، ٤٨١، ٤٨٢، ٦٠٢، ٦٠٣.

ـ فاضل سيد اروس: يسوع المسيح في تقليد الكنيسة ص ٢٣ ـ ٢٤.

ـ د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١ / ١٤١.

ـ تيموثي وير: الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر ص ٣٨، ٣٩.

مجلس يعقده الرسل (تلاميذ المسيح الاثني عشر) أو الأساقفة[1] خلفاؤهم، على وجه شرعي، للمداولة في قضايا دينية كنسية وتقريرها.

أنواع المجامع:

١ ـ مجامع مكانية غير مسكونية: وهي المجامع التي لاتشترك فيها الكنيسة جمعاء ـ كل الكنائس جمعاء ـ.

٢ ـ المجامع المسكونية: هي المجامع التي تمثَّل فيها الكنيسة الجامعة، وتشترك في أعمالها، ويقوم المجمع المسكوني مقام مجمع الرسل، فهو السلطة العليا في الكنيسة جمعاء، وتعتبر قراراته معصومة وملهمة من الروح القدس[2].

شروط المجمع المسكوني:

يشترط المسيحيون في المجمع المسكوني عدة شروط لكي يطلق عليه صفة المسكونية، التي تستلزم إلهامه وعصمته، وهي:

أ ـ الدعوة إليه.

ب ـ عقده.

جـ ـ قبول قراراته.

---

(١) الأسقفية هي الدرجة العليا في الكهنوت المسيحي، والأسقف كاهن ذو درجة ورتبة أولى وهو في كنيسته نائب المسيح، وله حق الرياسة على الكهنة الذين تحت إدارته وعلى رعيته. انظر حبيب جرجس أسرار الكنيسة السبعة ص ١٨٧.

(٢) أما طائفة البروتستانت التي ظهرت منذ القرن الخامس عشر، فإنها لاترى في هذه المجامع السكونية أنها معصومة وملهمة، ومع ذلك فإنهم يأخذون بها، ويعتبرونها أقوالاً قديمة وثمينة.

ـ د. موريس تاوضروس: علم اللاهوت العقيدي (الوحي والتقليد) ص ٤٦، ٤٧.

فيجب أن يدعى إلى المجمع المسكوني جميع أساقفة العالم، إلا أنه ليس من اللازم حضورهم جميعاً، كما يشترط اشتراك الكنيسة الجامعة في أعماله، أي حضور جميع أو أغلب رؤساء الكراسي الرسولية الخمسة[1] أو نوابهم.

وللأساقفة الشرعيين أعضاء المجمع المسكوني حق إبداء الرأي في المواضيع المطروحة، ويكون إصدار القرارات بأغلبية الأصوات.

أما الملوك والولاة فإنهم يحضرون المجمع، ولكن دون أن يكون لهم حق إبداء الرأي، إذ لايجوز ذلك إلا للأساقفة فقط، ويكون حضور الملوك والولاة لإشاعة الطمأنينة، كما يعود إليهم تنفيذ أحكام قرارات المجمع.

وإذا ما كان حضور أغلب رؤساء الكراسي الرسولية الخمسة أو نوّابهم يكفي لانعقاد المجمع المسكوني إلا أنه يشترط في قبول قرارات المجامع المسكونية، أن يوافق جميع رؤساء الكراسي الرسولية الخمسة على هذه القرارات، أما غير هذه الكراسي الرسولية، فليس من الضروري موافقتها.

عصمة المجمع المسكوني:

تعتبر قرارات المجمع المسكوني المستوفية لجميع الشروط أحكام الله، إذ هي ملهَمة من الروح القدس[2]، فهي لذلك قرارات معصومة وملزمة على الكنيسة

---

(١) الكراسي الرسولية الخمسة هي: الكرسي الروماني، الاسكندري، الأنطاكي، القسطنطيني - الذي أيّدت سلطته في المجمع المسكوني الثاني -، الأورشليمي - الذي أيّدت سلطته في المجمع المسكوني الرابع -، وتكمن أسباب تقدم هذه الكنائس على غيرها، في ادّعاء كل واحدة من هذه الكنائس رجوع تأسيسها إلى الرسل أنفسهم، وإلى تواجد هذه الكنائس الأربعة الأولى في المدن الأربع الكبرى الأكثر أهمية في الامبراطورية الرومانية، وإلى كون الكنيسة الخامسة الأورشليمية، هي المكان الذي صلب فيه المسيح وقام من بين الأموات، فالأسباب لتقدم هذه الكنائس هي دينية وسياسية معاً.

- انظر تيموثي وير: الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر ص ٣٩.

أما البطريرك زكا الأول عيواص، فقد ذكر أن سلطة الكنائس الرسولية الممنوحة من قبل المجامع المسكونية، رغبة منها في تنفيذ قراراتها مستمدة من الاعتبارات المدنية لا الدينية، انظر مقال قبول المجامع المنشور في المجلة البطريركية عدد ١١٠ ص ٥٩٨.

وإذا ماأخذنا بعين الاعتبار مالهذه الكراسي من أثر في قرارات المجمع المسكوني، أدركنا أن من قال برجوع سلطتها إلى الاعتبارات المدنية، يطعن في كونها ملهمة من الروح القدس.

(٢) يقول الأب تيموثي وير: «تقر الأرثوذكسية بأن المجامع انعقدت على أيدي أناس خاطئين ولكنها تؤمن بأنهم كانوا ملهمين من الروح القدس». الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر ص ٥١.

جمعاء، ولا يحق للمؤمنين رفضها، ومن يخالفها يقع تحت الحرم (الفصل من الكنيسة).

أما قرارات المجامع المكانية فهي غير ملهمة ولامعصومة، بل تبقى عرضة للخطأ، إلا ذا نوقشت واعتبرت في مجامع مسكونية لاحقة، فإنها تكتسب عند ذاك صبغة المسكونية.

وكذلك الحال في التحديدات العقائدية عن طريق الرسائل أو الاعترافات الإيمانية الصادرة عن بعض الأساقفة إفرادياً، فإنها ليست ملهمة ولامعصومة.

ويعتقد المسيحيون أن العقيدة المقررة في المجامع المسكونية مبنية على شهادة الرسل (تلاميذ المسيح الاثني عشر) المجمع عليها من كل الكنائس الرسولية، وهو مايسمى بالتقليد الرسولي، الذي يعتبر المصدر الأساسي لأسفار العهد الجديد[1]، وللمجامع المسكونية أيضاً[2].

فصلاحية المجمع لديهم هو إقرار شهادات الرسل لا ابتداع عقائد جديدة...

فهم يؤكدون على أن دستور الإيمان المقرر في المجمع المسكوني الأول (النيقاوي)، والذي يبين ألوهية الابن (المسيح)، كان متضمناً في كتابات الآباء بالتفصيل، ومقبولاً من الكنيسة منذ فجرها.

---

(١) انظر ص٢٥٧ من هذا الكتاب.

(٢) يرى المسيحيون أن هذه العصمة للتقليد مستمدّة من السلطان الكهنوتي الذي منحه المسيح لتلاميذه بقوله: «الحق أقول لكم ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء» (مت ١٨: ١٨). انظر سليم بسترس: اللاهوت المسيحي ٢/٢٥٥.

المطلب الثاني: نقد عصمة هذه المجامع وإلهامها:

إذا ماأمعنا النظر في تأكيد المسيحيين على إرجاع كل العقائد المقررة في المجامع المسكونية إلى شهادة الرسل المعتمدة بدورها على تعليم الروح القدس، والمسلّمة إلى الآباء الأوائل ومن ثم إلى الكنيسة، رأينا أنّه ادعاء لاغير، دعاهم إليه الرغبة في إسباغ مسحة الإلهام على هذه المقررات المسكونية والذي يؤكد لنا هذا عدة أشياء:

أولها: إن قولهم بعصمة المجامع المسكونية لاستنادها على التقليد الرسولي المسلّم إليهم من المسيح والرسل، وعدم عصمة المجامع المكانية وتحديدات الأساقفة الإفرادية، هو في الواقع كلام نظري، حيث إنهم مازالوا يقررون عقائد جديدة، حتى بعد انتهاء المجامع المسكونية، بحجة التقليد الرسولي المسلّم إلى الكنيسة، الذي يؤدي إلى عصمتها، لأنها قد تسلمت هذا التقليد بإلهام من الروح القدس، وسنرى فيما بعد ضعف هذا القول[1].

ولذلك فإن ما ذهبت إليه الطائفة البروتستانتية من عدم عصمة المجامع المسكونية، وعدم قبولهم للتقليد الرسولي كمصدر للعقيدة، هو موقف يحمدون عليه، على الرغم من أن موقفهم هذا موقف نظري أكثر منه عملي، حيث إنهم يوافقون باقي الطوائف في قولهم بالتثليث، وتأليه المسيح، على الرغم من عدم استناد هذه العقائد على الكتاب المقدس، الذي يعتبرونه المصدر الوحيد، بل هي تستند على التقليد الرسولي، الذي ينكرونه... وكان حرياً بهم أن يكونوا منطقيين تجاه موقفهم العادل، فيرفضوا هذه العقائد، التي لادليل عليها سوى القول بأنها مسلّمة عن طريق التقليد الرسولي[1].

ثانيها: اختلاف الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية بشأن قانون الإيمان المنسوب إلى الرسل، الذي يعتمد عليه المجمع المسكوني الأول في صياغته للدستور

---

(١) انظر ص٢٥٧ من هذا الكتاب.

النيقاوي، فالكنيسة الغربية تدّعي أن الدستور الذي صاغه المجمع النيقاوي هو في الأصل قانون وضعه الرسل أنفسهم، ويسمى بقانون الرسل، فهم قد اجتمعوا قبل افتراقهم لإذاعة البشارة في العالم، ووضعوا قاعدة الإيمان، كل منهم وضع جملة من هذا القانون، الذي سمّي فيما بعد بالقانون النيقاوي.

أما الكنيسة الشرقية فلاتعرف شيئاً عن نسبة هذا القانون للرسل، بل هي على الرغم من اعتبارها لقانون الإيمان النيقاوي (دستور الإيمان النيقاوي) رسولياً، إلا أنها تقرّ بعدم وضع الرسل له، بل هو رسولي في محتوياته وروحه، وسمّي رسولياً لأن عناصره جميعها تعبر عن الإيمان في عصر الرسل[1].

ونقول: إن هذا الاختلاف بين الكنيستين يدل على ضعف ادعائهم لاستناد دستور المجمع النيقاوي (المسكوني الأول) على تعاليم الرسل، بل حتى قول الكنيسة الشرقية، بأن هذا القانون الذي أقرّ ألوهية المسيح هو رسولي بمحتواه لا بألفاظه، فإن هذا بحاجة إلى إثبات، خاصة وأن هنالك ماينقضه وهو قول لاهوتي من لاهوتييهم، وهو القمص تادرس يعقوب (أرثوذكسي من أتباع الكنيسة الشرقية)، حيث أكد على أن الشكل الحالي لقانون إيمان الرسل لم يظهر قبل القرن السادس أو السابع، أما الشكل البدائي فيرجع إلى القرن الثاني أو الثالث[2].

بالإضافة إلى أننا رأينا فيما سبق كيف اعتبر كثير من المسيحيين بولساً المؤسس الأول للمسيحية الحالية، وكيف كانت علاقة التلاميذ به علاقة شجار ونزاع[3]، مما يجعلنا نغض الطرف عن قولهم برجوع قانون الإيمان النيقاوي المتضمن لألوهية المسيح (المقرر في المجمع المسكوني الأول) إلى شهادة الرسل، وأن الكنيسة منذ

---

(١) ـ د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله ١/ ١٤١.

ـ جراسيموس مسرة: تاريخ الانشقاق ١/ ٥٣.

(٢) قانون الإيمان الرسولي، ذكرت المقالة في كتاب نحو نصّ عربي موحد لقانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني ص ٤٥ ـ ٤٨.

(٣) انظر ص ١٩١ من هذا الكتاب.

فجرها قد قبلته، بل العكس هو الصحيح بإقرار بعض علمائهم، حيث أكدوا أن القول بألوهية المسيح قد نما شيئاً فشيئاً في عقول المسيحيين[1] . . .

ثالثها: إن تأكيدهم على مسألة الإلهام في هذه المجامع المسكونية، ينقضه واقع هذه المجامع، إذ لوكان الأمر كما يقولون لكان ينبغي أن تصدر قرارات هذه المجامع بإجماعهم، أو على الأقل باتفاق رؤساء الكنائس الرسولية، كما يشترطون هم، إلا أننا إذا دققنا النظر في هذه المجامع، رأينا اختلاف أساقفة المسيحيين حول هذه العقائد، ومن بين هؤلاء المخالفين بعض رؤساء الكراسي الرسولية في بعض الأحيان، وهذا مخلّ بالشروط المسكونية للمجمع لدى المسيحيين.

فأين إذاً هو هذا الإلهام، أمام كل هذه الاختلافات في هذه المجامع، والتي سنبينها لاحقاً. هذا فضلاً عن أن العقيدة ينبغي أن تكون موضحة في الكتب المقدسة الموحى بها من قبل الله تعالى، ولايمكن أن تترك لآراء الناس وأقوالهم وتحديداتهم، وهذا مالم يتوفر في عقيدة التثليث والأقانيم. . . .

بل وأكثر من هذا، فإن المجامع المسكونية نفسها لم تتعرض لهذه العقائد بالتفصيل، وكل ماأوردته هو ألوهية الابن ومساواته للآب، وتجسده من أجل خلاص البشرية، وألوهية الروح القدس وانبثاقه من الآب، كما تكلمت عن طبيعة المسيح، أما التفصيلات المتعلقة بهذا فقد تركت لآراء الأساقفة وتحديداتهم الفردية.

بل إن المجمع المسكوني الأول نفسه، قد قرر بحروم قاطعة أن الجوهر يساوي الأقنوم، وهذا التحديد للأقنوم والجوهر، الذي هو لبّ عقيدتهم وأساسها، يتناقض مع تحديداتهم الحالية التي تميّز بين الأقنوم والجوهر، جاعلين الله جوهراً واحداً ثلاثة أقانيم، وما ذاك إلا لأنهم أدركوا أن الإبقاء على الجوهر والأقنوم بمعنى

---

(١) انظر ص١١٨ من هذا الكتاب.

واحد، يؤدي إلى اتهامهم بالإشراك، ولذلك راحوا ينادون بأن الجوهر يختلف عن الأقنوم.

وبذلك يحق لنا أن نتساءل: أين هو الروح القدس وإلهامه في هذا، ألم يتبين للروح القدس ضرورة التمييز بين الجوهر والأقنوم فيلهمهم التمييز بينهما...

المطلب الثالث: المجامع المسكونية السبعة:

تتفق الكنائس الشرقية والغربية على مسكونية المجامع السبعة الأولى، ماعدا فئة من الكنائس الشرقية تلقَّب باللاخلقيدونيين، حيث اعتبرت المجامع الثلاثة الأولى هي المجامع المسكونية دون ماسواها.

١ ـ المجمع المسكوني الأول: (النيقاوي) ٣٢٥م[1]:

أ ـ سبب انعقاد المجمع: شاع في هذا القرن قول آريوس (أسقف مصريّ) الذي يؤكد على أن المسيح (الابن) والروح القدس في منزلة دون منزلة الآب، وأن الابن مخلوق من الآب، وليس مولوداً من الأزل، وبذلك فإن الابن (المسيح) لم يكن إلهاً حقيقياً، إلا أنه يمكن أن يسمّى إلهاً عن طريق المجاز لا الحقيقة، وأن الآب هو وحده الذي يستحق لقب الإله الحقيقي.

---

(١) ـ سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٢١ ـ ٢٨٨.
ـ د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله ١/ ١٩٣ ـ ٢٣٠.
ـ جراسيموس مسرة: تاريخ الانشقاق ١/ ١١١ ـ ١١٣.
ـ الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ١/ ٢٨٨ ـ ٣٣٠.
ـ لومند الفرنسي: خلاصة تاريخ الكنيسة ١/ ١٧٧.
ـ تيموثي وير: الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر ص ٢٧، ٢٨.
ـ خريسوستمس بابا دوبولس: تاريخ كنيسة أنطاكية ص ١٣٤، ١٣٥.
ـ جون لوريمر: تاريخ الكنيسة ٣/ ٤٦ ـ ٥٢.
ـ ول ديورانت: قصة الحضارة ١١/ ٣٩٤ إلى ٣٩٦.

ولقد انتشر قول آريوس هذا انتشار النار في الهشيم، وكان له أشياع كثر، وتابعه عدة أساقفة على قوله، من بينهم أفسابيوس أسقف قيصرية فلسطين، وأساقفة مصر وغيرهم. . . .

وقد أدت أفكار آريوس إلى انقسام رجال الدين إلى مؤيد له ومعارض، وكان على رأس المعارضين الكسندروس بطريرك[1] الاسكندرية، واحتدم الصراع بين الفئتين، وكان هذا الخلاف موضع اهتمام الامبراطور قسطنطين، الذي كان يهمّه بالدرجة الأولى أمن دولته واستقرارها، بالإضافة إلى اهتمامه بالمسيحية، حيث يرجح كثير من المؤرخين المسيحيين اعتناقه للمسيحية منذ عام ٣١٢م، بشكل سرّي لا رسمي، وأنه لم يعتنقها بشكل رسمي إلا قبيل وفاته بزمن وجيز، حين تقبّل المعمودية عام ٣٣٧م[2]، وقد حاول الامبراطور حلّ الخلاف بين الكسندروس بطريرك الاسكندرية وبين آريوس، مؤكداً وجوب التآلف ونبذ الخلاف والخصام، إلا أنه لما اشتد الخلاف بينهما رأى الامبراطور، بناء على اقتراح تقدم به أسقف إسبانيا، الذي أرسله الامبراطور لحلّ الخلاف، أن يعقد مجمعاً مسكونياً، يضم أساقفة الامبراطورية، وذلك في نيقيا بآسيا الصغرى (من أعمال استانبول على البرّ الشرقي)، بينما يعزو بعض المؤرخين التفكير بإقامة مجمع مسكوني إلى مجمع مكاني عقد في أنطاكية قبل مجمع نيقية، وأن هذا المجمع هو الذي اقترح الدعوة إلى مجمع مسكوني، ومهما تكن الحقيقة، فإن المؤكد الذي لاريب فيه، هو دعوة قسطنطين لجميع الأساقفة من جميع أنحاء الامبراطورية إلى التشاور وتبادل الرأي،

---

(١) يطلق لقب بطريرك أساساً على الأسقف الذي يرأس أحد الكراسي الرسولية، إلا أنه اتسع إطلاقه الآن، فدعي به العديد من الأساقفة رؤساء الكنائس المستقلة.

ـ انظر تيموثي وير: الكنيسة الأرثوذكسية إيمان وعقيدة ص ١٢٤.

(٢) انظر ص ١٧١ من هذا الكتاب.

وتعيينه مكان الاجتماع في نيقية. أما عدد الذين حضروا هذا المجمع، فإن الروايات التاريخية المسيحية تختلف في هذا اختلافاً بيّناً، ويرى أغلبهم أن عدد الأساقفة الذين حضروا المجمع وشاركوا فيه هم (٣١٨) أسقفاً[١]، ويذكر د. أسد رستم عدة روايات في عدد المجتمعين فيقول: «فهم مئتان وخمسون في رواية يوسيبيوس، ومئتان وسبعون في رواية أفسيتاثيوس (أسقف قيصرية فلسطين)، وثلاثمائة في رواية أثناسيوس القديس، وثلاث مئة وثمانية عشر في رواية القديس هيلاريوس»[٢].

ويقول المؤرخ جون لوريمر: «في الواقع لو بلغ العدد ٣٠٠ لأصبح سدس مجموعة أساقفة العالم كله البالغ عددهم ١٨٠٠ أسقف في كل الكنائس في ذلك الوقت»[٣].

أما المؤرخ المسيحي ابن البطريق (في القرن العاشر الميلادي) فيؤكد أنهم كانوا ثمانية وأربعين وألفين من الأساقفة[٤].

ب ـ قرارات مجمع نيقية، ودور الامبراطور قسطنطين في هذا المجمع:

يتفق أغلب المؤرخين المسيحيين على أن عدد المجتمعين في هذا المجمع ٣١٨ أسقفاً، وأن الأغلبية الساحقة قد أقرت ألوهية الابن (المسيح)، ولم يخالف في هذا سوى آريوس، وتبعه عدد قليل من الأساقفة[٥].

---

(١) المراجع السابقة، وغريغوريوس ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٨٠.

(٢) د. أسد رستم: الروم ١ / ٥٧.

(٣) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة ٣/ ٤٥.

(٤) محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص ١٢٤ نقلاً عن ابن البطريق، وقد نقل هذا عن ابن البطريق أيضاً ابن قيم الجوزية في كتابه هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى ص ٣٢٣.

(٥) هم اثنان رفضا التوقيع على الدستور، واثنان آخران رفضا التوقيع على الحكم الصادر على آريوس فقط.

أما قانون الإيمان (الدستور) الذي صدر عن المجمع وأقرته الأغلبية فهو مايلي: «نؤمن بإله واحد آب، ضابط الكل، خالق كل مايرى وما لايرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، مولود من الآب، أي من جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، ما في السماء وما على الأرض، الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل وتجسد وتأنس وتألم، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وسيجيء ليدين الأحياء والأموات، وبالروح القدس»(١). كما أعقبوا هذا الدستور بما يسمى بالأناثيما (أي الحرم)، حيث بينوا فيه أن كل من لم يقل بهذا الدستور، فهو ملعون ومحروم(٢).

ومع أن هذا هو مايذكره أغلب المؤرخين المسيحيين، ويؤكدون عليه، إلا أن بعض هؤلاء المؤرخين لم يستطيعوا في النهاية إلا أن يقرّوا بتدخل الامبراطور قسطنطين في البحث لإقرار السلم والوفاق، وأن هنالك كثيراً من الأساقفة الآريوسيين قد وقّعوا على دستور الإيمان خوفاً من غضب الامبراطور، وأن بعضهم وقع على الدستور، ولكنه لم يوقع على الحكم الذي صدر على آريوس باعتباره هرطوقياً، وحرمانه من منصبه ومن الكنيسة ونفيه(٣).

تعقيب: وبذلك نرى من خلال المصادر المسيحية، أن المجمع النيقاوي قد انعقد تحت رياسة قسطنطين، وأنه هو الذي افتتح مناقشاته، مستعملاً سلطانه

---

(١) يختلف قانون الإيمان النيقاوي المذكور في كتاب الخريدة النفيسة (وهو مصدر معتمد في الكنيسة اللاخلقيدونية) عن هذا، حيث لايوجد فيه عبارة «وبالروح القدس». الخريدة النفيسة ١/ ٢٩٤. وهذا يدلنا على عدم اتفاق الكنائس حول ماقرر في مجمع نيقية، مما يمحي عنه الصبغة الإلهامية.

(٢) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة ٣/ ٤٨.

(٣) سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٢٨. وقد أيد هذا أيضاً المؤرخ أفسابيوس (أسقف قيصرية فلسطين، وكان أحد أعضاء مجمع نيقية) انظر في هذا د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله ١/ ٢٠١. ول. ديورانت: قصة الحضارة ١١/ ٣٩٥.

كامبراطور ـ حسب مايفصح عنه بعض هؤلاء المؤرخين ـ لفرض القانون النيقاوي، والذي يعتبر أهم مافيه تأليه المسيح وتجسده وصلبه لأجل خلاص البشرية، وإذا ماأخذنا بعين الاعتبار كيف أن الامبراطور قسطنطين كان مايزال وثنياً في ذلك الوقت، أو على الأقل لم يعلن مسيحيته بعد، ولم يقبل المعمودية، علمنا أن ماأيده من الآراء إنما هو مايعتبر الأقرب إلى عقيدته الوثنية.

ويمكننا أن نتساءل هنا: بأي حق وسلطان تمّ انعقاد مجمع نيقية بإشراف الامبراطور قسطنطين وتحت سيادته، أو حسب قول بعضهم، بأنه هو الذي دعا إليه، كيف هذا وهو مايزال وثنياً، أو على الأقل لم يظهر مسيحيته بعد، على فرض صحة قولهم بأنه قد آمن بالمسيح ولكنه لم يظهر إيمانه، إذ للمعمودية عندهم أثر عظيم في نقل الآثار التي حققها المسيح للبشرية إلى المعمَّد، كما رأينا سابقاً[1].

إن تدخل قسطنطين في قرارات المجمع ينبغي أن يكون مرفوضاً حتى من قبل المسيحيين أنفسهم، طالما أن الأساقفة هم وحدهم الذين يحق لهم إبداء الرأي في المجامع المسكونية، أما الأباطرة والحكام فإن حضورهم هو فقط من أجل إشاعة الطمأنينة، وأنه لا يحق لهم إبداء الرأي أبداً، فكيف جاز إذاً لقسطنطين، على فرض صحة اعتباره مسيحياً، ماهو أكثر من إبداء الرأي، ألا وهو أن يكون المجمع ككل، أساقفته وقراراته، تحت سلطانه وسيادته، إن هذا يشكّك في نزاهة قرارات هذا المجمع، ويوهن من صحة الادعاء بكونها ملهَمة، حتى بناء على قواعد المسيحيين، الذين يشترطون في المجمع المسكوني شروطاً عدّة لتحقق مسكونيته، ليعتبر ملهماً من الروح القدس.

وهاهو ذا د. أسد رستم يشير من طرف خفي إلى تدخل قسطنطين هذا، وآثاره السلبية على الكنيسة فيقول:

---

(١) انظر ص١٣٨ من هذا الكتاب.

«وكان لعطف قسطنطين على الكنيسة وقع عظيم في جميع الأوساط النصرانية، فاشتد الحماس له، وعظمت الثقة به، حتى أصبح ملجأ النصارى ونصيرهم، فشكوا أمورهم إليه، ورجوا تدخله، وكان هو حبر الدولة الأعظم ورأسها، فشعر أنه من واجبه أن يحافظ على الأمن وحرية العبادة، فتدخل في شؤون الكنيسة، وسجّل بتدخله سابقة خطرة، أدّت فيما بعد إلى مشاكل ومشاكل بين الدولة والكنيسة، وما الانشقاق العظيم الذي شطر الكنيسة الجامعة في القرن الحادي عشر شطرين إلا نتيجة محتمة لتدخل الدولة في شؤون الكنيسة، وربط السياسة الدينية بالسياسة السياسية»[1].

وها هو ذا المؤرخ ول ديورانت يعلّل اعتناق قسطنطين للمسيحية، بأن ذلك كان منه حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية، فخطابه في مجمع نيقية يكشف عن قلة اهتمامه بعلوم الدين، كما يكشف عن الهدف السياسي الذي كان يبتغيه من سياسته الدينية، فما كان منه إلا أن استبدل المسيحية بالوثنية، مع الحفاظ على اسمها فقط[2].

أما المؤرخ ابن البطريق (في القرن العاشر الميلادي)، فإنه قد أتى بما يكشف النقاب عن تدخل قسطنطين في هذا المجمع، حين صرّح بحقيقة ماحاول الجميع إخفاءه، وهو مايتناسب مع منطق الأحداث السابقة واللاحقة، التي سنذكرها فيما بعد[3]، كما يتناسب مع منطق قسطنطين وأهوائه الوثنية، فيقرر هذا المؤرخ أن عدد المجتمعين في المجمع النيقاوي بلغ ٢٠٤٨ أسقفاً، وأنهم كانوا مختلفين في الآراء والمذاهب، فاجتمع قسطنطين بهؤلاء جميعهم، وسمع مقالة كل فريق من ممثليها،

---

(١) د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله ١ / ١٨٩.

(٢) ول. ديورانت: قصة الحضارة ١١ / ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٣.

(٣) انظر ص٢٢٣ من هذا الكتاب.

فعجب أشد العجب مما رأى وسمع، ولم يكن منه أخيراً، إلا أن أمر كل هذه الفرق بالمناظرة فيما بينها، لينظر الدين الصحيح، وهيّأ لأجل هذا داراً مخصصة للمناظرة، وقد أعجب قسطنطين بمقالة الفئة المتبنية لآراء بولس المؤلهة للمسيح، فعقد مجلساً خاصاً للأساقفة الذين يمثلون هذا الرأي، وعددهم ٣١٨ أسقفاً، واستبعد الباقين من هذا المجلس[١]، ثم يقول ابن البطريق بعد هذا: «ووضع الملك للثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً مجلساً خاصاً عظيماً، وجلس في وسطهم، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه، فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي، لتصنعوا ماينبغي لكم أن تصنعوا، مما فيه قوام الدين، وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك، وقلدوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذُبّ عنه، ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع، منها مايصلح للملك أن يعمل به، ومنها مايصلح للأساقفة أن يعملوا به»[٢].

ويظهر لنا من كلام ابن البطريق السلطان الذي استعمله قسطنطين للوصول إلى مآربه الوثنية، حيث استعمل كلاً من عصا الترغيب والترهيب، حتى مع الذين انتقاهم، وهم ٣١٨ أسقفاً، فرضخوا إلى مطالبه، ولم يتمرد على أوامر الامبراطور إلا آريوس ومن تابعه جهرة، حيث لم يستطع الامبراطور إبعاده مع من استبعده، لأن المجمع عقد خصيصاً لأجل البحث في أقواله في المسيح.

---

(١) أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص ١٢٥ نقلاً عن ابن البطريق، وانظر ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى ص ١٢٢ ومابعدها.

والغريب في الموضوع هو عدم توفر كتاب ابن البطريق هذا في سورية على الإطلاق، على الرغم من أنه مؤرخ معتمد لدى الكنيسة، وربما يكون السبب في استبعاد هذا الكتاب هو تفصيله لأمر مجمع نيقية، تفصيلاً يفتضح معه ماحاولت الكنيسة إخفاءه من تدخل نسطنطين في إقرار عقائد مجمع نيقية.

(٢) أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص ١٢٥.

جـ ـ حال الآريوسيين بعد انتهاء مجمع نيقية يؤيد تدخل الامبراطور قسطنطين في قرارات المجمع[1]:

إذا مااستعرضنا كتابات المؤرخين المسيحيين عن حال الآريوسيين بعد المجمع رأيناها تؤكد بشكل غير مباشر تدخل الامبراطور قسطنطين في كل ماجرى في مجمع نيقية.

ومن هذا أنه على الرغم من أن مجمع نيقية قد حكم على آريوس وعلى الأسقفين الآخرين اللذين رفضا التوقيع على الدستور، وعلى الأسقفين اللذين رفضا التوقيع على الحكم الصادر على آريوس، حيث حكم عليهم بالفصل من كراسيّهم والنفي من بلادهم، كما صدر مرسوم امبراطوري يأمر بحرق كتب آريوس جميعها، ويجعل إخفاء أي كتاب منها، جريمة يعاقب عليها بالإعدام[2]، ومع هذا كله فإن مجمع نيقية لم يتمكن من استئصال جذور الشقاق، فلم تنته قضية الآريوسيين بتحديدات هذا المجمع، وفي هذا يقول المؤرخ المسيحي سميرنوف:

«لم تنته قضية الآريوسية بتحديدات مجمع نيقية، فالأساقفة الذين وقعوا دستور نيقية ليس عن إخلاص، ظلوا كالسابق آريوسيين، واجتهدوا كالسابق بنشر تعليمهم الآريوسي»[3].

---

(١) ـ سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٢٩ ـ ٢٣٨.
ـ د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله ١/ ٢٠٧ ـ ٢٤٦.
ـ لومند الفرنسي: خلاصة تاريخ الكنيسة ١/ ١٨٠.
ـ جراسيموس مسرة: تاريخ الانشقاق ١/ ١٢٠.
ـ جون لوريمر: تاريخ الكنيسة ١/ ٥٧ ـ ٦٣.

(٢) ـ سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٢٨.
ـ د. محمد أحمد الحاج: النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ١٨٠ نقلاً عن قصة الحضارة، للمؤرخ ول ديورانت.

(٣) سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٢٨.

وسرعان ماامتد تدخل الامبراطور قسطنطين إلى مابعد المجمع، حيث تحولت عواطفه إلى الآريوسيين، فأرجع آريوس من منفاه عام ٣٢٨م، اعتقاداً منه أنه قد ترك ضلاله، كما أرجع اثنين من الأساقفة الذين تابعوه، إلى كرسيهما (منصبهما الأسقفي)، لتقديمهما رسائل ندامة[١].

ومن الملاحظ هنا أن تدخل الامبراطور في إبطال حكم المجمع على آريوس من تابعه، ينبغي أن يكون مرفوضاً غير مقبول من قبل المسيحيين، حيث أنهم يشترطون على كل من حرمه مجمع مسكوني، أن لايحلّه إلا مجمع مسكوني آخر.

هذا ويقرّ المؤرخون المسيحيون بأن أغلب آباء الكنيسة في الشرق كانوا آريوسيين، بينما كان آباء الكنيسة في الغرب أرثوذكساً (أي مستقيمي الإيمان).

وبدأ الصراع بين الآباء في الشرق والغرب، وأخذ أباطرة الشرق بعد قسطنطين، الذي انقسمت امبراطوريته من بعده إلى قسمين ،امبراطورية الشرق وعاصمتها القسطنطينية، وامبراطورية الغرب وعاصمتها روما، أخذوا يؤيدون الآريوسيين، وينفون من خالفهم من الشرقيين.

ولم تلح تباشير عام ٣٥٦م حتى أحرز الآريوسيين النجاح في الشرق والغرب، حين تولى امبراطور الشرق (قسطنديوس الثاني) امبراطورية الغرب أيضاً، بعد مقتل أخيه امبراطور الغرب، وصارت كل المراكز الأسقفية الهامة في أيدي الآريوسيين، ونفي الأسقافة الأرثوذكس، ولم يعودوا إلى أوطانهم إلا في عهد الامبراطور يوليان عام ٣٦٢م[٢].

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٢٩. إلا أن المؤرخَين د. أسد رستم، وجراسيموس مسرّة قد ذكرا إحالة قسطنطين لآريوس إلى مجمع مكاني، من أجل قبوله في الكنيسة، انظر د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله ١ / ٢٠٧، ٢١٠، ٢١١، وجراسيموس مسرة: تاريخ الانشقاق ١/ ١٢٠.

(٢) من الجدير بالذكر هنا القول بأنه وجد بعد هذا الامبراطور من يؤيد الآريوسيين. انظر سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٣٦.

وكان من آثار نصر الآريوسيين أن تطاولت أعناقهم إلى تعديل دستور الإيمان النيقاوي، فعقدوا مجمعاً مكانياً في سرميوم عام ٣٥٧ م، فحرموا الإشارة إلى الجوهر والمساواة في الجوهر والتشابه، لعدم ورود هذه الاصطلاحات في الكتاب المقدس، مع التأكيد على عظمة الآب وتفوقه على الابن[1].

تعقيب: وهذا الذي يذكره المؤرخون المسيحيون، ويقرون به، يدلنا على أن معظم المسيحيين في الشرق كانوا موحّدين، وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن منشأ كنيسة المسيح كان في الشرق، وأن رسله (تلاميذه) في زمنه، لم يتجاوزوا الشرق في رحلاتهم الإيمانية، وأن أول من جاب بلاد الغرب هو بولس الرسول، أدركنا أهمية اعتراف المسيحيين بأن أغلب الآباء المسيحيين في الشرق كانوا آريوسيين، ودلّنا هذا على أن التوحيد الذي يقول به هؤلاء هو عين دعوة المسيح ورسالته.

بالإضافة إلى أن إقرارهم بتدخل قسطنطين في قرارات المجمع بعد انتهائه، حيث ألغى قرار المجمع بحرم آريوس ومن تابعه، الأمر الذي لايجوز إلا لمجمع مسكوني آخر، وهذا دليل على مدى تدخل قسطنطين بسيادته وسلطانه في قرارات المجمع، مما يفقدها الصبغة الإلهامية المزعومة.

هذا ولم يقف تدخل الأباطرة في الشؤون الكنسية والأمور العقديّة عند الامبراطور قسطنطين، بل لقد نهج من أتى بعده منهجه في التدخل، فرأينا من هؤلاء الأباطرة من أيّد الآريوسيين ونصبّهم على الكراسي الأسقفية، بما فيها الكراسي الرسولية، التي يشترط إجماع رؤسائها على قرارات المجامع المسكونية، لتحوز صفة المسكونية الملهَمة.

---

(١) ـ المرجع نفسه ١/ ٢١٩ ـ ٢٢١، ٢٢٩ ـ ٣٣٥.

ـ جراسيموس مسرة: تاريخ الانشقاق ١/ ١٢٣، ١٢٤، ١٤٣ ـ ١٤٦.

ويمكننا أن نتساءل: ماهو موقف المسيحيين لو أن مجمعاً مسكونياً انعقد في تلك الفترة، وأنكر ألوهية المسيح، هل يقال عندئذ بمسكونيته، مادام مستوفياً لشروط المجمع المسكوني؟.

٢ ـ المجمع المسكوني الثاني (القسطنطيني ٣٨١م):

ظهر في هذا العصر مذهبان مرتبطان بالآريوسية، وليسا بأقل منها مناقضة للتثليث، وهما ماذهب إليه كل من أبوليناريوس ومكدونيوس[١].

وكان أبوليناريوس أسقفاً على اللاذقية بالشام نحو عام ٣٦٢م، وقد اعتقد بوجود تفاوت في المرتبة بين الأقانيم، فالآب أعظم من الابن، والابن أعظم من الروح[٢].

أما مكدونيوس، وهو نصف آريوسي[٣]، وكان أسقفاً سابقاً على القسطنطينية نحو سنة ٣٤٢م، فكان يعلّم بأن الابن يشبه الآب، كما أنكر ألوهية الروح القدس، وجعله مخلوقاً كسائر المخلوقات[٤].

ومن الجدير بالذكر القول بأن الكنائس الشرقية كانت كلها قبيل هذا الوقت بأيدي الآريوسيين، إلا أن الامبراطور ثيودوسيوس الذي نصب امبراطوراً على الشرق عام ٣٧٩ ـ ٣٨٠م، أعلن بحزم أنه مع الأرثوذكس، ولذلك عزم على أن يعيد التعليم الأرثوذكسي بصورة احتفالية، فدعا إلى عقد مجمع في القسطنطينية (وهي اليوم معروفة باسم استانبول في تركيا) سنة ٣٨٠م.

فاجتمع في القسطنطينية عام ٣٨١م مائة وخمسون أسقفاً كلهم من الشرق، ولم يكن هنالك أي أسقف غربي، ولاحتى البابا أو نوابه، مع أنهم قد دعوا جميعاً إلى المجمع.

---

(١) يسمي المسيحيون كل رأي مخالف لرأي المجامع بـ «الهرطقة»، والقائمون بهذه الهرطقة بـ «الهراطقة».
(٢) زكي شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط ١/ ١٧٦.
(٣) أنصاف الآريوسيين يجعلون الابن مشابهاً للآب في الجوهر، ولكنه مختلف عن جوهره. أما الآريوسيين فيؤكدون على أن طبيعة الابن كمخلوق هي غير طبيعة الله.
(٤) سمير نوف: تاريخ الكنيسة ص ٢٣٩، ٢٤٠.

هذا وقد وفد إلى المجمع ٣٦ أسقفاً من أنصاف الآريوسيين، فامتنعوا من الاشتراك في أعمال هذا المجمع لأنهم لم يرضوا عن القول بدستور نيقية، فلم يبق للاشتراك في أعمال هذا المجمع إلا كل أرثوذكسي مستقيم الإيمان.

وبحث المجمع في الهرطقات وحكم على جميعها بما فيها الآريوسية والنصف آريوسية والمكدونية والأبولينارية، كما حرَمَ مكدونيوس وأبوليناريوس وأسقطهما من رتبتهما الأسقفية، وثبّت دستور نيقية ومنع تغييره، إلا أنه فصّل في الروح القدس، الذي ذكره مجمع نيقية بإجمال شديد، حيث اكتفى بقوله: «وبالروح القدس». أما المجمع القسطنطيني فإنه أكد ألوهية الروح القدس وانبثاقه من الآب، فزاد على دستور نيقية مايلي: «.....، وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي يسجد له ويمجّد مع الآب والابن، الناطق بالأنبياء»[1]. وأصبح يطلق على هذا الدستور، الدستور النيقاوي القسطنطيني.

(١) د. أسد رستم: مدينة الله ١/ ٢٥٢-٢٥٦.
- الخريدة النفيسة ١/ ٣٧٩.
- سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٤١-٢٤٤.
- زكي شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط ١/ ١٧٦.
- جراسيموس مسرة: تاريخ الانشقاق ١/ ١٤٩-١٦٥.

ومن الجدير بالذكر هنا التنويه إلى أن الكنيسة السريانية تضيف إلى دستور الإيمان النيقاوي القسطنطيني عبارة (والدة الإله) «تجسد من مريم العذراء والدة الإله». انظر نحو نص عربي موحد لقانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني ص ٤١.

وذكر المؤرخ لومند الفرنسي (كاثوليكي) أن مجمع القسطنطينية قد زاد بعض كلمات في موضوع تجسد الابن لم توجد في دستور نيقية، فقد ورد في الدستور النيقاوي القسطنطيني مايلي: «نزل الابن من السموات، وتجسد بالروح القدس من مريم العذراء، وتأنس وصلب لأجلنا على عهد بيلاطس النبطي، وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث، كما في الكتب، وصعد إلى السموات وجلس عن يمين الآب، وأيضاً يأتي بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات، وليس لملكه انقضاء» انظر خلاصة تاريخ الكنيسة ١/ ٢٢٥.

وانظر نص الدستور النيقاوي ص ٢٢٠ من هذا الكتاب.

وهذا الاختلاف بين الكنائس حول كلماتِ الدستور، يدلنا على عدم إلهامية هذه المجامع، بل وحتى عدم إلهامية الكنائس.

انظر إلهامية الكنائس ص ٢٥٧ من هذا الكتاب.

ويؤكد المسيحيون على مسكونية هذا المجمع على الرغم من عدم حضور أي من أساقفة الغرب، حيث أن حضور الكنائس الشرقية التي يتمثل بحضورها حضور أغلب الكراسي الرسولية كافٍ لاعتبار مسكونية المجمع، بالإضافة إلى أن قرارات المجمع قد حازت القبول من جميع الكراسي الرسولية، ومن بينها كرسي روما الذي لم يشترك في هذا المجمع، وهذا يعتبر تثبيتاً لمسكونية المجمع.

وقد أصدر الامبراطور ثيودوسيوس بعد انعقاد المجمع مرسوماً شديد اللهجة جاء فيه أن جميع الأساقفة الذين لم يقبلوا الدستور النيقاوي القسطنطيني يحرمون من مراكزهم ويقام مقامهم أرثوذكسيون.

تعقيبات:

نلاحظ في هذا المجمع عدة أمور تجعلنا نشكّك في مسكونية هذا المجمع وإلهاميته، حتى بناء على قواعد المسيحيين أنفسهم:

أولاً: تدخل الامبراطور ثيودوسيوس في هذا المجمع، وعدم سماحه بأن يحضر المجمع إلا من يريد، ممن توافق عقيدته العقيدة التي تبناها ذلك الامبراطور، والذي يدلنا على هذا إقرار المؤرخين المسيحيين بأن هنالك ٣٦ أسقفاً حضروا القسطنطينية، إلا أنهم امتنعوا عن الاشتراك في أعمال هذا المجمع لأنهم لم يرضوا عن القول بدستور نيقية، وإذا لم يصرح هؤلاء بأن الامبراطور هو الذي منعهم من حضور المجمع، إلا أن هذا واضح مهما حاولوا إخفاءه، وخاصة حين قالوا: فلم يبق للاشتراك في أعمال هذا المجمع إلا كل أرثوذكسي مستقيم الإيمان، إذ ما الذي يمنعهم من المشاركة ماداموا قد حضروا من بلادهم من أجل المشاركة، إلا إذا كانت هنالك قوة وسلطة قد منعتهم الحضور..

ثانيها: إن إصدار الامبراطور لمرسوم التحريم عقب المجمع مباشرة يدل على أن قولهم بضرورة موافقة كرسي روما الذي لم يحضر أسقفه، من أجل اعتبار المجمع مسكونياً، ماهو إلا صورة شكلية، فهم في الواقع لم ينتظروا موافقة أسقف روما لإصدار ذلك التحريم، بل وحتى هذه الموافقة لم يوجد مايؤكدها، وربما يكون لسلطان الامبراطور أثر كبير في رضوخ أسقف روما لقرارات هذا المجمع.

ثالثها: إن اختلاف الكنائس في كلمات نص الدستور النيقاوي القسطنطيني كما رأينا سابقاً، دليل أيضاً على عدم عصمة هذا المجمع المسكوني، بالإضافة إلى أن زيادة المجمع القسطنطيني لعقيدة ألوهية الروح القدس على الدستور النيقاوي دليل أيضاً على إعمالهم العقل والفكر في عقيدتهم، دون أن يكون لهم مستند شرعي من كتابهم المقدس، وأن هذه العقيدة قد تطورت مع مرور الزمن إلى أن وصلت عبر المجامع المسكونية إلى ماهي عليه الآن، كما أن هذا التطور الحاصل في قرارات المجامع المسكونية يقف حجر عثرة فيما يدّعونه من إلهامية المجامع المسكونية وعصمتها، أما تبريرهم لهذا بأن الزيادة على دستور نيقية لاتتنافى مع كون مجمع نيقية معصوماً ملهماً من قبل الروح القدس، حيث إن مجمع نيقية قد جعل من دستور نيقية رداً على بدعة آريوس لاقانوناً كاملاً مانعاً، فزيادة بعض عبارات تقتضيها ظهور بدع أخرى لايؤثر على مسكونية المجمع وعصمة قراراته عندهم، فإن هذا تبرير واهٍ حملهم إليه ما رأوه من زيادة هذا المجمع في دستور الإيمان الذي قررّ في مجمع نيقية، والذي يؤكد لنا هذا هو تحريمهم فيما بعد - في المجمع المسكوني الثالث - للزيادة على دستور الإيمان النيقاوي القسطنطيني، رغم ظهور بدع أخرى، ردّ عليها المجمع.

٣ ـ المجمع المسكوني الثالث (مجمع أفسس) سنة ٤٣١م[1]:

ظهر في هذه الفترة مذهب آخر يرأسه نسطور الذي ولد في الربع الأخير من القرن الرابع، وكان أحد تلامذة مدرسة أنطاكية، وكان قساً مشهوراً في أنطاكية بالفصاحة والسيرة النسكية، رقي إلى منصب البطريركية القسطنطينية، إلا أنه لم يلبث بعد تنصيبه بطريركاً حتى راح يميّز في المسيح الإله على حدة والإنسان على حدة، ففصل المسيح إلى أقنومين (شخصين)، مؤكداً على أن الكلمة (الابن الإلهي) حلّ في المسيح الإنسان لما بلغ الثلاثين من عمره، وانفصل عنه في أثناء الصلب والآلام، واستنتج من هذا أن العذراء لم تلد سوى الإنسان، ولذلك لايجوز أن تلقب بـ «والدة الإله»، لأن الإله لم يولد ولم يتألم، ولايخفى أن نظرة نسطور هذه إلى المسيح، لاتجعل منه سوى إنسان بشر أرسل من قبل الله تعالى، وترفض تأليهه

وقد وقف كيرلس بطريرك الاسكندرية ضد تعاليم نسطور، وعقد مجمعاً محلياً في الاسكندرية ضد تعاليم نسطور، وشبّ إثر ذلك نزاع بين كنيسة القسطنطينية تؤيدها كنيسة أنطاكية، وبين كنيسة الاسكندرية تؤيدها كنيسة روما وأورشليم.

ولما رأى الامبراطور ثيودوسيوس الثاني هذه الخلافات دعا إلى عقد مجمع مسكوني في أفسس (بلدة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب) سنة ٤٣١م، ووفدت الوفود إلى أفسس، إلا أن الوفد الأنطاكي والروماني قد تأخرا عن الوصول لبعد

---

(١) ـ خريسوستمس بابا دوبولس: تاريخ كنيسة أنطاكية ص ٢٤٢ ـ ٢٤٥.
ـ جراسيموس مسرة: تاريخ الانشقاق ١/ ١٩٥، ٢٠١.
ـ د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله أنطاكية ١/ ٣١٢، ٣٢٢.
ـ الخريدة النفيسة ١/ ٤٨٣، ٤٩١.
ـ سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٥٢ ـ ٢٥٦.

المكان وغزارة الأمطار، فأرسلوا إلى المجمع رسالة يعتذرون فيها عن تأخرهم ويخبرون بإمكانية وصولهم بعد خمسة أيام، إلا أن كيرلس الاسكندري افتتح المجمع قبل وصول بقية الوفود، وذلك بناء على طلب المجتمعين في أفسس.

وافتتح المجمع، ودعي نسطور للحضور فأبى مع أنه كان موجوداً في أفسس، فحكم عليه المجمع بالقطع من الدرجة الأسقفية.

واعتبر المجمع رسائل كيرلس الاثني عشر - وكان قد كتبها قبل انعقاد المجمع، ردّ فيها على نسطور - رسائل أرثوذكسية، كما بيّن المجمع عدم إمكانية سن قانون إيمان غير دستور الإيمان النيقاوي القسطنطيني، وأن لايزيد فيه أحد ولاينقص منه شيئاً، وحرم كل من يفعل خلاف ذلك[1].

ووصل يوحنا إلى أفسس بعد افتتاح المجمع وقطع نسطور، فأسف لذلك واعتبر ذلك ظاهرة من ظواهر الرعونة والاستبداد، وعقد البطريرك الأنطاكي يوحنا مجمعاً مؤلفاً من نحو أربعين أسقفاً، حكم فيه بالقطع على كيرلس لظلمه، وحكم أيضاً على سائر الأساقفة الذين قبلوا قرار المجمع دون فحص ولاتروٍّ، حتى يجتمعوا ثانية ويلغوا ماقرروه، ويحرموا بنود كيرلس الاثني عشر.

وواصل مجمع أفسس انعقاده، فدعا يوحنا عدة مرات فلم يحضر، فحكم عليه المجمع بقطعه، وقطع الأربعة والثلاثين أسقفاً الذين معه.

وماكان من يوحنا إلا أن احتج على هذا المجمع، وكتب إلى الامبراطور بذلك، فأمر الامبراطور بتكدير كيرلس وتوبيخه، وببقاء جميع الأساقفة في

---

(١) يميّز المسيحيون بين دستور الإيمان وبين نصوص الاعتراف والتحديدات العقائدية، فالأول ثابت عندهم لايمكن الزيادة عليه ولا الانتقاص منه، وهو دستور الإيمان النيقاوي القسطنطيني، أما نصوص الاعتراف والتحديدات العقائدية فيزاد عليها من خلال المجامع المسكونية، كما أنها لاتنتهي بانتهاء هذه المجامع المسكونية، بل هي باقية مادامت الحاجة إليها مستجدة.

- انظر تيموثي وير: الكنيسة الأرثوذكسية إيمان وعقيدة ص ٢٠.

أفسس، وأن يجمعوا مجمعاً واحداً، ويقرروا فيه قرارات جديدة متفق عليها، إلا أن هذا لم يحصل، بل أرسل كل حزب إلى الامبراطور يؤيد صنيعه ويطعن بحق الآخر، فما كان من الامبراطور إلا أن خلع كيرلس ونسطور معاً، وأوجب الاستمساك بنص الدستور النيقاوي القسطنطيني، وأمر بالعودة إلى الأوطان.

إلا أن الامبراطور عاد بعد فترة وجيزة فسمح بإعادة كيرلس إلى منصبه، ومع هذا فإن ذلك لم يكفِ لإعادة السلم والوئام بين الصفوف، حيث إن الأنطاكيين قد عقدوا مجمعين بعد ذلك، أعادوا فيهما حرم كيرلس وحرم بنوده، فساء هذا الامبراطور، فدعا كلاً من كيرلس ويوحنا إلى اجتماع خصوصي يعقد بينهما وحدهما في نيقوميذية، فحضرا للاجتماع، وأمضيا على اعتراف إيمان حرّره ثيودريطس أسقف قورش وهو: «نؤمن بأن سيدنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد، هو إله تام وإنسان تام، من نفس ناطقة وجسد. . . . وأنه قام به اتحاد طبيعتين[1] وأنه مسيح واحد، وابن واحد، ورب واحد، وأن البتول بحسب هذا الاتحاد العادم الاختلاط هي والدة الإله، لأن الإله الكلمة تجسد وتأنس منها ومن بدء الحبل اتحد بذاته الهيكل المأخوذ منها. . . الخ».

وبذلك قرر في هذا المجمع وجود طبيعتين في المسيح، بشرية، وإلهية، وأن هاتين الطبيعتين متحدتان من غير اختلاط، وأن مريم تدعى والدة الإله. . .

مسكونية مجمع أفسس:

يعتبر المسيحيون هذا المجمع مسكونياً، إلا أنه لم يحز على صبغته المسكونية حتى تصالح كيرلس ويوحنا عام ٤٣٣م، وقبل يوحنا المجمع ووقّع على حرم

---

(١) الطبيعة هي ماهية الشيء، وهي والجوهر ذات معنىً واحد، فالمسيح بناء على هذا له طبيعتان بشرية وإلهية، وهما متحدتان غير منفصلتين، ولم يبين هذا المجمع هل صارتا بعد الاتحاد طبيعة واحدة، أم بقيتا طبيعتين.

نسطور، واشتراط تصديق يوحنا على مجمع أفسس وقبوله إياه لاعتبار مسكونيته لايعني أن يوحنا كان رأس الكنيسة، بل يعني ضرورة قبول المجامع المسكونية من قبل رؤساء الكراسي الرسولية الشرعيين، الذين كان يوحنا واحداً منهم يومذاك.

وقفة يسيرة مع هذا المجمع:

نلاحظ في المجمع عدة أشياء تشكك في مسكونيته وعصمته:

أولها: تدخل الامبراطور في أمور المجمع، حيث دعا إليه أولاً، ثم خلعه لكيرلس رئيس المجمع على الرغم من أن المجمع لم يخلعه، ثم إنهاؤه أخيراً لهذا المجمع وأمره بعقد مجمع آخر، وقد علمنا مالهذا من آثار سلبية تشكك في مسكونية هذا المجمع وعصمته حتى بناءعلى قواعد المسيحيين أنفسهم.

ثانيها: إن إقرارهم بعدم إمكانية المجامع المسكونية التالية للمجمعين الأولين، بأن تسن قوانين جديدة غير دستور الإيمان النيقاوي القسطنطيني، وتحريمها الزيادة أو النقصان من هذا الدستور، لدليل على ضعف تبريرهم السابق لزيادة مجمع القسطنطينية في قانون الإيمان النيقاوي، إذ لوكان الأمر كما ذكروا من أن الزيادة على دستور نيقية لاتتنافى مع كون مجمع نيقية مجمعاً معصوماً ملهماً من الروح القدس، والسبب في هذا هو أن مجمع نيقية قد جعل من دستور نيقية رداً على بدعة آريوس لا قانوناً كاملاً مانعاً، وأن زيادة بعض عبارات يقتضيها ظهور بدع أخرى لايؤثر على مسكونية المجمع وعصمة قراراته[1]، لو كان الأمر كذلك لكان من الجائز أيضاً أن يزاد في الدستور النيقاوي القسطنطيني في مجمع أفسس، لدى ظهور بدعة نسطور، وحيث أنهم منعوا هذا فإنهم يناقضون أنفسهم من حيث

---

(١) انظر ص٢٣٠ من هذا الكتاب.

لايعلمون، ويكون هذا مأخذاً عليهم في قولهم بعصمة المجامع وإلهام الروح القدس لها.

ثالثها: إن مسكونية مجمع أفسس ينبغي أن يُطعن فيها بناء على قواعد المسيحيين أنفسهم في المجامع وشروطها، ومن هذا أنهم يشترطون في المجمع لاعتبار مسكونيته، قبول قراراته من قبل جميع الكراسي الرسولية، إلا أننا نلاحظ في هذا المجمع أن نسطور بطريرك القسطنطينية، وهي من الكراسي الرسولية، لم يحضر هذا المجمع، بالإضافة إلى أنه كان ممن حرمهم هذا المجمع وقطعهم من درجتهم الأسقفية، وبهذا خسر المجمع موافقة أحد رؤساء الكراسي الرسولية، مما يعتبر طعناً في مسكونية المجمع.

٤ً ـ المجمع المسكوني الرابع:

يعتبر هذا المجمع من المجامع الهامة في تاريخ الكنيسة، حيث كان سبباً رئيساً من أسباب انشقاق الكنيسة الشرقية إلى قسمين، كما سنرى فيمابعد.

ويمكننا أن نقسّم الحديث في هذا المجمع إلى قسمين:

أ ـ مجمع أفسس الثاني عام ٤٤٩م[(١)]:

وكان السبب في انعقاد هذا المجمع ظهور أوطيخا في مدرسة الاسكندرية، حيث راح يعلم باختلاط طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت في

(١) نميّز في مصادر هذا المجمع بين المصادر الخلقيدونية، وهي المصادر التي كتبها مؤرخون يتبعون للكنيسة التي تعترف بمجمع خلقيدونية، الذي سنتحدث عنه في ص ٢٥٢ من هذا الكتاب، وهذه المصادر هي:
- جراسيموس مسرة: تاريخ الانشقاق ١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٥.
- د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله ١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٥.
- سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٦٤، ٢٦٥.
- خريسوستموس بابا دوبولس: تاريخ كنيسة أنطاكية ص ٢٨٨ ـ ٢٩٠.

أما المصادر اللاخلقيدونية، فهي المصادر التي كتبها مؤرخون يتبعون للكنيسة التي لاتعترف بمجمع خلقيدونية، وهي: أغناطيوس يعقوب الثالث: الكنيسة السريانية الأنطاكية ص ٢٤.
- زكي شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط ١/ ١٧٨.
- الخريدة النفيسة ١/ ٤٩٨ ـ ٥١١.
- إسحاق ساكا: كنيستي السريانية ص ٣٥، ٣٦.

المسيح، وتحولهما إلى طبيعة واحدة، وعدم تميّز اللاهوت من الناسوت بعد هذا الاختلاط، وكأن طبيعته الناسوتية قد اندثرت، وصارت مبتلعة من قبل الطبيعة الإلهية.

فاجتمع في أفسس ١٣٠ أسقفاً أو أكثر، ورئس ديوسقوروس بطريرك الاسكندرية هذا المجمع، وقد حضر إلى المجمع نواب بابا رومية (بطريرك رومة) ومعهم رسالة منه، يشرح فيها تعليم الكنيسة بالطبيعتين في المسيح (بعد الاتحاد والتجسد)، إلا أن ديوسقوروس رفض قراءة رسالة بابا رومة.

وقد أقرّ المجمع أوطيخا على عقيدته في أن للمسيح طبيعة واحدة بعد التجسد، متحدة من طبيعتين، وبرأه من الحرم، وحرم[١] كل من يقول بطبيعتين بعد التجسد والاتحاد بين الطبيعة البشرية والإلهية، ومن هؤلاء ثيودريطس أسقف قورش، وأفلابيانوس أسقف (بطريرك) القسطنطينية، وإيبا أسقف الرها، حيث رأوا أن عقيدة هؤلاء هي عقيدة نسطور ذاتها، وهي مخالفة للمجمع الثالث ورسائل كيرلس[٢].

وقد صدّق الامبراطور على أعمال هذا المجمع.

هذا وإن المصادر الخلقيدونية التي أرّخت لهذا المجمع، قد ذكرت أن ديوسقوروس قد استعمل القوة عند حكمه على هؤلاء، حتى أنهم انكبّوا على

---

(١) الحرم هو الفصل من الكنيسة، أما القطع فهو من الدرجة الأسقفية، فهو لذلك أقل مرتبة من الحرم.

(٢) تذكر المصادر الخلقيدونية أن هؤلاء الذين حرموا في هذا المجمع إنما هو بسبب إمضائهم على رسالة البابا لاون، بابا رومية، انظر المصادر الخلقيدونية السابقة.

ومن العجيب هنا أن هذا المجمع قد حرم ثيودريطس أسقف قورش بسبب اعتقاده مايخالف المجمع الثالث، على الرغم من أن ثيوردريطس هذا، هو نفسه الذي حرّر اعتراف إيمان المجمع المسكوني الثالث. انظر ص٢٣٣ من هذا الكتاب.

أفلابيانوس، وأشبعوه ضرباً، مماأدى إلى موته بعد ثلاثة أيام، وأنه عندما رأى هذا من كان يعارض ديوسقوروس في الحكم على هؤلاء، استولى عليه الرعب، فأمضى على بياض، أما نواب البابا ففرّوا هاربين.

ولذلك فإن الكنيسة الخلقيدونية (التي اعترفت بالمجمع الخلقيدوني التالي)، تعتقد بأن هذا المجمع هو مجمع لصوصي، نظراً لحوادثه الشنيعة، وأنه انعقد وانحلّ في يوم واحد.

أما الكنيسة اللاخلقيدونية (التي اعترفت بهذا المجمع وأنكرت مجمع خلقيدونية التالي له)، فإنها تنكر كون المجمع لصوصياً، وتؤكد استعمال كل واحد من أعضاء المجمع حريته كاملة.

كما أنها عللت عدم قراءة المجمع لرسائل لاون، بابا رومة، بأنها مخالفة للعقيدة الأرثوذكسية في نقاط جوهرية، بالإضافة إلى أنها تدل على لهجة نسطورية.

وتعتقد الكنيسة اللاخلقيدونية أن أوطيخا هرطوقي، أماديوسقوروس فهو عندهم أرثوذكسي صحيح العقيدة، فهم يميزون بين مايعتقده أوطيخا وبين ماقاله ديوسقوروس، حيث أن ديوسقوروس يقول بطبيعة واحدة للمسيح بعد التجسد والاتحاد، مركبة من طبيعتين إلهية وبشرية من غير اختلاط أو امتزاج أو استحالة، وهو لهذا يرفض قول أوطيخا بالاختلاط والامتزاج والاستحالة بين الطبيعتين.

ويبررون قبول ديوسقوروس لأوطيخا في هذا المجمع، بأن أوطيخا قدّم اعترافاً في هذا المجمع، كان في ظاهره مستقيماً وموافقاً لإيمان المجامع السابقة، وأنه لم يقل فيه أقواله المخالفة للأرثوذكسية، وترى هذه الكنيسة أن هذا المجمع لم يأت بشيء جديد بالنسبة للعقيدة، بل اكتفى بما أثبته مجمع أفسس الأول (المجمع

المسكوني الثالث)[1]، وذلك أن قولهم بطبيعة واحدة بعد الاتحاد، مركبة من طبيعتين هو قول الآباء الذين أقرتهم المجامع المسكونية السابقة، وخاصة رسائل كيرلس[2]. ولذلك فإن هذا المجمع لدى هذه الفئة يعتبر ملحقاً بالمجمع الأفسسي الأول وتذييلاً له، فالمجامع المسكونية التي تعترف بها هذه الفئة هي ثلاثة فقط.

ب ـ مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ م[3]:

تعتبر الكنيسة الخلقيدونية هذا المجمع هو المجمع المسكوني الرابع، أما مجمع أفسس الثاني، الذي عقد قبل هذا فهو في نظرها مجمع لصوصي، وذلك أن البابا لاون (بطريرك رومية)، لم يرض عن التلصص الذي جرى في المجمع الأفسسي الثاني، وكتب إلى الامبراطور يعترض على ماجرى، ويوجب انعقاد مجمع مسكوني لإعادة النظر فيما جرى، إلا أن الامبراطور ثيودوسيوس لم يكترث لهذا.

---

(١) إن مجمع أفسس الأول، لم يفصّل القول بالطبيعتين المتحدتين، هل صارتا طبيعة واحدة بعد الاتحاد، أم مازالتا طبيعتين. انظر ص٢٣٣ حاشية (١) من هذا الكتاب.

(٢) يجدر بنا هنا أن ننبه إلى أن اعتبار الآباء القديسين في كلتا الكنيستين الخلقيدونية واللاخلقيدونية مشترك بينهما، فكلاهما يعتبر صحة تعاليم كيرلس وأثناسيوس . . . وغيرهم من الآباء، رغم تضاربها في كثير من الأحيان، إلا أن كلاً منهما يفسر كلام هؤلاء تفسيراً يختلف عن الآخر (بعضهم يأخذ بظاهر الكلام، وبعضهم يؤوله . . . والمهم في هذا هو الادعاء بتأييد الآباء لما يقولونه)، مما يدعونا إلى التساؤل عن مدى صحة قولهم باعتبار التقليد الرسولي المسلَّم إلى الكنيسة عن طريق الرسل والآباء الأوائل . . . ، وأن هذا التقليد هو معصوم ملهم . . فنقول لو كان ملهماً لما اختلفت أقوال الآباء، مما حدا بهم إلى تأويل بعضها، والأخذ بظواهر الأخرى . . . ، ولما اختلفت الكنيسة في العقائد، طالما أنها تستند في هذا على التقليد الرسولي الملهم. انظر ص٢٥٨ من هذا الكتاب.

(٣) ـ د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله ١/ ٣٤٠ ـ ٣٤٤.
ـ جراسيموس مسرة: تاريخ الانشقاق ١/ ٢٢٠ ـ ٢٣٣.
ـ سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٦٦، ٢٦٧.
ـ خريسوستمس بابا دوبولس: تاريخ كنيسة أنطاكية ص ٢٩٧، ٣٠٠.

ووجد البابا لاون والأساقفة المظلومون الفرصة سانحة لعقد مجمع مسكوني، عندما توفي الامبراطور ثيودوسيوس، وخلفه الامبراطور مركيانوس، فسعى هؤلاء لديه، فأرجع المنفيين، ووافق على الدعوة إلى مجمع مسكوني جديد.

وتمّ بالفعل عقد مجمع مسكوني في خلقيدونية (في آسيا الصغرى)، ولبّى الدعوة ٥٠٠ أسقف، وحضروا إلى خلقيدونية، وكان من بين الحضور نواب البابا، والبطريرك القسطنطيني والأنطاكي والأورشليمي، وبطريرك الاسكندرية ديوسقوروس[١].

وقد حكم هذا المجمع على ديوسقوروس (غيابياً لعدم حضوره جلسات المجمع) بالقطع، لأنه برّأ أوطيخا، ولم يسمح بقراءة رسالة البابا لاون، وبسبب الاغتصابات التي ارتكبها في مجمع أفسس الثاني.

كما برّأ المجمع الأساقفة الذين حكم عليهم ديوسقوروس في مجمع أفسس الثاني، وقرأ دستور الإيمان النيقاوي القسطنطيني، وأقرّه ومنع الزيادة عليه.

ثم تليت بعد ذلك رسائل كيرلس بطريرك الاسكندرية إلى نسطور، ورسالة البابا لاون إلى أفلابيانوس، وتشير المراجع المسيحية إلى التردد الذي حصل لاعتبار رسالة البابا لاون، مقرّين بأنها لم تقبل قبولاً عمومياً من قبل الأعضاء، إلا أنه مع ذلك اتفق على تثبيتها مع رسائل كيرلس، على أن يعرفا قانوناً لاستقامة الرأي.

وقد عقب على هذا د. أسد رستم، مبيناً أن هذا قد تمّ بناء على طلب ممثلي السلطة إلى الآباء المجتمعين، في أن ينظروا في أمر الإيمان، وأن يتفقوا على صيغة تصبح هي المعوّل عليها، فأجاب الآباء بأن المجمع المسكوني الثالث قد حرّم أي

(١) حرم ديوسقوروس في هذا المجمع حق التصويت، إذ كان محاكماً في هذا المجمع بسبب الاغتصابات التي ارتكبها في مجمع أفسس الثاني.

تعديل في قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني، إلّا أنهم أصغوا أخيراً إلى رسائل كيرلس ولاون، نظراً لإلحاح السلطة[1].

كما انتخبت في هذا المجمع لجنة لتأليف صورة اعتراف للإيمان، يبت في قضية الطبيعة الواحدة التي أثارها أوطيخا، وهذا الاعتراف يتلخص بأن للمسيح طبيعتين إلهية وبشرية، وأنهما متحدتان، ولكن دون أن تصبحا طبيعة واحدة مركبة، بل هما ماتزالان طبيعتين بعد الاتحاد، وأن للمسيح أقنوماً واحداً لكلتا الطبيعتين[2].

ونحن نقتبس من هذا الاعتراف بعض عبارات منه: «إننا نعلّم جميعاً تعليماً واحداً تابعين الآباء القديسين، ونعترف بابن واحد هو نفسه ربنا يسوع المسيح، وهو نفسه كامل بحسب اللاهوت، وهو نفسه كامل بحسب الناسوت، إله حقيقي وإنسان حقيقي. . . واحداً بطبيعتين بلا اختلاط ولاتغيير ولا انقسام. . . وأقنوماً واحداً لامقسوماً ولامجزءاً إلى شخصين».

---

(١) د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله ١/ ٣٤٠.

(٢) إلا أن هذا الاعتراف لم يفصّل القول في هذا الأقنوم الواحد، هل هو إلهي أم بشري، الأمر الذي حدا بالكنيسة الخلقيدونية فيما بعد، إلى تفصيله، مؤكدة أن أقنوم المسيح هو أقنوم واحد إلهي، وأنه لايوجد أقنوم بشري للمسيح، وأن هذا الأقنوم هو نفسه الأقنوم لطبيعته البشرية ولطبيعته الإلهية، إلا أنها مع هذا لم تستطع التمييز بين الأقنوم والطبيعة، عندما أرادت شرحهما، فصرّحت بعدم وجود مميزات وصفات محدَّدة يمكن أن تكون غريبة عن الطبيعة الخاصة بحيث تتبع فقط للأقنوم.

أما الكنيسة اللاخلقيدونية فتنتقد الكنيسة الخلقيدونية، مبينة أنه لو لم يوجد للمسيح أقنوم بشري لكان ناسوته ناقصاً، ولذلك فإنها تقول بوجود أقنوم بشري وأقنوم إلهي في المسيح وأنهما متحدان، بحيث صارا بعد الاتحاد أقنوماً واحداً مركباً، بلا اختلاط ولا امتزاج ولاتغيّر. . .

انظر Vldimir Lossky : In The image P.G 119 . 120

ـ الدمشقي: المئة مقالة ٥٣ : ٩.

ـ ميخائيل مينا: علم اللاهوت ١/ ٣٢٥.

ـ إسحاق ساكا: الإله المتجسد ص ٦٩.

ولقد صدّق الامبراطور على القرارات والقوانين التي أصدرها هذا المجمع، وحلّ المجمع المسكوني الرابع (مجمع أفسس الثاني) ومنع أتباع أوطيخا من إقامة الحفلات الدينية، كما نفى أوطيخا وديوسقوروس.

أما الكنيسة اللاخلقيدونية التي تعترف بمجمع أفسس الثاني، فإنها لاتعترف بمسكونية مجمع خلقيدونية، بل تؤكد أرثوذكسية ديوسقوروس، وترفض حكم مجمع خلقيدونية عليه، وهي مع هذا تقر بالحكم على أوطيخا، وتعتبره هرطوقياً[1].

وبذلك نرى أن مجمع خلقيدونية قد أدى إلى انقسام الكنيسة الشرقية إلى قسمين، قسم يرى أنه لامسكونية لمجمع بعد مجمع أفسس الأول عام ٤٣١م، والمجمع الأفسسي الثاني التابع له عام ٤٤٩م، وأن ذلك حاصل بسبب نشوب الخلاف الشديد في مجمع خلقيدونية ٤٥١م، وماأعقب هذا المجمع من الانقسام الكبير في جسم الكنيسة، ولهذا لم يعد في وسع الكنيسة عقد مجمع مستكمل لشروط المجامع المسكونية، وتلقّب هذه الفئة بالكنيسة اللاخلقيدونية.

أما الفئة الثانية فهي التي لاتعترف بالمجمع الأفسسي الثاني وتعتبره لصوصياً، وتعتبر مجمع خلقيدونية هو المجمع المسكوني الرابع، كما تأخذ بالمجامع المسكونية الثلاثة، التي انعقدت بعده، وتسمّى بالكنيسة الخلقيدونية.

ـ مايؤخذ على هذين المجمعين:

١ ـ نلاحظ في هذين المجمعين أنهما كغيرهما من المجامع السابقة، لايخلوان من تدخل الأباطرة في القرارات والاعترافات، فالمجمع لايعقد إلا برضا الأباطرة،

---

(١) ـ الخريدة النفيسة ١/ ٥١٩ ـ ٥٣٣، ٢/ ٦٧، ٦٨.

ـ جراسيموس مسرة : تاريخ الانشقاق ١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٩.

ـ زكي شنودة : موسوعة تاريخ الأقباط ١/ ١٧٩.

ـ إسحاق ساكا : كنيستي السريانية ص ٣٧، ٣٨.

كما أن قراراته لاتصدر إلا وفق أهوائهم وشهواتهم، نلحظ هذا واضحاً عندما اعترض البابا لاون وأساقفته على مجمع أفسس الثاني، وأراد من الامبراطور أن يعقد مجمعاً آخر لإعادة النظر، إلا أن الامبراطور ثيودوسيوس لم يكترث لهذا، وبهذا لم يستطيعوا عقد مجمع آخر، إلا عندما توفي الامبراطور ثيودوسيوس، وخلفه مركيانوس، الذي وجد لديه معارضو مجمع أفسس الثاني، أرضاً خصبة لأفكارهم، وفعلاً تمّ لهم ما أرادوا، فأرجع المنفيين إلى أوطانهم، على الرغم من تأكيد المسيحيين على أن من حرمه مجمع مسكوني لايحلّه إلا مجمع مسكوني آخر. كما وافق على عقد مجمع مسكوني جديد، بالإضافة إلى تصديقه على قرارات هذا المجمع، وحلّه للمجمع المسكوني الرابع (مجمع أفسس الثاني).

٢ ـ إن أهم مايمكن أن يؤخذ عليهم في هذا هو إقرارهم بأن اختيار مجمع خلقيدونية لرسالة البابا لاون ورسائل كيرلس، ليعرفا قانوناً لاستقامة الرأي، قد تمّ تحت ضغط السلطة وإصرارها، على الرغم من أن رسالة البابا لاون لم تقبل قبولاً عمومياً من قبل الأعضاء، وهذا لاشك، ينقض دعواهم بمسكونية هذه المجامع وعصمتها لعدم توفر شروط المجمع المسكوني الذي يشترط فيه عدم تدخل السلطة في أمور العقيدة.

٣ ـ نرى في هذين المجمعين حرمان رئيسين من رؤساء الكراسي الرسولية، فمجمع أفسس الثاني قد حرم أفلابيانوس بطريرك القسطنطينية، ومجمع خلقيدونية حرم ديوسقوروس بطريرك الاسكندرية، مما يطعن في مسكونية المجمعين وعصمتهما، حيث لم تتم الموافقة على هذين المجمعين من قبل جميع الكراسي الرسولية.

٤ ـ ومما يؤخذ على مجمع أفسس الثاني عدم اعترافه برسالة البابا لاون لمخالفتها للأرثوذكسية في نقاط جوهرية، ومع هذا لم يحرم البابا لاون في هذا المجمع، بل حتى ولم يقطع من درجته الأسقفية، كما فعل بأفلابيانوس بطريرك القسطنطينية، ونتساءل هنا: ألا يطعن هذا بمسكونية مجمع أفسس الثاني وعصمته؟

٥ ـ إن اختلاف الكنائس المسيحية حول مسكونية هذين المجمعين، هو وحده كفيل بالطعن في مسكونية هذه المجامع وعصمتها.

وأذكر على سبيل المثال، بعضاً من هذه الانتقادات التي وجهتها الكنيسة اللاخلقيدونية حول مسكونية مجمع خلقيدونية، حيث جعلت من ضمن الأسباب لرفضها مسكونية هذا المجمع، هو أن المجمع عقد جلساته بغياب أساقفة مصر، وغياب بطريركها ديوسقوروس، ولذلك فإن هذه الجلسة لاتعتبر قانونية، وبالتالي فإن حكم هذه الجلسة على ديوسقوروس غير قانوني أيضاً[1].

٦ ـ إن تبرئة مجمع أفسس الثاني لأوطيخا، وتعليل اللاخلقيدونيين، الذين يعترفون بهذا المجمع، لتبرئة أوطيخا، على الرغم من أنهم اعتبروه فيما بعد هرطوقياً، بأن أوطيخا قدم إلى المجمع صورة اعتراف كاذبة، مما أدّى إلى قبول المجمع له، ونتساءل هنا: ألا يعتبر هذا مناقضاً لقولهم بعصمة المجمع وإلهامية الروح القدس له، إذ أنهم برفضهم لأوطيخا، وتعليلهم لهذا، يقرّون بوقوع هذا المجمع في الخطأ، حين برأ أوطيخا لعدم تبيّنه عقيدته الحقيقية، مما ينفي عنه الصبغة الإلهامية.

٥ً ـ المجمع المسكوني الخامس (القسطنطيني ٥٥٣م)[2]:

لم ينته أمر مذهب الطبيعة الواحدة (اللاخلقيدونيين) بحكم مجمع خلقيدونية عليهم، بل وأكثر من ذلك، حيث سعى الأباطرة لاسترضاء من قال

---

(١) الخريدة النفيسة ١ / ٥٣١.

(٢) ـ د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله ١ / ٣٧٨ ـ ٣٨٩.

ـ جراسيموس مسرة: تاريخ الانشقاق ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٦.

ـ سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٧٢ ـ ٢٧٥.

ـ خريسوستمس بابا دوبولس: تاريخ كنيسة أنطاكية ص ٢٨١ ـ ٢٨٣.

بالطبيعة الواحدة في مصر وسورية لكثرة عددهم وضعف هيبة السلطة، وفي عام ٥٥٣م أُقنع الامبراطور يوستيانوس بأن انضمام أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة إلى الكنيسة الخلقيدونية سهل متى رفضت وحُرمت الفصول الثلاثة:

١ ـ مؤلفات ثيودوروس الموبسوستي، أسقف المصيصة، أحد معلمي نسطور.

٢ ـ كتابات ثيودريطس أسقف قورش ضد كيرلس.

٣ ـ رسالة إيبا الرهاوي في دفاعه عن نسطور.

وقد جاءت هذه الإرادة الامبراطورية في ثلاثة فصول، ومن هنا سميت مؤلفات هؤلاء الثلاثة بالفصول الثلاثة.

هذا وقد كان مجمع خلقيدونية قد برأ هؤلاء الثلاثة، واعتبرهم أرثوذكساً، وكان غاية من أقنع الامبراطور بحرم الفصول الثلاثة هو الطعن في المجمع الخلقيدوني الذي قبلهم ولم يحرم مؤلفاتهم[1].

وطلب الامبراطور إلى جميع الأساقفة في الشرق والغرب أن يوافقوه على حرم هذه المصنفات، فوافقه البعض ورفض البعض.

فرأى الامبراطور أن يضع حداً للنزاع حول الفصول الثلاثة، فدعا إلى مجمع مسكوني في القسطنطينية، واختلفت المصادر في عدد الأساقفة الذين حضروا المجمع، فذكر البعض أنهم ١٤٨ أسقفاً، وبعضهم حدّده بـ ١٦٥ أسقفاً، إلا أن بابا رومية فيجيليوس لم يحضر المجمع، ولم يرسل نواباً عنه، بل قدم إلى الامبراطور رسالة استعرض فيها موقفه من الفصول الثلاثة، وامتنع عن حرم ثيودوروس بحجة أنه توفي في حضن الكنيسة الجامعة، كما امتنع عن نبذ ثيودريطس وإيبا لأن المجمع المسكوني الرابع قد استمع إليهما وبرأهما من النسطرة.

إلا أن الامبراطور رفض تناول هذه الوثيقة البابوية مدعياً أنها عديمة الجدوى.

---

(١) انظر ص ٢٣٨، ٢٣٩ من هذا الكتاب.

وأقرّ المجمع ماقررته المجامع الأربعة السابقة ورفض كل مارفضته، أما قضية الفصول الثلاثة، فأجمع الأعضاء المجتمعون في المجمع على نبذ جميع مصنفات ثيودوروس، وعلى استنكار موقف ثيودريطس من مجمع أفسس الأول وبنود كيرلس، وأبانوا بوضوح كفر إيبا وإلحاده في رسالته التي دافع فيها عن نسطور[1].

وقطع المجمع البابا من درجته الأسقفية لعدم موافقته على قرارات المجمع، إلا أن البابا أحنى عنقه أخيراً لقرارات المجمع وقبلها.

وأعلن البابا بيلاجوس، الذي قام خليفة على كرسي رومية، قبوله للمجمع رسمياً، وذلك عام ٥٥٥م.

واعتبر الامبراطور قرارات هذا المجمع ملزمة، فأكره لذلك الأساقفة على قبولها، ونفى من لم يخضع لهذا.

ـ المآخذ على هذا المجمع:

* تدخّل الامبراطور في تحديد العقيدة المسيحية، حيث أراد حرم فصول لآباء برآهم مجمع مسكوني، وهذا بحدّ ذاته يبيّن لنا كيف كانت المجامع وقراراتها تبعاً لآراء الأباطرة وأهوائهم، وهذا كافٍ في الطعن بمسكونية هذه المجامع وإلهاميتها.

فنحن نرى في هذا المجمع كيف انعقد بإمرة الامبراطور، وبالتالي لم يحضره إلا من يرضى الامبراطور حضوره من الأساقفة، ونرى كيف كان أمر قراءة رسالة

---

(١) ذكر بعض المؤرخين أن المجمع الخامس المسكوني قد حرم ثيودوروس وحرم مؤلفاته، أما ثيودريطس وإيبا فإنهم لم يحرما بل اكتفى المجمع بحرم رسائلهم.

ـ انظر أغناطيوس يعقوب الثالث: الكنيسة السريانية ص ٣٢.

ـ خريسوستمس بابا دوبولس: تاريخ كنيسة أنطاكية ص ٣٨٣.

ـ سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٧٥.

البابا متروكاً لرأي الامبراطور، الذي رفض قراءتها، ولم يكن لأعضاء المجمع رأي في هذا.

أما الأمر الأهم في هذا فهو إجباره لبابا رومية على قبول قرارات هذا المجمع، وإجباره للأساقفة على هذا، وإلا كان مصيرهم النفي.

* ويمكننا القول هنا: إن رفض البابا لقرارات المجمع بادئ الأمر يطعن في مسكونية هذا المجمع، ولايدفع هذا قبوله فيما بعد، لأن الظاهر للعيان أن بابا رومية قبل قرارات هذا المجمع بناء على ضغط الامبراطور لارضاً منه بهذه القرارات، بالإضافة إلى أن قبول خلف هذا البابا للمجمع عن رضاً منه لاعبرة به، لأن الذي ينظر إلى موافقته أو رفضه إنما هو رئيس الكرسي الرسولي وقت انعقاد المجمع لابعده.

* أما الأمر الأدهى في هذا المجمع فهو مناقضته لقرارت مجمع خلقيدونية، حيث حرم مؤلفات من برأهم مجمع خلقيدونية دون حرم لمؤلفاتهم[1].

وهذا يطعن في مسكونية المجامع وعصمتها، ويبيّن لنا تبعية هذه المجامع لآراء الأباطرة وأهواء المؤيدين لهم.

٦ـ المجمع المسكوني السادس (القسطنطيني ٦٨٠، ٦٨١م)[2]:

انعقد هذا المجمع رداً على بدعة ظهرت في كنيسة أصحاب الطبيعة الواحدة للمسيح (الكنيسة اللاخلقيدونية)، فقد قال أصحاب هذا المذهب بطبيعة واحدة

(١) وننوّه هنا إلى أن قبول مجمع خلقيدونية لهؤلاء رغم مؤلفاتهم ضد كيرلس، الذي ثُبِّتت رسائله في هذا المجمع على أن تعرف قانوناً لاستقامة الرأي، يعتبر تناقضاً من هذا المجمع، مما ينفي عنه أية صبغة إلهامية معصومة.

(٢)ـ جراسيموس مسرة: تاريخ الانشقاق ١ / ٣١٤ـ٣٢٥.
ـ د. أسد رستم: مدينة الله ٢/ ٤٠ـ٥٠.
ـ د. سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٨١ / ٢٨٢.
ـ اغناطيوس يعقوب الثالث: الحقائق الجلية ص ٦٢، ٦٩، ٧٨.

للمسيح مركبة من طبيعتين إلهية وبشرية، ومشيئة واحدة مركبة من مشيئتين، مشيئة إلهية ومشيئة بشرية، وفعل واحد مركب من فعلين إلهي وبشري من غير اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة، وقد لُقبت هذه الهرطقة من قبل الخلقيدونيين بـ(المونوثيليث).

وأدى هذا إلى تجدد النزاع بين أصحاب الطبيعة الواحدة (اللاخلقيدونيين) وبين الخلقيدونيين، مما جعل الامبراطور قسطنطين الرابع (٦٦٨ ـ ٦٨٥م) يعقد العزم على معاضدة الخلقيدونيين، فجمع مجمعاً مسكونياً في القسطنطينية عام ٦٨٠م، وحضر هذا المجمع ١٧٠ أسقفاً.

وقد صدق هذا المجمع على أعمال المجامع السابقة وعلى دستور الإيمان بلازيادة ولانقصان، وأقرّ معتقد المشيئتين والفعلين المتحدين في المسيح دون اختلاط ولاتجزؤ . . . (مشيئة بشرية ومشيئة إلهية متحدتان، وفعل إلهي وفعل بشري متحدان، دون أن تصير المشيئتان مشيئة واحدة مركبة، ولاالفعلان فعلاً واحداً مركباً)، كما حرم المجمع معتقد المشيئة الواحدة المركبة والفعل الواحد المركب.

ولقد رفض هذه القرارات بطريرك أنطاكية، فحكم عليه المجمع وخلع من منصبه ونفي. وفي الختام حدّد المجمع التعليم الأرثوذكسي بشأن الإرادتين والفعلين في المسيح في اعتراف إيمان: «بمسيح وابن ورب وحيد هو نفسه بطبيعتين وأقنوم وشخص واحد[1]، وبمشيئتين وطبيعتين وفعلين طبيعيين بلا انقسام ولا تغيّر ولاتجزؤ ولااختلاط . . .».

(١) تعتقد الكنيسة الخلقيدونية بأن للمسيح أقنوماً واحداً إلهياً، وهذا الأقنوم هو أقنوم للطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية، أما الكنيسة اللاخلقيدونية فتعتقد بأن للمسيح أقنومين، أقنوماً إلهياً وأقنوماًبشرياً متحدين، صائرين بالاتحاد أقنوماً واحداً مركباً من أقنومين، وبالطبع فإن كلاً من الكنيستين تنتقد إحداهما الأخرى انتقاداً شديدا اللهجة.

ـ ميخائيل مينا : علم اللاهوت ٣٢٦.

ـ الدمشقي : المئة مقالة ٥٣ : ٩.

٧ - المجمع المسكوني السابع (القسطنطيني ٧٨٦ - ٧٨٧م)[1]:

انعقد المجمع المسكوني السابع للرد على فئة ظهرت وحاربت الإيقونات[2]، ويرى الأرثوذكس أن احترام الإيقونات إنما هو احترام للأشخاص المصوّرين على الإيقونات لا احترام للإيقونات ذاتها، ويعبّر عن احترام الإيقونات بالورع والسجود والصلاة للشخص المصور على الإيقونة (القديسين)، فالسجود للشخص لا للإيقونة.

وكانت وجهة المعارضين تتلخص في أن السجود للإيقونة قريب من عبادة الأوثان، ولذلك أخذوا على أنفسهم محاربة الإيقونات بكل الوسائل، وأخذت السلطة المدنية (الحكومة) على عاتقها إزالة الإيقونات.

إلا أن الحال تغيرت منذ عام ٧٨٠م، حيث تسلمت زمام الأمور إيرينا نيابة عن ابنها القاصر قسطنطين، فأعلنت ذاتها من مؤيدي إكرام الإيقونات، ودعي إلى مجمع مسكوني في القسطنطينية عام ٧٨٦م، إلا أن الحرس الامبراطوري المؤلف من جنود قسطنطين كوبرونيم (الامبراطور السابق) القدماء لم يريدوا أن يعاد تكريم الإيقونات، فاندفعوا شاهرين سلاحهم في وجه الآباء، فانفض المجمع بذلك.

وفي السنة التالية ٧٨٧م، عاد الآباء للاجتماع في نيقية، فتألف المجمع من ٣٦٧ أسقفاً، وكان في المجمع أساقفة مضادين لإكرام الإيقونات، إلا أنهم كانوا أقل من المعاضدين لإكرام الإيقونات.

---

(١) - د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله ٢/ ٧٩ - ٩٧.

- جراسيموس مسرّة: تاريخ الانشقاق ١/ ٣٣٣ - ٣٥٠.

- سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٨٣ - ٢٨٨.

(٢) الإيقونة: لفظ يوناني معناه الصورة أو الرسم، وهو مستعمل في الاصطلاحات الدينية للإشارة إلى صور القديسين.

وأقرّ المجمع احترام الإيقونات، وكتب اعتراف إيمان مناصر لإكرام الإيقونات، فحدد بذلك الموقف الأرثوذكسي من الإيقونات بإكرامها والسجود لها، احتراماً للذين صوّروا عليها لاعبادة لها، لأن العبادة إنما تجب لله وحده.

ـ المآخذ على هذين المجمعين:

وأهم مانلاحظه في هذا المجمع وسابقه أنهما كالمجامع السابقة عليهما، لم يخلواً من تدخل الأباطرة في تحديد العقائدو تسيير دفة المجمع حسب مايحلو لهم، مما يفقد تلك المجامع النزاهة والموضوعية، ويطعن في مسكونيتها وعصمتها.

وهاهو ذا المؤرخ المسيحي سمير نوف يطعن في نزاهة المجمع المسكوني السابع من حيث لايدري، حين يبيّن لنا كيف تخلى بطريرك القسطنطينية بولس عن كرسيه حين تولت إيرينا السلطة، إذ أنه كان من أعداء تكريم الإيقونات، وأقيم مكانه بحسب رغبة إيرينا رجل علماني[1] اسمه طراسي، وهو من مؤيدي الإيقونات، وطراسي هذا هو الذي رئس المجمع السابع، وهو الذي عرض على الأساقفة المعارضين لإكرام الإيقونات، «بأنهم إذا كانوا يتوبون ويقبلون بإكرام الإيقونات فيبقون في درجاتهم الكهنوتية، وبعد هذا العرض وافق الأساقفة المعارضون على إكرام الإيقونات، ووقعوا بإمضائهم على رفض محاربة الإيقونات...»[2].

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن طراسي هو رجل علماني، نصّب من قبل السلطة المؤيدة لإكرام الإيقونات، أدركنا أن ماخاطب به المعارضين إنما هو بلسان السلطة لابلسانه هو، ولذلك رضخ الجميع لهذه القرارات لاعن قناعة، بل عن إجبار... وهذا ظاهر للعيان من رواية المؤرخ سمير نوف.

---

(١) معنى كلمة «علماني» هو أنه ليس من رجال الدين (الاكليريكيين).

(٢) سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٢٨٧، ٢٨٨.

* ثم إن أهم ما يمكننا قوله هنا هو: كيف جاز لهذا المجمع أن يقرّ السجود للإيقونات على الرغم من أن هذا مناقض لما قاله المسيح: «للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» [مت ٤: ١٠].

المجامع التالية للمجمع المسكوني السابع[١]:

انعقد في الغرب عدة مجامع عقب المجمع المسكوني السابع[٢]، ويعتبر الغربيون هذه المجامع مجامع مسكونية، إلا أن الشرق الأرثوذكسي يرفض هذه المجامع ولا يقرّ بمسكونيتها لعدم توفر شروط المجمع المسكوني فيها.

المطلب الرابع: الطوائف المسيحية:

نتيجة للاختلاف الذي حصل بين المسيحيين حول المجامع المسكونية، ظهرت في المسيحية طوائف عدة:

١ ـ الكنيسة الغربية (الكاثوليكية):

حصل الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية بعد المجمع المسكوني السابع بفترة وجيزة لأسباب سياسية ودينية وثقافية، ولقبّت الكنيسة الغربية نفسها بالكاثوليكية (الجامعة)، أما الكنيسة الشرقية فلقبّت نفسها بالأرثوذكسيّة (مستقيم العقيدة)، وصار كل منهما يدّعي أنه هو وحده الكنيسة المستقيمة، وتتفق الكنيسة الكاثوليكية مع الكنيسة الأرثوذكسية في قبولها للمجامع المسكونية السبعة، وبالتالي فهي تؤمن بأن للمسيح طبيعتين متحدتين، بشرية وإلهية، ما زالتا بعد الاتحاد طبيعتين، وبفعلين ومشيئتين متحدتين، ما زالتا بعد الاتحاد فعلين ومشيئتين، وبأقنوم إلهي واحد للطبيعة الإلهية والبشرية. إلا أن الكنيسة الكاثوليكية افترقت عن الكنيسة الأرثوذكسية بعقدها عدة مجامع بعد المجمع المسكوني السابع، حدّدت فيها انبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً، والقول بعصمة البابا.

---

(١) سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص٣٨١ـ٣٩٠.
- تيموثي وير: الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر ٦١ـ٧٤.

(٢) من هذه المجامع مجمع رومة الذي عقد سنة ١٢٢٥م، وفيه تقرّر أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء، ومجمع رومة سنة ١٨٦٩م، وفيه تقرّر أن البابا معصوم.
- سمير نوف: تاريخ الكنيسة ص٤٧٥ـ٦٧٦.

وسميت الكنيسة الكاثوليكية بالغربية أو اللاتينية نظراً لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين خاصة، وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان[1].

٢ـ الكنيسة الشرقية (الأرثوذكسية): وهي تنقسم أيضاً إلى قسمين[2]:

أ ـ الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة: وهي الكنائس التي لا تعترف إلا بالمجامع المسكونية الثلاثة الأولى، وترفض المجمع الخلقيدوني (المجمع المسكوني الرابع)، ويلقّب أتباع هذه الكنائس باللاخلقيدونيين، وهذه الكنائس هي:

١ـ الكنيسة القبطية (بطريركية الإسكندرية).

٢ـ الكنيسة السريانية والمسماة باليعقوبية[3]، (بطريركية إنطاكية)[4].

٣ـ الكنيسة الأرمنية.

وتعتقد هذه الكنائس بأن للمسيح طبيعتين وأقنومين ومشيئتين بشرية وإلهية صارت بعد الاتحاد طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً وفعلاً واحداً ومشيئة واحدة مركّبة من غير اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة.

ب ـ الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية[5]:

وتعترف هذه الكنيسة بالمجامع المسكونية السبعة الأولى، دون ما سواها من المجامع التي تعقد في الغرب، وهي لذلك كالكنيسة الكاثوليكية تعتقد بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين وفعلين متحدين ما زالوا بعد الاتحاد طبيعتين وفعلين ومشيئتين، كما تعتقد بأن للمسيح أقنوماً واحداً إلهياً، هو نفسه الأقنوم للطبيعة البشرية والإلهية. والأرثوذكس البيزنطيون هم اليوم الفئة الكبرى بين

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) ـ تيموثي وير: الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر ص١٧١-٢١٩.
ـ أغناطيوس ديك: الشرق المسيحي ص١١٩-١٢٢.
ـ ميخائيل مينا: علم اللاهوت ٥٧٨/٣، ٥٨٣، ٥٩٠-٥٩٢.
ـ إسحاق ساكا: السريان إيمان وحضارة ٦٨/١- ٦٩.

(٣) لقبت باليعقوبية نسبة ليعقوب البرادعي السرياني الذي اهتمّ بها في زمن اضطهادها، وهو اسم يوناني أطلقه خصوم يعقوب البرادعي على حزبه، أما هم فيعتبرون أنفسهم أرثوذكساً، انظر إسحاق ساكا: السريان إيمان وحضارة ٧٨/٢.

(٤) مقر كرسي هذه البطريركية في دمشق، وأتباع هذه الكنيسة يقطنون فيما بين النهرين وفلسطين وسورية.

(٥) يطلق على هذه الكنيسة عدة أسماء، فهي تدعى أحياناً بالكنيسة اليونانية أو اليونانية الروسية، ولكن هذه التسمية ليست صحيحة لأن عدّة ملايين من الأرثوذكسيين ليسوا يونانيين ولا روساً.
ـ انظر تيموثي وير: الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر ص١٩.

الكنائس الشرقية، ويتبعون كلهم للطقس البيزنطي، ولذلك سميت هذه الكنيسة بالكنيسة الأرثوذكسيةالبيزنطية، وسمي أتباع هذه الكنيسة بالخلقيدونيين، لأنهم اتبعوا عقيدة المجمع الخلقيدوني (المسكوني الرابع).

ومن هذه الكنائس:

١ ـ البطريركية القسطنطينية.

٢ ـ البطريركية الأنطاكية: ومقرها اليوم في دمشق، وتشمل الروم الأرثوذكس في سورية ولبنان والعراق.

٣ ـ البطريركية الاسكندرية.

٤ ـ البطريركية الأورشليمية.

٥ ـ كنيسة اليونان. . . . الخ. . .

وتسمي الكنائس الشرقية القديمة (السريانية، القبطية، . . .) أتباع الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية بالملكيين[1]، وذلك بسبب اتباعهم مقالة الامبراطور مركيانوس، ملك الروم، في المجمع الخلقيدوني عام ٤٥١م، إلا أن الكنائس البيزنطية تنفي عن نفسها هذه التسمية، وتلقب نفسها بلقب الأرثوذكس.

٣ً ـ الكنيسة البروتستانتية[2]:

وتسمَّى كنيستهم بالكنيسة الإنجيلية[3]، حيث أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره، وهذه الفئة البروتستانتية قد ظهرت في الغرب كردّ فعل ضد

(١) أطلق هذا اللقب أولاً على أنصار المجمع الخلقيدوني شرقاً وغرباً، ثم تغلّب بعد الفتح العربي على مؤمني البطريركيات الكاثوليكية الثلاث (الاسكندرية، الأنطاكية، الأورشليمية)، ومنذ عام (١٧٢٤م)، حصر هذا اللقب بالروم الكاثوليك أبناء هذه البطريركيات.

ـ انظر الأب يوسف الشمّاسي المخلصي: خلاصة تاريخ الكنيسة الملكية ١/ ٥، ٦.

(٢) ـ ميخائيل مينا: علم اللاهوت ٣/ ٣٨٥ ـ ٤٨٥.

ـ سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٤٧٣، ٤٨١، ٤٨٣، ٥٧١.

ـ أديب سلامة: تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر ص ١٣، ١٤.

ـ إبراهيم خليل أحمد: محاضرات في مقارنة الأديان ص ٣٤، ٣٥.

(٣) أشهر الكنائس البروتستانتية هي: اللوثرية والكلفينية والانكليكانية.

ـ ميخائيل مينا: علم اللاهوت ١/ ٦٠٠، ٦٠١.

انحراف الكنيسة الغربية، التي قالت بعصمة البابا، بالإضافة إلى ماأعطته لنفسها من سلطة غفران الذنوب. . . .

وقد بدأت هذه الحركة الإصلاحية التي قام بها البروتستانت، منذ القرن الخامس عشر الميلادي.

أما أهم مبادئ هذه الكنيسة فهي:

١ ـ جعل الكتاب المقدس المصدر الوحيد للمسيحية، ورفض الاعتماد على التقليد الشفوي.

٢ ـ رفض التعليم عن غفران الذنوب، الذي أفرطت الكنيسة الكاثوليكية فيه، بسبب سوء فهمها لسرّ التوبة[1]، حيث أعطت لنفسها الحق في غفران الذنوب، بل وأكثر من هذا، حيث أنشأت صكوكاً للغفران، تباع وتشرى، واتخذتها مورداً هاماً لكسب المال.

٣ـ لا علاقة للعشاء الرباني في سرّ الشكر بجسم المسيح ودمه، فليس هناك استحالة في هذا السر، بل هو لمجرد الذكرى.

٤ ـ إنكار بعضهم لتسمية مريم بوالدة الإله.

٥ ـ إنكار عقيدة نزول المسيح إلى الجحيم.

---

(١) سرّ التوبة لدى الأرثوذكس هو: سرّ به يغفر الله على يد الكاهن خطايا المؤمنين، متى اعترفوا بها بإخلاص، وآمنوا دون شك بالمسيح المخلص، ولابد في هذا السر من أن يكون الاعتراف أمام الكاهن، لكيّ يحلّ خطاياه باسم المسيح، وليمنحه الإرشادات والنصائح الروحية.

ـ تيموثي وير: الكنيسة الأرثوذكسية إيمان وعقيدة ص ١١٩ ـ ١٢١.

ـ أفلاطون: الخلاصة الشهية ص ١٣٤ ـ ١٣٦.

٦ ـ عدم الاعتراف بضرورة الرهبنة، وإباحةالزواج لرجال الدين(١) مطلقاً.

٧ ـ محاربة السجود للإيقونات.

٨ ـ إنكار قانونية سبعة من أسفار العهد القديم، وتسميتها بـ «الأبو كريفا» أي غير القانونية، وهي أسفار طوبيا ويهوديت والحكمة وابن سيراخ والمكابيين الأول والثاني وبروخ وبعض قطع من سفري أستيرودانيال.

٩ ـ تحرير الكتاب المقدس من أن يكون وقفاً على رجال الكنيسة، وترجمته للغات المختلفة، ليكون بإمكان المسيحيين تداوله وقراءته.

وإذا أمعنا النظر في هذه المبادئ التي ذهبت إليها الكنائس البروتستانتية، نرى أنها لا تختلف عن الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية في العقائد الأساسية، التثليث، تأليه المسيح وصلبه من أجل فداء البشرية، . . . .

وبذلك؛ فإن هذه الحركة الإصلاحية التي قامت بها الكنيسة البروتستانتية، ليست إلا ثورة على ما ابتدعته الكنيسة الكاثوليكية في عهدها الأخير، وعلى هذا بقيت موضوعات ضخمة لم يتطرق إليها الإصلاح (التثليث، تأليه المسيح)، ونحن نأمل من الكنيسة البروتستانتية، أن تعيد فيها النظر، بناء على القواعد والمبادئ التي نهجتها، وأهمها رفض اعتبار التقليد كمصدر من مصادر العقيدة، وإذا ماعلمنا أن كل مصادر العقيدة المسيحية تستند على هذا التقليد، بما فيه كتابهم المقدس، أدركنا أهمية الخطوة التي كان ينبغي على الكنيسة البروتستانتية أن تحذوها تجاه كل العقائد المسيحية.

---

(١) تحرم الكنيسة الكاثوليكية الزواج على رجال الدين (الكهنة)، أما الكنيسة الأرثوذكسية فتختلف معها بعض الشيء، حيث تجيز للمتزوجين أن يصبحوا كهنة، وعلى الراغبين في الالتحاق بالكهنوتية أن يحددوا طريقهم قبل الرسامه، حيث إنه لايجوز لهم أن يتزوجوا بعد رسامتهم كهنة.

ورتب الكهنوتية هي ثلاثة رئيسية: أعلاها رتبة الأسقف ويليه القس، ثم الشماس.

ـ أفلاطون: الخلاصة الشهية ص ١٣٧ ـ ١٣٩.

ـ تيموثي وير: الكنيسة الأرثوذكسية إيمان وعقيدة ص ١٢٢ ـ ١٢٤.

الفصل الخامس

مصادر العقيدة المسيحية

يستند المسيحيون الأرثوذكس والكاثوليك في إثبات عقائدهم على مصدرين:

أ ـ التقليد الرسولي

ب ـ الكتاب المقدس

بينما يعتبر البروتستانت أن الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للعقيدة. ويعتقد الأرثوذكس والكاثوليك أن سلطة الكتاب المقدس مستمدة من التقليد، وأن التقليد هو المنبع الوحيد للإعلان، ومنه استقت الأناجيل مادتها، ولذلك فإننا سنبحث في معنى التقليد قبل البحث في الكتاب المقدس.

المبحث الأول: التقليد الرسولي:

التقليد الرسولي هو: التعليم الذي سُلّم من المسيح والرسل شفوياً، وقد تلقاه آباء الكنيسة الأوائل، وتسلمته الكنيسة الأولى بإرشاد من الروح القدس، وهو يحفظ في الكنيسة ويمارس من خلالها.

وما دام هذا التقليد بإرشاد من الروح القدس، فهو لذلك ملهم وذو سلطان إلهي (منزلته بمنزلة كلام الله)(1). ولذلك فإن الكنيسة لديهم معصومة، وأقوال الآباء القديسين الذين يُعتبرون آباء الكنيسة الأُول هي أيضاً معصومة لأنها ملهمَة من الروح القدس.

أما الكنيسة البروتستانتية فإنها ترفض التقليد، ولا تعتمد إلا على الكتاب المقدس، ودليلهم في رفض التقليد الرسولي ينبني أنه لا يمكن إثبات كونه من الرسل،

---

(1) د. موريس تاوضروس: علم اللاهوت العقيدي (مصادر العقيدة) ص١٩، ٢٠، و (الوحي والتقليد) ص ٤٢، ٤٣.

ـ الأب جورج فلورفسكي: الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد ص ١١، ١٢، ١٢٣

(٢) ـ د. موريس تاوضروس: علم اللاهوت العقيدي (مصادر العقيدة) ص ٢٦، و (الوحي والتقليد) ص ٤٦.

ـ وانظر فاضل سيدا روس اليسوعي: يسوع المسيح في تقليد الكنيسة ص ١٨ ـ ٢٠.

وأن آباء الكنيسة لديهم غير معصومين، ونحن نرى في موقف البروتستانت هذا موقفاً متعقلاً[1]، إذ أن القول بمصدر التقليد الرسولي المسّلم إلى الكنيسة، يعطي الكنيسة صبغة إلهامية، دون أي مستند شرعي، خاصة إذا علمنا سُهولة ادعاء هذه الكنيسة بأن ما تقوله هو التعليم الرسولي، حيث أنها لا تُطالب بالدليل، مما يخولّها الحق في إبداع عقائد جديدة بحجة الإلهام.

فلو كان القول بالتقليد الرسولي وسلطة الكنيسة المعصومة وأقوال الآباء المعصومة، بحجة تسلمهم هذا عن طريق التقليد المستند إلى تعاليم الرسل، لو كان هذا القول صحيحاً لوجب أن لا نرى اختلافاً بين الكنائس البتة، وهذا ما لم يكن، بل إننا نرى اختلافهم في كثير من الأمور، وتفرقهم إلى طوائف، ونقد كل فرقة منهم للأخرى، على الرغم من ادعاء كل واحدة منهم، أنها تستند فيما تقوله على التقليد الرسولي وأقوال الآباء المستمدة من إرشاد الروح القدس.

وبذلك فإن اختلاف هذه الكنائس، واختلاف أقوال الآباء التي تعتمد عليها كل كنيسة، دليل وحده على عدم صحة قولهم بالتقليد الرسولي الملهَم.

إذ ينبغي لاعتبار هذا التقليد مصدراً صحيحاً، أن يثبت أن المسيح قد قاله، وأن رسله تسلّموه منه، ثبوتاً صحيحاً متواتراً، خاصة في مجال الأمور العقديّة.

إلا أن هذا ما لم يشترطه المسيحيون، بل هم يعتمدون في إثبات أمورهم العقدية على هذا التقليد الرسولي، الخالي من الشروط، اللهم سوى الادعاء بأنه رسولي، حيث أمكن لهم أن يضيفوا على ما أتى به المسيح كما يشاؤون، دون مستند لهم في هذا. بل وأكثر من هذا، إذ إنهم لا يشترطون في إثبات هذه الأمور العقدية، أن توجد في الكتاب المقدس، بل يكفي أن يقال إنها من

---

(١) الغريب في هذا أن موقف البروتستانت هذا بقي في حيّز التنظير دون أن يتناوله التطبيق، وإلا لكان عليهم أن يرفضوا العقائد التي تستند إلى التقليد دون وجود مستند كتابي من الإنجيل على صحتها كعقيدة التثليث وألوهية الروح القدس.

التقليد الرسولي لتثبت، وهذا فعلاً ما كان من أمرهم، حيث أمكن لهم أن يضيفوا عقيدة التثليث والأقانيم، وأن الأقانيم صفات قائمة بذاتها... وما إلى ذلك من عقائد غريبة حتى عن كتابهم المقدس (وخاصة رسائل بولس المنشئ للمسيحية المحرَّفة)، وما مستندهم في ذلك إلا التقليد الرسولي المزعوم.

وها هو ذا د. تاوضروس يقول في معرض حديثه عن التقليد: «على أن الكنيسة الكاثوليكية قد أضافت بعض العقائد التي لا تردّ إلى التقليد الرسولي، أو إلى تعاليم المسيح، مثل القول بعصمة البابا، وحبل العذراء بلادنس»[1].

ونحن نرى في قوله هذا، ليس نقداً فقط للكنيسة الكاثوليكية التي راحت تختلق عقائد جديدة بحجة التقليد، بل هو ينطبق أيضاً على الكنيسة الأرثوذكسية التي تنسب كثيراً من العقائد إلى التقليد، دون أن تملك أي دليل على صحة هذا التقليد.

---

(١) د. تاوضروس: (مصادر العقيدة) ص٢٢.

المبحث الثاني: الكتاب المقدس[1]:

أما المصدر الثاني الذي يستقي منه المسيحيون عقائدهم، فهو الكتاب المقدس، وهو يشمل «العهد القديم»، وهي الأسفار التي يؤمن بها اليهود، و«العهد الجديد» وهي الأسفار التي يؤمن بها المسيحيون، ولا يعترف بها اليهود في كتابهم المقدس.

ويعتقد المسيحيون بأن هذين العهدين «العهد القديم والجديد» قد دونّا بإلهام من الروح القدس.

والإلهام هو: نفحة حيوية من روح الله (الروح القدس)، تدفع أنبياء العهد القديم ورسل العهد الجديد (كبولس مثلاً) إلى الكلام، ويسمى هذا بالإلهام النبوي أو الرسولي، أو إلى تدوين رسالة الله، التي سبق أن بُلّغت إلى الناس بالعمل والكلام، وهذا هو الإلهام الرسمي[2].

فالأسفار المقدسة (أسفار العهد القديم والجديد) هي أسفار كتبها الله بواسطة مؤلفين من البشر، وأن هؤلاء البشر، سواء منهم أنبياء العهد القديم، أو رسل العهد الجديد (تلاميذ المسيح)، قد عبّروا عن هذه الرسالة الإلهية بطرقهم الخاصة وأسلوبهم الشخصي، مما يمكن معه القول، بأن هناك مؤلِّفَين لهذه الأسفار، مؤلفاً إلهياً ومؤلفاً بشرياً.

---

(١) الأب توماس اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ١٨ ـ ٣٤.

ـ الياس نجمة: يسوع المسيح ص ١٠ ـ ١٣، الأب جورج سابا: على عتبة الكتاب المقدس ص ٣٧ـ ٣٩، ١٣٢ ـ ١٣٧.

(٢) جورج سابا: على عتبة الكتاب المقدس ص ٣٧ ـ ٣٩، ١٣٢ ـ ١٣٧.

ـ ويميز المسيحيون بين الإلهام والوحي، حيث يرون أن وحي الله الأكمل لم يتم في كتاب، بل في إنسان، هو المسيح الذي يكشف عن الله . . . المرجع نفسه.

ـ توماس اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٢٠.

ويعتقد المسيحيون بأن هنالك إنجيلاً شفوياً، بشّر به السيد المسيح، وهذا الإنجيل الشفوي (تعاليم المسيح)، قد بشّر به الرسل ردحاً من الزمن، قبل أن يدوّن هذا الإنجيل.

وبذلك فإن المسيحيين يقرون بأن أسفار العهد الجديد، لم يملها المسيح، ولكنها كتبت من بعده، استناداً إلى التقليد الشفوي الرسولي (تعاليم المسيح المسلّمة إلى الرسل والكنيسة)، فوجود الكنيسة متقدم على وجود الإنجيل المكتوب، وأسفار العهد جميعها، مصدرها هذا التقليد، بالإضافة إلى أن هذه الأسفار، لم تحصل على صفتها الرسمية القانونية إلا بسلطة الكنيسة المعصومة، المستندة إلى التقليد الشفهي الرسولي، وذلك حين تقبّلت الكنيسة هذه الأسفار استناداً إلى شهادات الآباء الأوائل لها.

وتشتمل هذه الأسفار على أخبار المسيح وعظاته ومعجزاته، وهي ٢٧ سفراً، تبدأ بالأناجيل الأربعة، إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا، بالإضافة إلى سفر أعمال الرسل، وأربع عشرة رسالة لبولس، وثلاث رسائل من كتابة يوحنا، ورسالتان من كتابة بطرس، ورسالة واحدة من كتابة يعقوب، ورسالة من كتابة يهوذا، ورؤيا يوحنا اللاهوتي.

وتعتبر الأناجيل الأربعة من أطول أسفار العهد الجديد، ولفظ الإنجيل مختص بهذه الكتب الأربعة، إلا أنه قد يطلق مجازاً على مجموع أسفار العهد الجديد، التي تعدّ الأناجيل الأربعة من ضمنها.

وكلمة «إنجيل» مشتقة من اليونانية Ευαγγελιου، وتعني «الخبر السار» أو «البشرى السعيدة».

وسنذكر هنا دراسة لهذه الأسفار، ومدى صحة نسبتها إلى مؤلفيها، بناء على مصادر مسيحية، واستناداً إلى أقوال علمائهم المتخصصين في دراسة الكتاب المقدس، ولن نعتمد في هذا على دراسات لكتّاب مسلمين، على الرغم من أنهم

تصدّوا لهـذا المجال بنزاهة ومـوضـوعية، ومـاذاك إلا ليكون لهذا الموضـوع فائدته العلمية بشكل موثوق لامجال للشك فيه، وكما يقولون «من فمك أدينك».

المطلب الأول: إنجيل متّى[1]:

نسبة إلى متى، أحد الرسل الاثني عشر، وهو يهـودي، من كفر ناحوم، من أعمال الجليل في فلسطين، وكان «عشّاراً» أي جابياً للضرائب، في خدمة الدولة الرومانية المستعمرة.

بشّر في فلسطين سنين عديدة، ثم غادرها إلى «الأم» وبشر بالإنجيل، وقد تكون بلاد فارس هي البلاد التي بشّر فيها، ومات فيها شهيداً.

التحقيق في نسبة هذا الإنجيل إلى متى:

يحتل إنجيل متى المكانة الأولى في نظام ترتيب أسفار العهد الجديد، وإذا مـانسب هذا الإنجيل إلى مـتى الرسـول، فـإن هذه النسـبـة ليست مـتيقنة لدى

---

(١) وليم ج مورهيد: دراسات في الأناجيل ص١٤، ١٥، ١٦. تعريب القس فايز عزيز.
- أسطفان شربنتييه: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس ص ١٨٣، ترجمة الأب صبحي اليسوعي.
- اسطفان شربنتييه: دراسة في الإنجيل كما رواه متى، ص ٥ ـ ٢٠، ترجمة روفائيل اليسوعي.
- تفسير الكتاب المقدس: لجماعة من اللاهوتيين برئاسة د. فرنسيس داندس ج٥ ص ٩، ١٠.
- توماس اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٣٥.
- د. موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٨١.
- باجه جي زاده: الفارق فيما بين المخلوق والخالق ص ٤٦٦، ٤٦٧.
- محمد السعدي: دراسة في الأناجيل الأربعة ص ١٥.
- د. الشرقاوي: في مقارنة الأديان بحوث ودراسات ص ١٧٠ ـ ١٧٨.
- الياس نجمة: يسوع المسيح ص ٢٠، ٢١، ٢٢.
- تفسير العهد الجديد ترجمة البستاني ـ فاندايك: مقدمة إنجيل متى.
- متى هنري: تفسير إنجيل متى، ترجمة مرقس داود ج ١ ص ١١، ١٣.

المسيحيين، فقد ورد في كتاب تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين مايلي: «كالأناجيل الثلاثة الأخرى، هذا الإنجيل (متى) أيضاً مهمل التوقيع، على أن اسم الرسول متى قد ارتبط بهذا الإنجيل تقليدياً، على الأقل منذ القرن الثاني»[1].

والإقرار بأن كاتب هذا الإنجيل لم يكن معروفاً قبل القرن الثاني الميلادي، وأن التقليد الكنسي هو الذي ربط اسم متى الرسول بهذا الإنجيل، هو ماعليه أغلب المسيحيين، ولذلك فإنهم يعتبرون هذا التقليد صحيحاً، ويسلمون بصحة نسبة إنجيل متى إليه، ويرون أنه كتب لليهود.

إلا أن بعض علماء المسيحيين، الذين أعملوا عقولهم في مدى صحة نسبة الأناجيل إلى من نسبت إليهم، نفوا عن متّى الرسول أن يكون هو مؤلف الإنجيل الأول المنسوب إلى متّى، وذلك أننا حين نطالع هذا الإنجيل، فإننا لا نجد فيه ما يدل على أن كاتبه هو حواريّ المسيح متى، بل على العكس من ذلك، نرى الكاتب يتحدث فيه بصيغة الغائب، وكأنه لم يكن حاضراً في أي من أحداثه، ومن هؤلاء الأب أسطفان شربنتيه، حيث يقول: «جاء تقليد يرقى إلى القرن الثاني، ولا يمكن التحقق منه، أن متى جابي كفر ناحوم، والذي أصبح أحد الاثني عشر [٩:٩]، كتب بالآرامية أقوالاً من أقوال يسوع.

أما كاتب الإنجيل الحالي فهو غير معروف، ولعله قد استوحى بماوضعه متى»[2].

ويؤكد الدكتور موريس بوكاي هذا، مستنداً على أقوال بعض مفسري العهد الجديد، مبيناً أن الكاتب لهذا الإنجيل متبحر في الكتب المقدسة والتراث اليهودي، وهو أيضاً أستاذ في فن التدريس وإفهام قول المسيح لمستمعيه، مع تأكيده الدائم

---

(١) تفسير الكتاب المقدس ج٥ ص ٩.

(٢) شربنتييه: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس ص ١٨٣.

على النتائج العملية لتعاليمه، وذلك بعيد كل البعد عن صورة الموظف جابي الضرائب[1].

أما اللغة التي كتب بها هذا الإنجيل، فإن ماعليه أغلب علماء المسيحيين المتقدمين (ومنهم الآباء القدماء)، هو أنه كتب باللغة العبرية (أو الآرامية، وقد كانت لهجة التخاطب لدى بني إسرائيل في ذلك الحين)[2]. وأن أقدم نسخة لهذا الإنجيل، عرفت وشهرت هي باليونانية، أما الأصل العبري فمفقود، بالإضافة إلى عدم معرفة مترجم هذا الإنجيل من العبرية أو الآرامية إلى اليونانية، وتاريخ ترجمته.

بينما يرى المسيحيون المعاصرون أن الأغلب هو كتابة متى لإنجيله باليونانية، وأنه لايوجد أصل عبري، مؤولين ماورد في كلام الآباء عن وجود أصل عبراني مفقود، بأن مقصودهم الإشارة إلى إنجيل غير صحيح النسبة كان عند الهراطقة.

ونحن نرى فيما يقوله علماء المسيحية المتأخرون، تهرباً واضحاً ـ دون أدلة صحيحة تؤيدهم ـ من الإقرار بوجود أصل عبراني مفقود، إذ أن هذا يقلّل من القيمة التاريخية لهذا الإنجيل، مما يتيح الفرصة لمعارضيهم في الطعن بموثوقية هذا الإنجيل.

(١) د. موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٨١.
وانظر د. الشرقاوي: في مقارنة الأديان ص ١٧١، ١٧٢.
وذكر وليم مورهيد أن جباة الضرائب (العشّارون) كانوا مكروهين من قبل الشعب، لأن هذه الوظيفة كانت تقود صاحبها إلى الخيانة والظلم والاغتصاب، ولأن العشارين لم يكن لهم مركز اجتماعي بين الشعب، ولم يكن الشعب يحترمهم، مما اضطرهم إلى معاشرة المنبوذين والخطأة.
ـ وليم مورهيد: دراسات في الأناجيل ص ١٥.

(٢) والعبرية هي اللغة التي تبناها شعب العهد القديم بعد خروجهم من مصر وحلولهم بفلسطين، أما الآرامية فهي لغة القبائل العربية آنذاك، وقد شاع استعمال الآرامية بين اليهود، حتى زاحمت العبرية (وذلك منذ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد). جورج سابا: على عتبة الكتاب المقدس ص١١٤، ١١٥.

أما تاريخ تدوين هذا الإنجيل، فهو أيضاً محطّ الاختلاف فيما بينهم، ونحن ننقل في هذا أقوال علمائهم، فقد ورد في تفسير العهد الجديد مايلي: «من الواضح أن هذا الإنجيل كتب قبل خراب أورشليم [انظر ٢٤: ١٥] (١)، على أنه لايعلم بالتحقيق تاريخ كتابته، وذهب بعض المحققين إلى أنه كتب في سنة ٣٧ لميلاد المسيح، وقال آخرون في سنة ٦٣، والأقرب للصواب أنه كتب بين سنة ٤٢ و٥٠م» (٢).

كما يختلف علماؤهم أيضاً في أول إنجيل كتب بين الأناجيل الأربعة، فيرى بعضهم أنه إنجيل متى، بينما يرجح البعض الآخر قدم إنجيل مرقس، ويرون أن إنجيل متى ولوقا أسّسا كتابيهما جزئياً على مرقس (٣).

المطلب الثاني: إنجيل مرقس (٤):

نسبة إلى يوحنا الملقب بمرقس، يهودي المولد، اهتدى إلى الإيمان بالمسيح بواسطة بطرس الرسول وتتلمذ على يديه، ولم يكن من الرسل الاثني عشر، قيل

---

(١) هذه الأية تدل على عدم مشاهدة الكاتب لخراب أورشليم الذي حصل عام ٦٧م.

(٢) تفسير العهد الجديد ترجمة البستاني: مقدمة إنجيل متى.

(٣) ـ تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين ج٥ ص ١٠،
ـ وليم ج مورهيد: دراسات في الأناجيل ص ١٤.

(٤) ـ متى هنري: إنجيل مرقس ج١ ص ٥ ـ ٧ ترجمة القس مرقس داود.
ـ تفسير العهد الجديد ترجمة البستاني ص ٨٨، ٨٩.
ـ الياس نجمة: يسوع المسيح ص ٢٣.
ـ تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين ج٥ ص ٩٠ـ٩٥.
ـ د. وليم باركلي: تفسير العهد الجديد ص ٩ ـ ١٤.
ـ وليم ج مورهيد: دراسات في الأناجيل ص ٤٣.
ـ أسطفان شربنتييه: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس ص ١٧١.
ـ قاموس الكتاب المقدس ص ٨٥٣.
ـ د. الشرقاوي: في مقارنة الأديان ص ١٦١ ـ ١٧٠.
ـ د. موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٨١ ـ ٨٤.
ـ د. أسد رستم: الروم ١/ ١٣.
ـ إبراهيم خليل أحمد: الغفران بين الإسلام والمسيحية ص ١٦.
ـ باجه جي زاده: الفارق فيما بين المخلوق والخالق ص ٤٦٧.

هو من الرسل السبعين الذين أرسلهم المسيح للتبشير بالمسيحية[1]، وكان في صحبته خاله برنابا وبولس في رحلتهما التبشيرية الأولى، لكنه لم يكملها بل رجع من منتصفها، توفي في الإسكندرية سنة ٦٢ أو ٦٨م.

وقيل إن مرقس هذا هو غير يوحنا مرقس، وهو روماني الأصل، آمن بالمسيح ولم يره، بل هو تلميذ لبطرس، بشّر في مصر ومات فيها شهيداً.

هذا ويقرّ المسيحيون بأن ماورد عن أخبار مرقس غير ثابت، فقد ورد في تفسير العهد الجديد بعد ترجمة مرقس: «غير أن كل ماورد في أخبارهم بهذا الشأن غير ثابت»[2].

التحقيق في نسبة إنجيل مرقس:

على الرغم من إقرار المسيحيين بأنه ليس هناك إشارة في إنجيل مرقس تدل على كاتبه، بل لقد ربط التقليد الكنسي اسم مرقس بهذا الإنجيل منذ القرن الثاني الميلادي على الأقل، إلا أن أغلب المسيحيين يرون صحة نسبة هذا الإنجيل إلى مرقس، ويعدونه قانونياً بناء على التقليد الذي تسلمته الكنيسة (كتابات آباء الكنيسة في القرون الأربعة الأولى. . .)، يقول مفسر العهد الجديد هنري في هذا: «إن التقليد الذي يؤكده الأقدمون جداً، هو أن القديس مرقس هو كاتب هذا الإنجيل، تحت إرشاد القديس بطرس، وأن القديس بطرس أيّد ماكتبه»[3]، وبذلك فإن المصدر الرئيسي لهذا الإنجيل هو كرازة بطرس وتعليمه.

(١) بشأن الرسل السبعين انظر (لوقا: ١٠: ١).

(٢) تفسير العهد الجديد، ترجمة البستاني ص ٨٨.

ـ وانظر قاموس الكتاب المقدس ص ٨٥٣.

(٣) هنري: إنجيل مرقس ص ٥، ٦.

وعلى الرغم من أن أغلب المسيحيين يؤكدون صحة نسبة هذا الإنجيل إلى مرقس، إلا أن أغلب الكتاب المحدثين يعدّون خاتمته [١٦ : ٩ ـ ٢٠] (وهي تتحدث عن قيامة المسيح وصعوده، وإرساله رسله للتبشير بين جميع الأمم)، مضافة إلى هذا الإنجيل، وليست منه في شيء، إذ لم توجد في أقدم النسخ وأصحها.

بينما يرى البعض من العلماء الدارسين للعهد الجديد، أن نسبة هذا الإنجيل الثاني إلى مرقس غير صحيحة، إذ ليس هناك شاهد من عبارات هذا الإنجيل تدل على أن كاتبه هو مرقس تلميذ المسيح[١]، بل إن المؤرخ ابن البطريق قد ذهب أبعد من هذا حين جعل بطرس هو كاتب هذا الإنجيل، وأنه هو الذي نسبه إلى مرقس[٢].

وهاهي ذي الموسوعة البريطانية تؤكد الشكوك حول صحة نسبة هذا الإنجيل إلى مرقس حين تقول: «بالرغم من أن مؤلف إنجيل مرقس غير معروف على الأرجح، فإن قيمة هذا الكتاب وسلطته مستمدة تقليدياً من علاقة المؤلف المفترضة بالحواري بطرس»[٣].

ويذكر الأب روجي عن كاتب الإنجيل وعباراته، مؤكداً أن كاتبه غير حاذق وأكثر المبشرين ابتذالاً، فهو لايعرف أبداً كيف يحرّر حكاية[٤].

---

(١) تفسير العهد الجديد، ترجمة البستاني ص ٨٨.

ـ تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين ج٥ ص ٩٠.

ـ موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة ص ٨١.

ـ د. الشرقاوي : في مقارنة الأديان ص ١٦٤، ١٦٥.

(٢) أبوزهرة : محاضرات في النصرانية ص ٤٧.

(٣) محمد السعدي : دراسة في الأناجيل ص ١٨ نقلاً عن الموسوعة البريطانية.

(٤) د. موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة ص ٨٥.

ويرى د. موريس بوكاي: «أن نص هذا الإنجيل يظهر عيباً رئيسياً أولياً لاجدال فيه، فلقد حرّر دون اهتمام بالتعاقب الزمني للأحداث. . . كما أن هذا المبشر يبرز افتقاراً كاملاً للمعقولية»[1].

أما تاريخ تدوين هذا الإنجيل فهي أيضاً مثار اختلاف بينهم، وقد ورد في كتاب تفسير الكتاب المقدس مايلي: «تختلف الآراء اختلافاً كبيراً في تحديد زمن كتابة الإنجيل الثاني، وذلك الاختلاف يقع في حدود خمس وثلاثين سنة، مابين سنة ٤٠ م إلى سنة ٧٥ م»[2].

ومنهم من يرى أن إنجيل مرقس هو أول إنجيل دوّن، وأن كلاً من متى ولوقا قد اعتمدا عليه في كتابة إنجيليهما، بينما يرى آخرون، أن إنجيل مرقس مختصر مأخوذ من إنجيل متى، أما اللغة التي كتب بها هذا الإنجيل، فهي اليونانية، ويميل معظم دارسي العهد الجديد إلى أن هذا الإنجيل كتب للرومانيين في مدينة روما.

المطلب الثالث: إنجيل لوقا[3]:

نسبة إلى لوقا أحد أتباع المسيح، ويقرّ المسيحيون بأن المعلومات التي لديهم عن لوقا قليلة، وهو على الأرجح لم يكن من تلاميذ المسيح، ولم يره على

---

(١) د. موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٨٥.

(٢) تفسير الكتاب المقدس ج ٥ / ٩٠.

(٣) وليم ج مورهيد: دراسات في الأناجيل ص ٧٠ ـ ٧٢.

ـ أوغسطينس جورج: دراسة في الإنجيل كما رواه لوقا ص ٥ ـ ٩، ترجمة صبحي اليسوعي.

ـ تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين ج ٥ / ١٦٧.

ـ وليم باركلي: تفسير العهد الجديد، إنجيل لوقا ص ٩ ـ ١١، ترجمة مكرم نجيب.

ـ أسطفان شربنتييه: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس ص ١٩٥.

ـ توماس اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٣٧، ٣٨.

ـ تفسير العهد الجديد ترجمة البستاني ص ١٣٠.

ـ إلياس نجمة: يسوع المسيح ص ٢٥.

ـ د. الشرقاوي: في مقارنة الأديان ص ١٨٢ ـ ١٨٧.

الإطلاق، كما أنه لم يتتلمذ على يد تلاميذ المسيح، بل هو تلميذ بولس وحده، ورفيقه في أسفاره.

وهو طبيب أنطاكي وثني، اعتنق المسيحية منذ أن تأسست كنيسة أنطاكية، وقيل آمن باليهودية قبل إيمانه بالمسيح.

التحقيق في إنجيل لوقا:

يؤكد أغلب المسيحيين على صحة نسبة هذا الإنجيل إلى لوقا، على الرغم من إقرارهم بأن اسم لوقا، قد ارتبط بهذا الإنجيل تقليدياً منذ القرن الثاني على الأقل، تماماً كما هو حال غيره من الأناجيل.

وليس هناك في هذا الإنجيل مايدل على أن كاتبه هو لوقا، وكل مافي الأمر أن مقدمته تدل على أن كاتب هذا الإنجيل يهدي إنجيله إلى رجل يدعى ثاوفيلس[1] [إصحاح ١]، كما يظهر من هذه المقدمة، أن لوقا لم يكن معايناً للحوادث التي كتبها، بل ألّف إنجيله بناء على شهادة الذين عرفوا يسوع معرفة شخصية أو لازموه، «وهو يتضمن أشياء كثيرة لم تذكر في الأناجيل الأخر، وأخصها، أولاً خبر الحوادث التي جرت قبل ولادة المسيح ومابعدها، والظاهر أن البشير أخذها عن كتابة ربما نقلت عن أم الرب (مريم)، لأنه لم يعرف أحد غيرها كثيراً مما ذكر بهذا الشأن»[2].

ويقول وليم مورهيد: «مصادره موثوق بها لأنه استقاها من شهود عيان»[3].

(١) لم يصل المسيحيون إلى اتفاق حول شخصية ثاوفيلس، ويرجحون أنه من أصل أممي (وثني).
ـ د. بوست: قاموس الكتاب المقدس ص ٨٢٢.

(٢) تفسير العهد الجديد ترجمة البستاني ص ١٣٠.

(٣) وليم مورهيد: دراسات في الأناجيل ص ٧٢.

ومع هذا كله فإن التقليد الكنسي يعتبر هذا الإنجيل صحيح النسبة إلى لوقا.

إلا أن بعض علماء العهد الجديد يشككون في مدى صحة هذه النسبة، بناء على وجود كثير من التناقضات بين إنجيل لوقا، وبين سفر أعمال الرسل، التي تنسب أيضاً إلى لوقا، بالإضافة إلى أن أفكار بولس لاتجد لها مكاناً في إنجيل لوقا[1]، وهذا ماأشارت إليه أيضاً الموسوعة البريطانية، منتهية إلى القول: «باختصار إن مؤلف هذا الإنجيل يظل مجهولاً»[2].

أما تاريخ تدوين هذا الإنجيل فمختلف فيه، ويستند بعض المسيحيين في تحديده على زمن كتابة سفر أعمال الرسل، فحيث أن البشارة (أي إنجيل لوقا)، كتبت قبل أعمال الرسل، لأن لوقا يسميها بـ«الكلام الأول» [أع ١ : ١]، وحيث أن أعمال الرسل قد كتب قبل وفاة بولس بسنتين، لأنها لاتنقل لنا الأحداث التي جرت مع بولس آنذاك بعد سنة ٦٢م، ولذلك كله فإنهم يرجحون أن إنجيل لوقا دوّن عام ٦٠ تقريباً[3].

بينما يرى البعض، أن إنجيل لوقا كتب بعد تدمير القدس عام ٧٠، حيث يبدو من إنجيله أن كاتبه قد عايش هذا الحصار، وعلى هذا يكون الإنجيل لاحقاً على ذلك التاريخ، مابين ٨٠ ـ ٩٠م[4].

---

(١) د. موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٨٩، ٩٠.

ـ د. الشرقاوي: في مقارنة الأديان ص ١٨٤، ١٨٥.

(٢) محمد السعدي: دراسة في الأناجيل ص ١٩ نقلاً عن الموسوعة البريطانية.

(٣) تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين ج٥/ ١٦٨.

ـ الياس نجمة: يسوع المسيح ص ٢٦، ٢٧.

ـ د. بوست: قاموس الكتاب المقدس ص ٨٢٣.

(٤) د. موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٨٨.

ويرى المسيحيون أن كاتب إنجيل لوقا اعتمد على إنجيلي متى ومرقس، ويتفقون أن لغة هذا الإنجيل هي اليونانية، وأنه كتب إنجيله للأمميين (الوثنيين).

المطلب الرابع: إنجيل يوحنا[1]:

نسبة إلى يوحنا الرسول أحد التلاميذ الاثني عشر، كان صياداً يهودياً، وكان من تلاميذ يوحنا المعمدان (يحيى)، ومن تلاميذ المسيح الأولين، ويقال إنه بشّر في أفسس حتى وفاته عام ٩٨م.

التحقيق في إنجيل يوحنا:

يختلف هذا الإنجيل عن الأناجيل الأخرى، بإقرار المسيحيين، فهو الإنجيل الوحيد الذي تضمنت فقراته ذكراً صريحاً لألوهية المسيح «أنا في الآب والآب فيّ» [يو ١٤ : ١٠]. «أنا والآب واحد» [يو ١٠ : ٣٠].

أما الأناجيل الثلاثة الأخرى فيطلق عليها لقب الأناجيل المتطابقة، حيث تبرز جميعها ناسوت المسيح.

وقد ورد في تفسير الكتاب المقدس مايلي: «شعر البعض أن هناك صعوبة في التوفيق بين تقديم المسيح في الإنجيل الرابع، والصورة التي جاءت في الأناجيل السنوبتية (المتطابقة)....

---

(١) ـ د. بوست: قاموس الكتاب المقدس ص ١١١٠.
- تفسير العهد الجديد ص ٢٠٥.
- تفسير الكتاب المقدس ج٥ / ٢٢٨ ـ ٢٣٠.
- د. وليم باركلي: تفسير العهد الجديد (شرح بشارة يوحنا) ١/ ١٦ ـ ٣٢.
- د. موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٤٩ ـ ٥٣.
- إلياس نجمة: يسوع المسيح ص ٢٩ ـ ٣٣.
- توماس اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٣٨.
- إبراهيم خليل أحمد: الغفران ص ١٨.
- أسطفان شربنتييه: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس ص ٢٠٧.
- أبو زهرة: محاضرات في النصرانية: ص ٥٢ ـ ٥٤.

على أن معظم المشكلات من هذا القبيل يمكن إسنادها إلى عدم مقدرتنا الآن أن نفسر بعض العلاقات الزمنية نتيجة لنقص في المعلومات، ويجب أن يذكر أن كل إنجيل كان عرضاً لحياة المسيح وليس تاريخاً لسيرته بالمعنى الحديث لهذا الاصطلاح»[1].

كما أورد في موضع آخر: «قيل غالباً إن تقديم مرقس للمسيح هو تقديمه كعبد الرب، بينما متّى يقدمه كالملك، ولوقا كالإنسان، ويوحنا كابن الله»[2].

أما عن مدى صحة نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا، فإنه إذا كان أغلب علمائهم يرون صحة نسبة الأناجيل الثلاثة الأولى إلى مؤلفيها، بينما يرى البعض منهم عدم صحة هذه النسبة، فإن مانراه هنا هو العكس، حيث ذهب أغلب علمائهم إلى أن كاتب هذا الإنجيل هوغير يوحنا الرسول، فقد ورد في تفسير الكتاب المقدس مايلي: «من المسلّم به على وجه العموم، أن كاتب الإنجيل يهودي فلسطيني، لكن كثيراً من المفسرين لايقبلون نسبة الكتابة إلى يوحنا الرسول»[3].

ويقول الأب أسطفان شربنتييه: «من المحتمل أن تكون شخصية يوحنا الرسول في أصل هذه المؤلفات، لكن عمله تكوّن على عدة مراحل، حتى التحرير الأخير، الذي تم في حوالي السنين ٩٥ ـ ١٠٠م، يجوز الاعتقاد بأن هناك «المدرسة اليوحنيّة» المؤلفة من فريق تلاميذ تأملوا وتعمقوا في تعاليم الرسول»[4].

أما دائرة المعارف البريطانية فقد كانت أكثر صراحة ووضوحاً، حيث أكدت كون إنجيل يوحنا مزوّراً، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما الرسولان متى ويوحنا[5].

---

(١) تفسير الكتاب المقدس ج٥/ ٢٢٩ .

(٢) المرجع نفسة ص ٩٣.

(٣) المرجع نفسة ج٥/ ٢٢٨.

(٤) شربنتييه : دليل إلى قراءة الكتاب المقدس ص ٢٠٧.

(٥) د . الشرقاوي : في مقارنة الأديان ص ١٤٦ نقلاً عن دائرة المعارف.

فاسم يوحنا لا يظهر أبداً في هذه البشارة الرابعة، بل هو كغيره من الأناجيل، التي لصق عليها اسم كاتبها بعد فترة من الزمن، ثم إن الكاتب لهذا الإنجيل كثيراً مايتحدث بصيغة الغائب وكأنه لم يشهد الأحداث التي يرويها، وكل ماهنالك أنه يوجد في الإصحاح الواحد والعشرين من هذا الإنجيل مايشير إلى وجود تلميذ يحبه يسوع كان حاضراً للعشاء الأخير، أما خاتمة هذا الإصحاح الأخير من الإنجيل فهي: «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق. . .» [يو ٢١: ٢٤].

وهذه الخاتمة تشير إلى أن المؤلف هو التلميذ الحبيب، ولكنها لاتذكر اسمه، إلا أنها من جهة أخرى، تؤكد شكوكنا حول نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الرسول، حيث أن كاتب هذه الخاتمة يتحدث بصيغة الغائب (يشهد، كتب)، وهذا ماحدا أيضاً ببعض العلماء الذين قبلوا التقليد القائل بصحة نسبة إنجيل يوحنا إليه، إلى التشكيك في صحة هذه الخاتمة وحدها[1].

أما الكنيسة وبعض علماء العهد الجديد فقد أكدوا صحة نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا، بناء على أن هذا هو التقليد المسلّم إليهم من قبل الآباء الأوّلين الذين ربطوا اسم يوحنا الرسول بهذا الإنجيل الرابع. مستدلين على هذا بأنه هو التلميذ الذي كان يسوع يحبه، إلا أن استدلالهم هذا استدلال ناقص، حيث أنه ورد أيضاً أن يسوع كان يحب لعازر [يو ١١: ٣-٥]، ولذلك ذهب بعض المفسرين إلى أن التلميذ الحبيب الذي كتب الإنجيل الرابع هو لعازر، وقال آخرون إنه الشاب النبيل الثري الذي جاء إلى المسيح، والذي نقرأ عنه أن يسوع المسيح نظر إليه وأحبه [مر ١٠: ٢١][2].

---

(١) دونا اليسوعي: قراءات على إنجيل يوحنا ص ١١٤، ترجمة حليم عبد الله.

(٢) د. وليم باركلي: تفسير العهد الجديد (شرح بشارة يوحنا) ١/ ٣٢، ٣٣.

أما تاريخ تدوين هذا الإنجيل فهي أيضاً مثار اختلاف علمائهم مابين ٨٥ م إلى ١١٥ م، مع تأكيدهم على أن كاتب هذا الانجيل قد اعتمد على الأناجيل الثلاثة التي كتبت قبله، ومهما يكن من أمر اختلاف المسيحيين حول صحة نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الرسول، فإن المتفق عليه أن هذا الإنجيل قد كتب من أجل إثبات ألوهية المسيح، يقول يوسف الدبسي الخوري في مقدمة تفسيره تحفة الجيل: «إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح، فطلبوا منه إثباته، وذكر ماأهمله متى ومرقس ولوقا في أناجيلهم»[1].

ويقول د. وليم باركلي (أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو): «من المرجح أن بشارة يوحنا قد كتبت حوالي عام ١٠٠ للميلاد، في مدينة أفسس، في ذلك الوقت كانت قد ظهرت ظاهرتان متميزتان، في وضع الكنيسة المسيحية: أولاهما أن المسيحية كانت قد انتشرت في العالم الوثني. . . وابتدأت المسيحية تقف وجهاً لوجه أمام الفلسفة اليونانية، لذلك فقد أصبح من اللازم تقديم الحق المسيحي الخالد في ثوب جديد، ليس لأن حق المسيحية يحتاج إلى التغيير والتبديل، حسب مقتضيات العصر، بل لأن هذا الحق ينبغي أن يلبس الثوب الذي يلائمه. . .»[2].

كما يقول في موضع آخر، في معرض كلامه عن اللوجوس (الكلمة) في الفكر اليوناني: «وهكذا اغتنم يوحنا هذه العقيدة وقال لليونانيين: إنكم طوال حياتكم قد تملكتكم هذه العقيدة عن اللوجوس. . . هاكم الكلمة الأزلي قد تجسد بشراً سوياً في شخص يسوع المسيح»[3].

---

(١) أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص ٥٣، نقلاً عن الكتاب المذكور.

(٢) د. وليم باركلي: شرح بشارة يوحنا ١/ ١٦.

(٣) المرجع نفسه ١/ ١٧، ١٨.

وكلام المسيحيين هذا يؤكد على أن الأناجيل الثلاثة الأولى (متى، مرقس، لوقا) ليس فيها مايدل على ألوهية المسيح، وهذا يؤدي إلى إنكار ألوهية المسيح، إذ لو كانت ألوهية المسيح أمراً حقيقياً، جاء المسيح معلناً إياها، لما جاز لهذه الأناجيل الثلاثة أن تهملها.

أضف إلى ذلك أن الأساقفة قد اعتقدوا ألوهية المسيح دون وجود مستند كتابي لما يؤمنون به، ولذلك أوعزوا إلى يوحنا ليكتب لهم ذلك المستند.

المطلب الخامس: سفر أعمال الرسل[1]:

سفر أعمال الرسل ينسب للمؤلف لوقا الطبيب الأنطاكي[2] مؤلف الإنجيل الثالث، وهو مثل الإنجيل الثالث مقدم لشخص اسمه ثاوفيلس.

ويرى البعض أن إنجيل لوقا وأعمال الرسل هما في الحقيقة جزءان من مؤلَّف واحد، ولما جُمعت الأناجيل الأربعة في مجلد واحد، في القرن الثاني، صار تداول الجزء الثاني مستقلاً تحت اسم أعمال الرسل[3].

---

(١) ـ د. وليم باركلي: تفسير العهد الجديد (سفر أعمال الرسل) ص ١٠ ـ ١٦. ترجمة جوزيف صابر.

ـ توماس اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٣٧، ٣٨.

ـ مجموعة من الباحثين: أعمال الرسل ص ١٠ ـ ١٢. ترجمة بولس الفغالي.

ـ تفسير الكتاب المقدس ج٥ / ٢٩٩، ٣٠٠.

ـ تفسير العهد الجديد ص ٢٨٣.

ـ هوارد مارشال: التفسير الحديث للكتاب المقدس (أعمال الرسل)، ص ٤١ ـ ٤٣، ترجمة نجيب جرجور.

(٢) انظر ص٢٦٨ من هذا الكتاب.

(٣) ـ تفسير الكتاب المقدس ج٥ / ٢٩٩، ٣٠٠.

ـ تفسير العهد الجديد ص ٢٨٣.

هذا ويقرّ المسيحيون بأن اسم كاتب السفر غير مذكور صراحة، إلا أن التقليد نسبه فيما بعد إلى لوقا (في القرن الثالث)، تماماً كما نسب الإنجيل الثالث إليه، هذا وقد رأينا سابقاً كيف أن هنالك علماء مسيحيين يميزون بين سفر أعمال الرسل الذي ينسب إلى لوقا، وبين الإنجيل الثالث الذي يستبعدون نسبته إليه لعدة أسباب، منها أن أفكار بولس لاتجد لها مكاناً في إنجيل لوقا، بينما يرى علماء المسيحية في سفر أعمال الرسل المذكرة التي أعدَّت للدفاع عن بولس أمام امبراطور روما عند محاكمته[1].

وينتقد بعض المفسرين لوقا في كتابته لسفر أعمال الرسل، حين يذكرون أن لوقا لم يكن مشاهداً للأمور بنفسه، بل جمع شهادات شهود، ووثق بأناس ضعفاء، فسرد بصدق مانقلوه، لقد تعامل لوقا مع تقاليد لم يستطع دوماً أن يدقق في صحتها[2].

ونحن نرى في هذا مايطعن في إلهامية لوقا. . ، وهذا ماسنناقشه فيما بعد[3].

أما المكان والزمان الذي كتب فيه سفر أعمال الرسل فغير معلوم على التحقيق، ويرجح أنه كتب نحو سنة ٦٣م، لأن ختامه كان في السنة الثانية من سجن بولس في رومية.

المطلب السادس: رسائل بولس:

هي من جملة أسفار العهد الجديد، وهي ثلاث عشرة رسالة، تنسب إلى بولس، وهي من وجهة النظر الزمنية، أول كتابات العهد الجديد بين عام ٥٢م إلى ٦٧م، أما مدى صحة نسبة هذه الرسائل إلى بولس، فإن علماء العهد الجديد يؤكدون صحة نسبة أغلب هذه الرسائل إليه، ومهما يكن من أمر فإن دراسة مدى

(١) انظر ص ٢٧٠ من هذا الكتاب.

(٢) مجموعة من الباحثين: أعمال الرسل ص ١٠ ـ ١٢.

(٣) انظر ص ٣٠٥ من هذا الكتاب.

صحة نسبة هذه الرسائل إلى بولس، المشكوك في نسبتها إليه، وغير المشكوك فيها، لاتقدم شيئاً ولاتؤخر، في نقدنا لمدى صحة أسفار العهد الجديد، بل هي على العكس تماماً، إذ إذا كان اختلاف علمائهم حول صحة نسبة الأناجيل إلى مؤلّفيها، وكذلك باقي الأسفار، سوى رسائل بولس، له أهمية كبرى في الطعن بهذه الأناجيل والأسفار، فإن اتفاق علمائهم على صحة نسبة أغلب رسائل بولس إليه، لاتؤثر في تلك النتيجة، بل هي تضفي عليه بعداً أكبر وأعمق، حيث تؤكد لنا ماأثبتناه، من خلال اعترافات المسيحيين أنفسهم، أن المسيحية الحالية هي مسيحية بولس، لا مسيحية المسيح وتلاميذ المسيح[1].

أما الرسائل المشكوك في صحة نسبتها إلى بولس، فهي ستة رسائل، وهي:

الرسالة الثانية إلى تسالونيكي، رسالة إلى كولوسي، الرسالتان الأولى والثانية إلى تيموثاوس، ورسالة إلى تيطس، والرسالة إلى أفسس[2].

أما رسالته إلى العبرانيين، وهي الرسالة الرابعة عشرة من رسائل بولس، فإنها توضع في ذيل قائمة رسائله، لأن أغلبية المسيحيين يقرون بعدم صحة نسبتها إلى بولس[3].

ويمكننا أخيراً التأكيد على أن الشك في صحة نسبة هذه الرسائل إلى بولس لاتؤثر في تغيير اللاهوت البولسي الذي نسبناه لبولس، واعتبرناه مؤسسه[4]، إذ أن جميع الفكر اللاهوتي لبولس مذكور أيضاً في الرسائل المؤكد صحة نسبتها إليه.

---

(١) انظر ص١٧٣ من هذا الكتاب.

(٢) تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين ٦ / ٢٥٢، ٣٩١، ٣٥٠، ٤١١، ٤٢٩.

(٣) المرجع نفسه ٦ / ٤٩٩.

- جوزيف هولزنز : بولس الرسول ص ١٥٨.
- تفسير العهد الجديد ص ٥٥٩.
- الأب توماس اليسوعي : مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٤٧.
- الأب البير اليسوعي : دراسة في الرسالة إلى العبرانيين ص ٨ - ١٠.

(٤) - انظر ص ١٨١ من هذا الكتاب.

المطلب السابع: الرسائل الأخرى:

يتضمن العهد الجديد أيضاً رسائل أخرى وهي حسب الترتيب الحالي للعهد الجديد:

أ ـ رسالة يعقوب[1]:

وقد اختلف أيضاً في كاتبها، فقيل إنه يعقوب أخو المسيح (من أمه مريم)، وهو باتفاقهم ليس من الرسل الاثني عشر، بل هو لم يؤمن بالمسيح إلا بعد صعوده إلى السماء.

وذهب البعض إلى أن كاتبها هو يعقوب بن حلفي أحد الرسل الاثني عشر، الذي استشهد في أورشليم عام ٦٢م. وقال آخرون كتبها مسيحي فلسطيني لايعرف اسمه.

ومن الجدير بالذكر القول إن المسيحيين يقرون بأن رسالة يعقوب لم تبرز في كتابات الآباء في الكنيسة اللاتينية حتى منتصف القرن الرابع الميلادي، بالإضافة إلى أن اسم هذه الرسالة لم يدرج في أول قائمة بكتب العهد الجديد، ولذلك فهي من ضمن الكتب القانونية الثانية، التي أدرجت في أسفار العهد الجديد بالتدريج[2]، ويقول في هذا د. وليم باركلي: «إن رسالة يعقوب لاتحتل المكانة الأولى في العهد الجديد في نظر الكثيرين، فقليلون من يضعونها في نفس مرتبة إنجيل يوحنا، أو الرسالة إلى أهل رومية أو إنجيل لوقا، أو الرسالة إلى أهل غلاطية مثلاً.

---

(١) الأب توماس اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٤٦، ٤٧.

ـ تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين ٦/ ٥٧٣، ٥٧٤.

ـ تفسير العهد الجديد ص ٥٨٦.

(٢) انظر ص٢٨٣ من هذا الكتاب.

وكثيرون يتحدثون عنها بشيء من التحفظ، أو كأنه يعوزها الأدلة الكافية لتدرج ضمن كتب العهد الجديد»(١).

ويقول في موضع آخر: «وقد ظهرت رسالة يعقوب أول ماظهرت في اللاتينية في مخطوطة لاتينية للكتاب المقدس تسمى «مخطوط كوربينيس» ويرجع تايخها إلى حوالي ٣٥٠ م. وهذه المخطوطة تنسب رسالة يعقوب إلى يعقوب بن زبدي ـ أحد الرسل الاثني عشر وأخو يوحنا الرسول ـ وتدرجها ليس مع كتب العهد الجديد المعروفة على نطاق واسع آنذاك، بل مع مجموعة من كتابات دينية دوّنها الآباء الأوائل»(٢).

أما تاريخ كتابتها فقد اختلفوا فيه أيضاً، بين سنة ٤٥ إلى ٦٢م.

ب ـ رسالة بطرس الأولى والثانية:

يصرح كاتب هاتين الرسالتين بأنه بطرس رسول المسيح، وعلى هذا يكون بطرس هذا أحد الرسل الاثني عشر، ويلقب بسمعان، الذي استشهد في رومية عام ٦٦، ٦٧م(٣). ويرى التقليد صحة نسبة هاتين الرسالتين إليه، إلا أن هناك من علماء العهد الجديد من يشكك في صحة هذه النسبة لعدة أسباب منها: أن أسلوب الرسالة ولغتها جيدة، وهي أرفع درجة مما يستطيعه بطرس الموصوف في أعمال الرسل [٤ : ١٣] بأنه عامي، ومنها أيضاً احتواء الرسالة الأولى لبعض آراء بولس، وهذا يتناقض مع ماعلم من اختلاف تعليم بطرس وبولس.

---

(١) د. وليم باركلي: تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ص ٢٠، ٢١. وانظر ص١٧ من الكتاب المذكور.

(٢) المرجع نفسه ص ١٧.

(٣) سمير نوف: تاريخ الكنيسة المسيحية ص ٣٣.

أما الاعتراض الأهم في هذا فهو تردد الكنيسة الأولى في قبول رسالة بطرس الثانية كسفر قانوني[1]، يقول د. وليم باركلي في هذا: «إنها ـ رسالة بطرس الثانية ـ أدرجت بصعوبة ضمن أسفار العهد الجديد، وأن الكنيسة ظلت مدة طويلة تجهل عنها كل شيء»[2].

كما اختلف أيضاً في زمن كتابتها، فقيل: سنة ٦٣، أو ٦٤م[3]، وقيل، تاريخ كتابة الرسالة الأولى يرجع إلى سنة ٩٥م، والثانية إلى سنة ١٥٠م[4].

جـ ـ رسائل يوحنا الثلاث[5]:

يرى التقليد أن هذه الرسائل من كتابة يوحنا الرسول، حيث أن أسلوب النص والصيغ الفكرية، خاصة في الرسالة الأولى، تحاكي أسلوب الإنجيل الرابع.

إلا أن البعض يشكك في مدى صحة هذه النسبة إلى يوحنا الرسول، فيقولون الكاتب هو يوحنا الشيخ، وهو غير يوحنا الرسول، وبعضهم يقول الكاتب مجهول.

وكذلك فإن زمن كتابة هذه الرسائل مجهول أيضاً.

د ـ رسالة يهوذا[6]:

يقول د. وليم باركلي: «عند القيام بجمع أسفار العهد الجديد، لم تقبل رسالة يهوذا، كأحد أسفاره القانونية، إلا بعد جهد جهيد، وإلى عهد قريب، كانت

(١) ـ د. وليم باركلي: تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ص ١٧٥ ـ ١٨٩.
ـ تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين ٦/ ٦١٣، ٦١٤، ٦٥١، ٦٥٢.
(٢) د. وليم باركلي: تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ص ٣٣٧.
(٣) تفسير العهد الجديد ص ٥٩٦.
(٤) د. الشرقاوي: في مقارنة الأديان ص ١٧٩ نقلاً عن بوتر.
(٥) تفسير الكتاب المقدس ٦/ ٦٧٩، ٦٨٠، ٧١٦، وانظر تفسير العهد الجديد ص ٦١٤، ٦٢٦.
(٦) ـ تفسير الكتاب المقدس ٦/ ٧٢٧، ٧٢٨.
ـ تفسير العهد الجديد ص ٦٢٨.

هذه الرسالة في عداد الأسفار، التي يدور حولها لغط كثير، ولم تحظ بالقبول الكامل، كجزء من العهد الجديد إلا في عصر متأخر»[1].

أما كاتبها فإن الرسالة تصرح بأن كاتبها هو يهوذا أخو يعقوب بالولادة، ولذا نسب التقليد هذه الرسالة إلى يهوذا أخي يسوع (من أمه)، بناء على أن يعقوب المذكور هو يعقوب أخو المسيح.

ويشكك البعض في صحة هذه النسبة قائلين إن الكاتب هو يهوذا الملقب تداوس، أحد الرسل الاثني عشر، وقال آخرون إن الرسالة تحمل اسماً غير اسم كاتبها الحقيقي، أراد كاتبها نشر رسالته تحت اسم أبرز من اسمه.

أما زمن كتابتها فمجهول أيضاً.

هـ ـ سفر رؤيا يوحنا[2]:

يعلن كاتب هذا السفر عن اسمه، يوحنا، ويعتبر التقليد يوحنا الرسول كاتب الإنجيل الرابع هو نفس كاتب هذا السفر، إلا أن بعض العلماء المسيحيين يشككون في صحة هذه النسبة، بناء على أن لغة سفر الرؤيا سقيمة وقاسية بعكس لغة الإنجيل الرابع، بالإضافة إلى مواضيع هامة تظهر في الإنجيل الرابع، ولاتظهر هنا، وبذلك فإن يوحنا الكاتب لهذا السفر هو غير يوحنا الرسول.

أما زمن كتابته فهو بين ٩٠ إلى ٩٦م.

---

(١) د. وليم باركلي: تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) ص ٢٦٨.

(٢) تفسير الكتاب المقدس ٦/ ٧٤١، ٧٤٢.

ـ رؤيا القديس يوحنا لمجموعة من الباحثين ص ١٠.

ـ الأب توماس اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٤٧، ٤٨.

ـ تفسير العهد الجديد ص ٦٣٢.

ـ د. وليم باركلي: تفسير العهد الجديد (سفر الرؤيا) ص ١٩ ـ ٢٣.

ـ عبد الأحد داود: محمد في الكتاب المقدس ص ٢٣٥.

المطلب الثامن: مراحل اعتبار أسفار العهد الجديد أسفاراً مقدسة:

يقرّ المسيحيون بأن أسفار العهد الجديد المعتمدة الآن، مرّت بعدة مراحل، إلى أن أصبحت بالصورة التي نراها عليه اليوم، أي مايسمى بالأسفار القانونية، وهي حسب تعريفهم: جدول الكتب التي وضعت بإلهام من الله، وتسلمتها الكنيسة على أنها قاعدة الإيمان والحياة الروحية، بسبب أصلها الإلهي[1].

ويعترف المسيحيون بأن قانون الكتاب المقدس هذا، لم ينشأ بوحي مامعيّن، وإنما نشأ شيئاً فشيئاً، ولذلك لايخلو تاريخ هذا القانون من مشادّة وتردد طوال قرون[2]، فقانون العهد الجديد تمّ تكوينه تدريجياً، بدءاً من السنة ١٥٠م[3].

---

(١) جورج سابا: على عتبة الكتاب المقدس ص ١٧٤.

(٢) المرجع نفسه ص ١٧٤.

(٣) إن ماذكرته وسأذكره في هذا البحث قد اعتمدت فيه على كتابات المسيحيين أنفسهم، إلا أنني وجدت في كتابات بعض المسلمين (ومن بينهم من كان مسيحياً ثم أسلم) مايخالف هذا بعض الشيء دون أن يذكروا مرجعهم في هذا، ولا أدري ماهو مستندهم في هذا، حيث بينوا أن أول محاولة لإثبات قانونية أسفار العهد الجديد، كانت في مجمع نيقية المسكوني عام ٣٢٥م، حيث كان في ذلك الوقت أناجيل كثيرة متعددة تتكلم عن حياة المسيح ودعوته كإنجيل بطرس، الإنجيل بحسب المصريين... إلا أن مصير هذه الأناجيل كلها قرره مجمع نيقية، حيث اختار منها مايتناسب مع قراراته التي ألّهت المسيح وجعلته مساوياً للآب.

وأن المجمع قد أقرّ من أسفار العهد الجديد الحالية مايلي: الأناجيل الأربعة، أعمال الرسل، رسائل بولس ماعدا رسالته إلى العبرانيين، كما أقرّ رسالة بطرس الأولى ورسالة يوحنا الأولى.

وبقيت هناك عدّة رسائل غير مسلّم بها من قبل أساقفة مجمع نيقية، وهي رسالة بطرس الثانية، ورسالة يعقوب، ورسالة يوحنا الثانية والثالثة، رسالة يهوذا، رؤيا يوحنا، رسالة بولس إلى العبرانيين، وأن هذه الرسائل لم تعتبر قانونية إلا في مجمع مكاني (لامسكوني) سمي بمجمع لوديسيا عام ٣٦٤م، وأن هذا المجمع قد أقرّ هذه الرسائل سوى سفر رؤيا يوحنا، حيث قرر إبقاءه مشكوكاً فيه، وأنه لم يعترف بهذا السفر إلا في مجمع قرطاج بتونس عام ٣٩٧م، حيث أقرّ قانونية هذا السفر.

- انظر: د. الشرقاوي: في مقارنة الأديان ص٣٢، ٣٣.

- إبراهيم خليل أحمد: محاضرات في مقارنة الأديان ١٣-١٦، والغفران بين الإسلام والمسيحية ص ٣٠-٣٣.

- عبد الأحد داود: الإنجيل والصليب ص ١٤.

- أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص ٩٢.

ومهما يكن من أمر، فإن الحقيقة العلمية تقتضي منا الرجوع في هذا الأمر إلى مراجعهم المعتمدة، هذا فضلاً عن أن مايذكره هؤلاء الكتاب المسلمون عن اعتماد هذه الأسفار في مجمع نيقية، يعطيها صبغة مسكونية إلهامية، حسب رأي المسيحيين في المجامع، الأمر الذي لايدّعيه هؤلاء المسيحيون أنفسهم لهذه الأسفار، بل هم يقرون بأن هذه الأسفار قد انتقتها الكنائس وليس المجامع المسكونية.

ويختلف قانون كل كنيسة عما هو عليه في الكنيسة الأخرى، إلا ان هناك قاسماً مشتركاً بينها هو قبول عدة أسفار واعتبارها قانونية، وذلك حسب اللوائح التي ظهرت في هذه الكنائس، بين سنة ١٥٠ إلى القرن الرابع الميلادي، وهذه الأسفار هي الأناجيل الأربعة، أعمال الرسل، رسائل بولس ماعدا رسالته إلى العبرانيين، رسالة يوحنا الأولى[١].

ويطلق على هذه الأسفار اسم الكتب القانونية الأولى، ويعرفها د. وليم باركلي، بأنها التي لايدور حولها أي جدل، وقد قبلت منذ البداية، أما الطائفة الأخرى فهي الكتب القانونية الثانية، وقد أدرجت ضمن أسفار العهد الجديد بالتدريج[٢]، وتعرضت لبحث طويل المدى فيما إذا كانت ملهمَة أم لا، ولكن الكنائس قد اعتبرتها فيما بعد ملهمَة، وأدرجتها ضمن قائمة أسفار العهد الجديد، إلا أن تاريخ إدراج كل كنيسة لهذه الأسفار يختلف من كنيسة إلى أخرى. وهي: رسالة بطرس الأولى والثانية، رسالة يعقوب، رسالة يوحنا الثانية والثالثة، رسالة يهوذا، رؤيا يوحنا، رسالة بولس إلى العبرانيين[٣].

يقول الأب توماس اليسوعي في هذا: «ظهرت أولى لوائح الأسفار الكتابية بين السنة ١٥٠، والسنة ٢٠٠، وبعد عدّة قرون، حدّدت الكنائس تحديداً رسمياً (كما فعلت الكنيسة الكاثوليكية في المجمع التريدنتي ١٥٤٦م) أيّ الأسفار تعتبر من أسفار الكتاب المقدس، إلا أن تلك القرارات المتأخرة لم تكن سوى تأكيد لما بات اعتقاد المسيحيين التقليدي»[٤].

---

(١) ـ أسطفان شربنتييه: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس ص ٢٣٣.

ـ د. وليم باركلي: تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) ص ٢٦٨، و (رسائل يعقوب وبطرس) ص ١٧، ٢٠.

ـ توماس اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٤١.

(٢) المرجع الأخير نفسه ص ٢٠.

(٣) المراجع نفسها في حاشية (١).

(٤) الأب توماس اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٤١.

ويقول د. وليم باركلي: «ففي سنة ١٩٤٦م أقرّ مجمع (ترنت)، بصورة نهائية الكتاب المقدس الذي تسير بموجبه الكنيسة الرومانية، إذ أقرّ المجمع قائمة بأسماء الأسفار التي لا يمكن أن يضاف إليها أو يحذف منها شيء»[١].

ومن الهام القول بأن المسيحيين يميّزون بين قانونية الكتاب وبين صحته، فالكتاب الصحيح، هو الكتاب الذي كتبه الكاتب الذي ينسب إليه الكتاب، وبذلك فإن بعض الأسفار القانونية، قد تكون غير صحيحة كما رأينا، لعدم صحة نسبتها إلى كاتبها، ومع هذا تعدّ قانونية ملهمة لقبول الكنيسة المعصومة لها.

ويذكر الأب أسطفان شربنتييه مثالاً على هذا، وهو خاتمة إنجيل مرقس [١٦: ٩ ـ ٢٠]، مبيناً عدم صحتها، وأنها أضيفت إلى هذا الإنجيل، وهي من كتابة إنسان غير مرقس، ومع هذا فهي قانونية ملهمة، لاعتراف الكنيسة بها[٢].

وقد يحلو لنا أن نتساءل عن كيفية اعتبار قانونية شيء رغم إقرارهم بعدم صحته، ويجيب عن هذا الأب شربنتييه، مبيّناً أن قانونية الكتب تستند إلى اعتراف الكنيسة، التي هي بالتالي ملهمة من الروح القدس[٢].

---

(١) ـ د. وليم باركلي: تفسير العهد الجديد (رسائل يعقوب وبطرس) ص ٢٠.

وإتماماً للفائدة نذكر أن تقسيم الكتاب المقدس إلى إصحاحات قد تمّ على يد ستيفن لانجتون، رئيس أساقفة كنتربري، المتوفي عام ١٢٢٨م. أما التقسيم إلى أعداد المعول عليه الآن في العهد الجديد فقد قام به روبرت ستفانس لأول مرة عام ١٥٥١م، ويذكر د. بوست أنه مع أهمية هذه التقسيمات للمراجعة، إلا أنه قد وقع فيها كثير من الأخطاء التي جعلتها لا تتناسب تماماً مع المعنى الموجود فيها، لذلك أصلح كثير من هذه الأخطاء في بعض الترجمات العربية.

ـ د. بوست: قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٥.

(٢) شربنتييه: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس ص ٢٣٣.

المطلب التاسع: نظرات حول إلهامية أسفار العهد الجديد:

إن نظرة سريعة في كل ماذكرناه عن أسفار العهد الجديد، التي يعتمد عليها المسيحيون في إثبات عقائدهم، تدعونا إلى أن نقرر وبكل ثقة، أن مايدّعونه من إلهامية هذه الأسفار لاحقيقة له، ونبين ذلك باختصار في عدة نقاط:

١ ـ إن ادعاء المسيحيين إلهامية هذه الأسفار وقانونيتها مستند كما رأينا على تقبّل الكنيسة الملهمة لهذه الأسفار وشهادات الآباء الأوائل لها، هو مايسمى بالتقليد الرسولي.

إلا أننا إذا أمعنا النظر في كلامهم هذا وجدنا أنه لاوجه له من الصحة، إذ لو كانت الكنيسة ملهمة ومعصومة بإرشاد الروح القدس كما يقولون، لما جاز لها أن تختلف حول قانونية بعض أسفار العهد الجديد، كما بيّنا آنفاً، ولكان عليها منذ البدء أن تعرف ماهي الأسفار القانونية، وماهي الأسفار غير القانونية، وهذا مالم يحصل أبداً.

ولنا في هذا شهادة اثنين من المسيحيين، أولها د. موريس بوكاي حيث يقول: «ومع ذلك فالقائمة الرسمية تنوعّت مع الزمن في هذه القرون الأولى من العصر المسيحي، وهناك مؤلفات اعتبرت فيما بعد معدومة القيمة (مزورة)، كانت تحتل مكاناً مؤقتاً في هذه القائمة، على حين كانت هناك كتابات أخرى، محتواة في القائمة الحالية للعهد الجديد، مستبعدة في ذلك العصر»[1].

ويقول الأب أسطفان شربنتييه لدى حديثه عن اللوائح القانونية للعهد الجديد: «وأما الكتب التي قام حولها نزاع أحياناً، فهي الرسالة إلى العبرانيين ورسالة يعقوب ورسالتي بطرس. وبالعكس فهناك كتب أخرى، كالديداكي وراعي هرماس وإنجيل بطرس...».

---

(١) د. بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ١٠٠.

ومراده من قوله بالعكس هو عين ما أراده د. بوكاي، من أن هناك كتباً كانت تعتبر قانونية في الكنيسة الأولى، اعتبرت فيما بعد، في القرون التالية، من الأناجيل المزورة، وهذا وحده يطعن في إلهامية الكنيسة والتقليد الذي تستند إليه.

ويشير إلى هذا أدولف هرنك فيقول عن كتاب هرمس وشهادات الآباء الأوائل بصحته: «كان إيرنيوس يقتبس منه باعتباره واحداً من الكتب (المقدسة)، واعتقد أوريجين أنه من أكثر الكتب فائدة وأنه كتب بوحي إلهي، ويقرر إيزبيوس أنه على الرغم من عدم قانونيته فقد كان يقرأ علانية في الكنائس، وهو الأمر الذي عزّزه جيروم، وكذلك نجد أثناسيوس ينقل عنه ويعتبره أهم عمل ذا فائدة»[1].

أما قولهم بشهادات الآباء الأوائل في القرن الثاني والثالث الميلادي لهذه الأسفار، ولذلك اعتبرت قانونية، فإن دليلهم هذا ضعيف أيضاً، إذ أن كل مافعله هؤلاء الآباء هو ذكرهم لهذه الأناجيل والأسفار في كتاباتهم، وليس في هذا دليل على أن مراد هؤلاء الآباء صحة هذه الأناجيل والأسفار ذاتها، والتي اعتمدتها الكنيسة فيما بعد، فقد يكون هناك إنجيل آخر يسمى بإنجيل متى استشهد به هؤلاء الآباء، وكذلك قل عن إنجيل لوقا، اعتبرت ضمن الأناجيل المزورة فيما بعد، و عفا عليها الزمان.

ولنا في هذا مايؤيده من كلام المسيحيين، فقد ورد في مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد، المنشورة عام ١٩٧٢م، والتي هي نتيجة عمل جماعي لأكثر من مئة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت مايلي: «يكاد يكون عسيراً التقرير بما إذا كانت هذه الاستشهادات قد تمت بعد الرجوع إلى النصوص المكتوبة التي كانت تحت يد الكتاب، أو أنهم قد اكتفوا بذكر أجزاء من التراث الشفهي اعتماداً على الذاكرة»[2].

---

(١) أحمد عبد الوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٢٧٥.

(٢) د. موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٧٥.

«وفي تعليقات هذه الترجمة المسكونية للعهد الجديد يقرأ القارئ، أنه لاتوجد على أي حال، أي شهادة تقول بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية قبل عام ١٤٠م»[١].

بالإضافة إلى اعتراف المسيحيين بوجود مئات الأناجيل المزورة في القرون الأولى، انتقت منها الكنيسة بعضها واعتبرتها قانونية، وأهملت البعض الآخر واعتبرته مزوراً، مثل إنجيل العبرانيين، إنجيل المصريين، إنجيل برنابا، إنجيل توما، راعي هرمس. . . ، وإذا ماعرفنا أن هذه الأناجيل التي اعتبرتها مزورة، قد ورد بعضها أيضاً في كتابات الآباء الأوائل[٢]، وخير مثال على هذا كتابات هرمس، أدركنا بأن قولهم بإلهامية الأسفار الحالية وقانونيتها لامستند له، إلا التشهي والهوى. . . .

٢ ـ إن هذه الأسفار ليست من كتابة المسيح عليه السلام، ولا من إملائه للرسل، وذلك بإقرارهم، بل هي من كتابة تلاميذه أو تلاميذهم، أو حتى من لم يتتلمذوا على يديه أو على يد أحد من تلامذته، كبولس مثلاً.

ونتساءل هنا: أين هو إنجيل المسيح الذي بشّر به إذن، والذي صرّح بولس بوجوده حين قال: «أولاً أشكر إلهي يسوع من جهة جميعكم، إن إيمانكم ينادى به في كل العالم، فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه، شاهد لي. . . » [رو ١ : ٨ ,٩]. كما أشارت إليه الأناجيل الأخرى، حين بينت أن المسيح كان يعلم في مجامع اليهود، ويكرز ببشارة الملكوت.

ولنترك الإجابة هنا إلى مؤرخ مسيحي، قد أطلق فكره من عنان التعصب، ولم يَنْسَق إلا للعلم والحقيقة، هو المؤرخ نارتن، الذي يقول: «إنه كان في ابتداء

---

(١) د. موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٧٥.

(٢) المرجع نفسه ص ٩٩.

المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة، يجوز أن يقال إنها هي الإنجيل الأصلي، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين، الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم، ولم يروا أحواله بأعينهم، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، وماكانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب»[1].

ونقول: إن فقدان هذا الإنجيل ضمن الأناجيل الكثيرة التي أبيدت واعتبرت مزورة يدعونا إلى أن نقول بأن يد الاختيار حسب منطق الأهواء والشهوات، هي التي كانت فصل الخطاب في انتقاء هذه الأسفار.

٣ ـ إن إثبات قانونية أسفار العهد الجديد، وأنها كتبت بإلهام من الروح القدس وإرشاده، ينبغي أن يتوقف على عدة أمور، كما هي الحال في أي كتاب ديني، ومن هذه الأمور:

أ ـ أن يثبت بدليل قطعي أن هذا الكتاب كتب بواسطة ذلك الرسول المنسوب إليه، ويصل ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولاتبديل.

ب ـ أن يكون الرسول الذي نسب إليه هذا الكتاب، قد ادعى أنه رسول من قبل الله أوحي إليه، ويدعم هذا بمعجزات تؤيد صدقه، ويثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر.

جـ ـ أن لايكون ذلك الكتاب متناقضاً مضطرباً يهدم بعضه بعضاً، بل يكون كل جزء منه متمماً للآخر ومكملاً له، إذ أن مايكون بإخبار من الله لايمكن أن يكون فيه اختلاف وتناقض[2].

---

(١) محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص ٥٦.

(٢) المرجع نفسه ص ٧٧ إلى ٨٩.

ـ رحمة الله الكيرانوي: إظهار الحق ١/ ١٠١، ٢٧٩، ٢٨٠.

ـ باجه جي زاده: الفارق ص ٢٧٣، ٣٤٢، ٣٥١، ٣٧٨، ٤٢٤، ٤٦٥.

ـ ابن تيمية: الجواب الصحيح ١/ ٢٠٧.

وإذا ماأمعنا النظر في توافر هذه الشروط في أسفار العهد الجديد، فإننا لن نجد أياً من هذه الشروط متحققاً فيها، فهي أولاً لم تثبت بدليل قطعي، بل على العكس من هذا، حيث ثبت بإقرارهم عدم صحة نسبة هذه الأسفار إلى كتبتها، بالإضافة إلى اختلافهم حول تاريخ كتابتها، وجهلهم تاريخ ترجمة بعضها وهوية مترجمه، مع فقدهم للنسخة الأصلية المترجم عنها، كما في إنجيل متى.

٢ً ـ كما أننا نلاحظ أن هناك من هذه الأسفار في العهد الجديد، مانسب إلى أشخاص، يرجّح أنهم ماتوا أوقتلوا قبل التواريخ المقررة لما نسب إليهم، من هذا رسالة بطرس الثانية، وإنجيل مرقص، ورسالة يعقوب . . .

ومهما يكن من أمر، فإن الثابت لديهم هو وجود فترة زمنية ليست بالقليلة، مايقارب ٣٥ عاماً، بعد صعود المسيح، كان فيها الإنجيل شفوياً، ثم دوّن أول إنجيل، أما آخر إنجيل (يوحنا) فهناك مايقارب ٧٠ سنة على الأرجح قبل كتابته، ولايخفى مالهذا من أثر في التغيير، حيث كتب في عهود اشتهرت بالاضطهادات، بالإضافة إلى أثر الوثنية السائدة آنذاك(١).

٣ً ـ أما أهم ما في الموضوع فهو فقدهم للنسخ الأصلية لهذه الأسفار، فهم يقرون بأن هنالك فاصلاً زمنياً لايقلّ عن مئتين أو ثلاثمئة سنة، بين أحداث العهد الجديد، وتاريخ كتابة مخطوطاته الموجودة حالياً، ولايخفى مالهذا من أثر في التشكيك بمدى موثوقية هذه الأسفار، أضف إلى هذا الاختلافات الكثيرة بين هذه المخطوطات.

يقول د. موريس بوكاي في هذا: «أما أقدم مخطوطتين من الرَّق (جلد رقيق يكتب فيه) فهما مخطوطتان يونانيتان من القرن الرابع. . . ومكان اكتشافهما

(١) أحمد عبد الوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٣١ـ٣٥.

مجهول»[1]. ويقول أيضاً نقلاً عن الترجمة المسكونية أن هنالك في العالم مئتان وخمسون مخطوطة من الرَّق، إلا أن كل «نسخ العهد الجديد التي وصلت إلينا ليست متطابقة، بل على العكس، فيمكن للقارئ أن يميّز فيما بينها فروقاً قد تختلف في الأهمية ولكن عددها على أي حال كبير، وبعض هذه الاختلافات لاتخص إلا تفاصيل في النحو أو المفردات أو ترتيب الكلمات، ولكن في مؤلفات أخرى، يلاحظ بين المخطوطات اختلافات تمسّ معاني فقرات بأكملها»[2].

كل هذا دليل على عدم عصمة هذه الأسفار، وانتفاء إلهاميتها من قبل الروح القدس.

٤ً ـ أما تمييزهم بين صحة الأسفار وبين قانونيتها، بحيث يمكن للسفر أن يكون قانونياً وملهماً من الروح القدس، على الرغم من عدم معرفة كاتبه ولا تاريخ كتابته، فإن هذا تهرب واضح من الإقرار بعدم إلهامية هذه الأسفار، وإلا فكيف يكون قانونياً، وبنفس الوقت غير صحيح النسبة؟ أليس هذا طعناً بالروح القدس الذي يلهمهم هذه الأسفار؟ وطعناً بالكنيسة المعصومة التي تستمد عصمتها من التقليد الرسولي؟ وذلك أن اعتبار السفر قانونياً رغم الإقرار بعدم صحة نسبته إلى من نسب إليه طعن بالكنيسة التي قبلته ونسبته إلى ذلك الكاتب المشكوك في أمر كتابته لذلك السّفر..

٥ً ـ أما ادعاؤهم بأن كتبة أسفار العهد الجديد ملهمون من الروح القدس، فقول يحتاج إلى دليل، فإذا نظرنا إلى هؤلاء الكتبة، على فرض صحة نسبة هذه الأسفار إليهم، رأينا أن منهم من يسميهم المسيحيون بالرسل (تلاميذ المسيح الاثني عشر)، كمتى ويوحنا..، ومنهم من لم يرَ المسيح أبداً و لم يسمع منه، ومن هؤلاء من قد يكون سمع من تلاميذ المسيح ونقل عنهم، كمرقس، الذي هو على الأرجح تلميذ بطرس الرسول، ولوقا تلميذ بولس، ومنهم من لم يرَ المسيح و لم يسمع منه، كما أنه

(١) د. موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ١٠٠.
(٢) ـ المرجع نفسه ص ١٠٠، ١٠١.
ـ وانظر جورج سابا: على عتبة الكتاب المقدس ص ١٩٤.

لم يتتلمذ على أيدي تلاميذه، و لم يسمع منهم، بل راح يدّعي أنه يبشّر بـإنجيل تسلمه من المسيح نفسه بعد موته وقيامته وصعوده إلى السماء، كما فعل بولس الرسول.

ثم إن هؤلاء الكتبة لم يدّعوا لأنفسهم أنهم رسل بالمعنى الاصطلاحي للرسول، الذي يقتضي إلهامية هذا الرسول، بل إنهم وإن أطلق على بعضهم أنهم رسل المسيح، فهو على فرض صحة تسمية المسيح لتلاميذه الاثني عشر، الذين انتقاهم، بالرسل، فإنه لايوجب لهم أن يكونوا ملهمين من الروح القدس، وإلا لكان يجب على باقي الرسل الاثني عشر، ممن لم يرد لهم أناجيل في العهد الجديد، أن يكونوا ملهمين أيضاً، وهذا ما لم يحصل، بل على العكس من هذا، فقد كان بعضهم ينظر إلى بعض على أنهم غير ملهَمين. ويظهر هذا واضحاً جلياً أثناء تباحثهم في مجمع أورشليم[1]، حيث ناقش بعضهم بعضاً وخالف بعضهم بعضاً.

ثم إننا إذا طالعنا أسفار العهد الجديد، فإننا لانجد واحداً من كتبتها يدّعي أنه كتب إنجيله بإلهام من الله، بل وأكثر من هذا، فإننا نجد لوقا يصرّح في مقدمة إنجيله أنه قد تلقّى ماكتب في هذا الإنجيل عن شهود عيان من تلاميذ المسيح، وأنه بتأليفه الإنجيل، يكون قد نحا منحى كثيرين من قبله ممن ألفوا أناجيل (لو ١ : ١ ـ ٤)[2].

والوحيد من بين كتبة الأناجيل، الذي يمكننا أن نقول عنه، إنه يدّعي لنفسه أنه رسول بالمعنى الاصطلاحي، الذي يقتضي الإلهام، فهو بولس، وادعاؤه هذا غير صحيح، إذ لم يدعم قوله هذا معجزات تؤيد صدقه، وليس في كتبه ما يشهد له

---

(١) انظر ص١٩٣ من هذا الكتاب.

(٢) يصرّح الأب شربنتييه بهذا، حين يقول: «لم يكتب لوقا إنجيلاً، بل كتب بكل تواضع «رواية للأحداث»، لكي يتثبت التلميذ من إيمانه . . .

لكن المؤرخ لوقا رجل مؤمن، فما يرويه هو، في نظره، بشري»

ـ انظر دليل إلى قراءة الكتاب المقدس ص ١٩٥ .

بالرسالة والإلهام، سوى ماورد في سفر أعمال الرسل، الذي نسب إليه معجزات، كما زعم أيضاً إلهامية الرسل وحلول الروح القدس فيهم، ونسب إليهم معجزات، وهذا السفر كما علمنا مشكوك في نسبته إلى لوقا[1]، وعلى فرض صحة نسبته إليه، فإن لوقا هذا ليس ملهماً ولايدعي لنفسه الإلهام كما رأينا، بل على العكس تماماً، فكيف يعتمد إذاً على مايكتبه، إذا كان مايكتبه من لدن نفسه، لابالإلهام، حسب تصريحه هو، بل وحتى بولس الذي يدعي لنفسه الإلهام، يقرّ في بعض الأحيان بأن مايقوله هو من عند نفسه لاعن طريق الإلهام [رو ٧: ١٠ و١٢][2].

٦ ـ أما أهمّ ثغرة في أسفارهم فهي التناقضات والاضطرابات الكثيرة فيما بينها من جهة، و التناقضات الداخلية في أحداث وروايات الإنجيل الواحد من جهة أخرى، وذلك في الأمر الواحد الذي لايقبل إلا حقيقة واحدة، فلو كتبت هذه الأناجيل بإلهام الروح القدس، لكان ينبغي أن لايوجد فيها هذا التناقض، وإلا أدى هذا إلى إثبات الخطأ على الله تعالى، مادام الروح القدس في رأيهم هو الله تعالى، ومن هذا اختلاف إنجيل متى عن إنجيل لوقا في نسب المسيح [مت ١ : ١٧] و[لو ٣ : ٢٣]، واختلاف إنجيل يوحنا عن باقي الأناجيل في ذكره لمن حمل صليب المسيح لدى اقتياد الرومان له ليصلبوه، فبينما يذكر يوحنا أن المسيح هو الذي حمل صليبه، تؤكد باقي الأناجيل أن الذي حمل الصليب هو سمعان القيرواني [مت ٢٧ : ٣٢، مر ١٥ : ٢١، لو ٢٣ : ٢٦، يو ١٩ : ١٦ ـ ١٨].

واختلاف إنجيل متى عن إنجيل يوحنا في ذكر حادثة القبض على المسيح لمحاكمته [مت ٢٦ : ٤٧ ـ ٦٩] [يو ١٨ : ٥ ـ ٤٠]، وتناقض إنجيل لوقا في روايته

---

(١) انظر ص ٢٧٥ من هذا الكتاب.

(٢) المراجع نفسها ص ٢٨٨ حاشية (٢) من هذا الكتاب.

لسرّ القربان المقدس، مع مايرويه مرقس ومتى، [لو ٢٢ : ١٩ ـ ٢٤، مت ٢٦ : ٢٦ ـ ٢٩، مر ١٤ : ٢٢ ـ ٢٤].

وما إلى ذلك من تناقضات كثيرة بين هذه الأسفار، لامجال لسردها الآن[1]، وهي تجعلنا نقرر وبكل ثقة أن التناقض بين هذه الأسفار مبطل لادعاء الإلهام فيها.

علماء مسيحيون يشككون في صحة الأناجيل وإلهاميتها:

اشترك مؤخّراً ٢٠٠ عالم مسيحي بروتستانتي، من عدد من الجامعات والكليات اللاهوتية لدراسة الأناجيل، وخرجوا بعد ست سنوات من البحث والتصويت بنتيجة هامة، وهي الحكم بعدم صحة ٨٠٪ من الأقوال المنسوبة إلى المسيح في تلك الأناجيل المعتمدة[2].

ومن هذا ما يذكره بعض العلماء المسيحيين، الذين تناولوا العهد الجديد بالدراسة والتمحيص، حين أكّدوا على أن قصة محاكمة السيد المسيح عليه السلام وأحداث صلبه وقيامته لا تعدو أن تكون أساطير لا صلة تربطها بوقائع التاريخ، ومن هؤلاء رودولف بولتمان في كتاب الذائع الصيت:

Theology of new testament.

وأميل بتنر في كتابه: Christian doctrine of God

(١) انظر في هذا المراجع السابقة ص٢٨٨ حاشية (٢) من هذا الكتاب.

ـ و د. موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة ص ٨٢، ٨٦، ٨٨، ٩٢، ١٠٠.

ـ الجويني : شفاء الغليل في بيان ماوقع في التوراة والإنجيل من التبديل.

ـ و د. الشرقاوي : في مقارنة الأديان ص ١٤١.

ـ محمد السعدي : دراسة في الأناجيل ص ٢٧، ٣٥، ٦٦.

(٢) جريدة لوس أنجلوس، الاثنين ١٤ آذار ١٩٩١م.

الفصل السادس

مسيحيون ينكرون ألوهية المسيح

شهد مطلع القرن العشرين تحرراً فكرياً، من التعصب والجمود، وما ذاك إلا لأن هذا القرن هو القرن الذي عمّت فيه السيادة للعلم والحقيقة وحدها، ولا شيء سواها.

وقد بدأ هذا التحرر، وللأسف، من مسيحيي الغرب لا مسيحيي الشرق، فانبرى بعض رجال الدين المسيحي في الغرب، بالإضافة إلى بعض المسيحيين الذين درسوا اللاهوت المسيحي بعمق وإخلاص، إلى البحث الجاد في أصول المسيحية الحالية، وكان القاسم المشترك بينهم هو إنكارهم للعقائد المسيحية الحالية، التثليث وألوهية المسيح، والتجسد، وعقيدة المخلص والفداء، مبينين أن عقيدة المسيح عليه السلام براء من هذه الأفكار التي دخلت على المسيحية بالتدريج، حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن، ولا يسعنا في هذا المجال إلا أن نذكر بعضاً من هذه الأفكار الحرة والآراء الجريئة، التي خاضت غمار الحق غير مبالية ولا هيّابه للمصاعب التي قد تعترض طريقها إلى الحق والحقيقة:

١ ـ انعقد مؤتمر من رجال الدين المسيحي، في كمبردج سنة ١٩١٧م، برئاسة الأستاذ برسي جاردنر (Prof. Percy Gardenr) ، وكان موضوع المناقشة هو، هل أسس المسيح الكنيسة؟ وكان من بين خطباء المؤتمر نائب أسقف يسمّى بـ (أنج) (Dean Inge)، الذي أعلن أن عيسى ليس إلا نبياً كما بدا لمعاصريه، وأنه لم يحاول إطلاقاً أن ينشر نظاماً داخل الكهنوت اليهودي . . . ولقد وافقه على هذا الرأي جميع المؤتمرين، ماعدا كبير الشماسة فورد (Ford)، بالإضافة إلى موافقة بعض رجال الدين، ج . ر . ولكنسن (J. R. Wilkinson)، س . و . امت (C. W. Emmet)، ل . باترسون (L. Patterson) ، هـ . أ . ميجر (H. A. Major).

وقد أيد هذا المؤتمر مؤتمر آخر انعقد في نفس المدينة سنة ١٩١٨، انتهى إلى ما انتهى إليه المؤتمر السابق[1].

٢ ـ اجتمع في سنة ١٩٢١م عدد كبير من رجال الدين في أكسفورد، ورأس هذا الاجتماع الدكتور راشدل (Dr. Rashdall) أسقف مدينة كارليل، وقد أعلن هذا الأسقف أن قراءته للكتاب المقدس لاتجعله يعتقد أن عيسى إله، بل هو إنسان بكل مايحتمل هذا اللفظ من معان[2].

٣ ـ بتاريخ ١٩٧٧م في شهر يونية، أصدر سبعة من كبار رجال الدين في أوروبا كتاباً أعلنوا فيه بشرية المسيح عليه السلام، وأنكروا ألوهيته.

وقد ورد في مجلة (الأويزيرفر) الإنجليزية، بتاريخ ٢٦ يونية ١٩٧٧، مقال تحت عنوان: «رجال الكنيسة يشككون في ألوهية المسيح»، وقد جاء في مطلع المقالة مايلي: «سبعة من كبار رجال الدين في إنجلترا أعلنوا أنهم يرفضون ألوهية المسيح، وذلك في كتاب صدر لهم حديثاً في لندن، وكان في طليعة هؤلاء العلماء، القس موريس ويلز، رئيس لجنة المعتقدات في كنيسة إنجلترا، وأستاذ الإلهيات في جامعة أكسفورد»[3].

ثم أتبع كاتب المقال معلناً: «سيكون لهذا الكتاب ضجة في الأوساط الدينية، لأنه يتبنى الرأي العام للعلماء غير المسيحيين، القائل بأن السيد المسيح، لم يتخذ لنفسه طابع الألوهية، وإنما جُعل إلهاً فيما بعد، بتأثيرات وثنية في أوائل القرون الأولى للمسيحية»[4].

هذا وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية وطبع عام ١٩٨٨م، تحت عنوان «أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح»

---

(١) د. محمد جابر عبد العال: في العقائد والأديان ص ٢٤٨.

(٢) ـ المرجع نفسه ص ٢٤٩، ٢٥٠.

ـ د. محمد فؤاد الهاشمي: حوار بين مسيحي ومسلم ص ٢١٦ ـ ٢٢٠.

(٣) محمد عزت الطهطاوي: الميزان في مقارنة الأديان ص ٣٢٤.

(٤) ـ المرجع نفسه ص ٣٢٤. وانظر ص ٢١٤، ٢١٥.

٤ ـ نشرت صحيفة (الديلي نيوز) الصادرة بتاريخ ٢٥/ ٦/ ١٩٨٤، تحت عنوان: «دراسة مصدقة حول آراء الأساقفة الأنجليكيين»[1]. وقد ورد في المقال مايلي: «إن أكثر من نصف أساقفة إنجلترا الأنجليكيين يقولون: إنه لايلزم النصارى أن يعتقدوا أن المسيح عيسى هو الله، لقد تمّ استفتاء ٣١ من ٣٩ من أساقفة إنجلترا، فأنكر معظمهم ألوهية عيسى (عليه السلام)، وقيامته من الموت، وهم بذلك يهددون عقيدتين من أكثر العقائد أساسية في المسيحية، ويعزون هذه التصورات العتيقة إلى انعدام الدقة في الكتاب المقدس»[2].

٥ ـ نشرت صحيفة مرآة الجامعة الصادرة بتاريخ الاثنين ١٠/ ٣/ ١٤١٠ هـ، أن البروفسور هاني كونج، من أشهر رجال الكنيسة الكاثوليكية، وأستاذ كرسي توحيد الديانات بجامعة توبنجن بألمانيا، أعلن أن القرآن وحي من عند الله، وأن محمداً هو رسول الله، كما انتقد المؤلف الكنيسة في قولها بعصمة البابا، وأهم ماانتقده هو عقيدة التثليث، التي يرجعها إلى تأثير هيلليني (يوناني) غريب عن المسيحية الحقة، كما أشار إلى تحريفات وإضافات بشرية في الإنجيل.

كل هذا جاء في الكتاب الذي صدر بالألمانية تحت عنوان «المسيحية وديانات العالم» لمجموعة من الأساتذة المتخصصين في الديانات، بإشراف البروفسور هاني كونج. وقد انتهى مؤخراً الدكتور سيد الشاهد، الأستاذ المشارك في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إلى ترجمته إلى العربية، منوّهاً إلى أن هذا الكتاب هو نتيجة محاضرات ألقيت مابين ١٩٨٢ ـ ١٩٨٤ م، وأنه كان من المشاركين في هذه المحاضرات بالاستماع والتعليق...

---

(١) الكنيسة الإنكليكانية، تتبع للكنائس البروتستانتية انظر ص٢٦٦ من هذا الكتاب.

(٢) أحمد ديدات: أساقفة كنيسة انجلترا وألوهية المسيح ص ٢٣، ٢٤، ترجمة محمد مختار.





٦ ـ ماذكرناه سابقاً من آراء للأستاذ شارل جينيبر أستاذ تاريخ الأديان في باريس في كتابه «المسيحية تاريخها ونشأتها»، حيث بيّن أن القول بألوهية المسيح والتثليث، لم يعرف شيء منه في حياة المسيح نفسه، بل إن ذلك مأخوذ من العقائد الوثنية، بحيث أقحم إقحاماً في المسيحية[١].

٧ ـ ماذكرناه سابقاً عن كتاب الأصول الوثنية للمسيحية، الذي هو من تأليف عدة من علماء الدين المسيحي، يعدّ من أشهرهم البروفسور نايتون، مدرس علم الأديان المقارنة في جامعات فرنسا، حيث أكد هؤلاء المؤلفون على أن المسيحية الحالية، ليست هي مسيحية المسيح، بل هي مسيحية مقتبسة من الوثنية، ليس إلا[٢].

ومن هؤلاء أيضاً د. موريس بوكاي في كتابه «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة»[٣].

---

(١) انظر ص ١٥٥، ١٦٠ من هذا الكتاب.

(٢) انظر ص ١٩٨، ١٩٩ من هذا الكتاب.

(٣) انظر ص ٢٦٣ من هذا الكتاب.

٨ ـ بالإضافة إلى كل ماذكرناه من الأمثلة، نذكر بعضاً من علماء المسيحية، الذين اعتنقوا الدين الإسلامي، وأعملوا النقد في المسيحية الحالية، تلك المسيحية المحرفة.

من هؤلاء د. محمد فؤاد الهاشمي، وكان من رجال الكهنوت المسيحي في مصر، ويقول عن نفسه أنه بعد أن أكمل دراسته اللاهوتية. تحوّل إلى البحث في الدين الإسلامي، وكان قصده من تلك الدراسة استخراج العيوب وتلمّس الأخطاء، والوقوف على المتناقضات التي أوحى بها إليه أساتذته من الكهنة، إلا أنه ماإن طرق باب المقارنة بين الإسلام وبين غيره من الأديان، حتى أدرك سحر الإسلام وجماله وموافقته للعقل والعلم. . . الأمر الذي يفتقده غيره من الأديان، فما كان منه إلا أن أعلن إسلامه، ثم وجّه سهامه إلى المسيحية الحالية، مبيناً تحريفها وابتداعها لعقائد لم يأت بها المسيح[1].

ومن هؤلاء البروفسور عبد الأحد داود، وكان اسمه قبل إسلامه، القسيس دافيد بنجامين كلداني، من طائفة الكلدانيين التابعة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وكان يحمل شهادة الليسانس في علم اللاهوت[2].

ومن هؤلاء أيضاً إبراهيم خليل أحمد، الذي كان قساً وراعياً لإحدى الكنائس الإنجيلية في مصر، ومدرساً للاهوت في كلية اللاهوت بأسيوط، أسلم وتسمّى بإبراهيم خليل أحمد، وكان اسمه القس إبراهيم خليل فيلبس[3].

---

(١) انظر كتابه حوار بين مسيحي ومسلم، وكتابه الأديان في كفة الميزان.

(٢) انظر كتابه الإنجيل والصليب، وكتابه محمد في الكتاب المقدس.

(٣) انظر كتابه في مقارنة الأديان، وكتاب الغفران بين الإسلام والمسيحية.

فهرس المصادر والمراجع الإسلامية

١ـ إبليس، عباس محمود العقاد.

٢ـ الأجوبة الفاخرة عن الأجوة الفاجرة، القرفي.

٣ـ الإرشاد، الجويني.

٤ـ أرسطو، عبد الرحمن بدوي.

٥ـ أساقفة كنيسة إنجلترا وألوهية المسيح، أحمد ديدات، ترجمة محمد مختار.

٦ـ الأصول الوثنية للمسيحية، لمجموعة من المؤلفين.

٧ـ إظهار الحق، رحمة اللّه الكيرانوي.

٨ـ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي.

٩ـ الأناجيل، دراسة مقارنة، أحمد طاهر.

١٠ـ الإنجيل والصليب، عبد الأحد داود.

١١ـ أوزيريس عقيدة الخلود في مصر القديمة، د. سيد محمود القمني.

١٢ـ تاريخ الأمم والملوك، الطبري.

١٣ـ تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل.

١٤ـ تفسير الطبري المسمّى جامع البيان عن تأويل القرآن.

١٥ـ التفسير الكبير، الفخر الرازي.

١٦ـ تفسير المراغي، المراغي.

١٧ـ التمهيد، الباقلاني.

١٨ـ التوحيد، الماتريدي.

١٩- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.
٢٠- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية.
٢١- الجوهر الفريد في رد التثليث، أيوب بك صبري.
٢٢- حقيقة النصرانية من الكتاب المقدس، د. أحمد حجازي السقا.
٢٣- حوار بين مسيحي ومسلم، د. محمد فؤاد الهاشمي.
٢٤- حياة آدم، محمود الشلبي.
٢٥- خلاصة المنطق، د. عبد الهادي الفضلي.
٢٦- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي.
٢٧- دراسات في الملل والنحل، د. عبد اللّٰه الشرقاوي.
٢٨- دراسة في الأناجيل الأربعة، محمد السعدي.
٢٩- الدرة البيضاء في إثبات خلق آدم في السماء، ابن خليفة.
٣٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي.
٣١- الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، الغزالي، تحقيق د. عبد اللّٰه الشرقاوي.
٣٢- الرد على النصارى، أبو البقاء الجعفري، تحقيق محمد محمد حسانين.
٣٣- روح المعاني، الألوسي.
٣٤- السيرة الحلبية، علي بن برهان الحلبي.
٣٥- السيرة النبوية، ابن هشام.
٣٦- السرة النبوية، ابن كثير.
٣٧- السيف الحميدي الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل، بكر التميمي.
٣٨- شرح جوهرة التوحيد، الباجوري.

٣٩ـ شرح العقيدة الطحاوية، الدمشقي.

٤٠ـ شرح كتاب الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة، الملا علي القاري.

٤١ـ شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوارة والإنجيل من التبديل، الجويني.

٤٢ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري.

٤٣ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري.

٤٤ـ العالم الآخر في المسرح الإغريقي، د. منيرة كروان.

٤٥ـ عقائدنا، محمد الصادقي.

٤٦ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير.

٤٧ـ الغفران بين الإسلام والمسيحية، إبراهيم خليل أحمد.

٤٨ـ الفارق فيما بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن جاجه جي زادة.

٤٩ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني.

٥٠ـ فقه السيرة، د. محمد سعيد البوطي.

٥١ـ الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، د. علي عبد المجيد الشرفي.

٥٢ـ في العقائد والأديان، د. محمد جابر عبد العال.

٥٣ـ قصص الأنبياء، ابن كثير.

٥٤ـ كبرى اليقينيات الكونية، د. محمد سعيد البوطي.

٥٥ـ الله والنفس البشرية، محمد متولي الشعراوي.

٥٦ـ مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النفسية، أحمد منهواته.

٥٧ـ محاضرات في النصرانية، أبو زهرة.

٥٨ـ محاضرات في مقارنة الأديان، إبراهيم خليل أحمد.

٥٩- محمد في الكتاب القدس، عبد الأحد داود.
٦٠- المسيح والتثليث، د. محمد وصفي.
٦١- المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، عبد الكريم الخطيب.
٦٢- المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب.
٦٣- مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني.
٦٤- المرأة والألوهية، محمد وحيد خياطة.
٦٥- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل.
٦٦- معجم البلدان، ياقوت الحموي.
٦٧- معيار العلم في فن المنطق، الغزالي.
٦٨- مقارنة الأديان (اليهودية)، د. أحمد شلبي.
٦٩- مقارنة الأديان (المسيحية)، د. أحمد شلبي.
٧٠- مقدمة في علم مقارنة الأديان، عقيل المهدلي.
٧١- ملكوت الله في النصرانية واليهودية والإسلام، عبد المجيد الجندي.
٧٢- منطق أرسطو، أرسطو.
٧٣- الميزان في مقارنة الأديان، محمد عزت الطهطاوي.
٧٤- النصرانية من التوحيد إلى التثليث، د. محمد أحمد الحاج.

فهرس المصادر والمراجع المسيحية

١ـ أدونيس أو تموز، جيمس فريزر.

٢ـ أسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس.

٣ـ أسرار الكنيسة السبعة، د. إبراهيم سدراك.

٤ـ أسطورة تجسد الإله في المسيح، لمجموعة من المؤلفين.

٥ـ أعمال الرسل، مجموعة من الباحثين، ترجمة بولس الفغالي.

٦ـ ألوهة المسيح، كوستي بندلي.

٧ـ الإله المتجسد، إسحاق ساكا.

٨ـ أنت المسيح ابن اللّٰه الحي، الأنباغريغوريوس.

٩ـ الأنوار في الأسرار، جراسيموس مسرّة.

١٠ـ إنجيل مرقص، متى هنري، ترجمة القس مرقس داود.

١١ـ بولس الرسول، جوزيف هولزنز.

١٢ـ بولس وتحريف المسيحية، هيم ماكبي.

١٣ـ تاريخ الانشقاق، جراسيموس مسرّة.

١٤ـ تاريخ الفكر المسيحي، د. حنا جرجس الخضري.

١٥ـ تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم.

١٦ـ تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر، أديب سلامة.

١٧ـ تاريخ الكنيسة، جون لوريمر.

١٨ـ تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية، المطران ميشل يتيم، الأرشمندريت أغناطيوس ديك.

١٩- تاريخ كنيسة أنطاكية، خريسوستمس بابادوبولس.

٢٠- تاريخ الكنيسة المسيحية، سمير نوف.

٢١- تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس ابن العبري.

٢٢- تجسد الكلمة، القديس أثناسيوس الرسولي.

٢٣- التعاليم السنية، غريغوريوس جبارة.

٢٤- تفسير إنجيل متّى، ترجمة مرقس داود.

٢٥- التفسير الحديث للكتاب المقدس، هوارد مارشل، ترجمة نجيب جرجور.

٢٦- تفسير العهد الجديد، د. وليم باركلي.

٢٧- تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين، برئاسة د. فرنسيس داندس.

٢٨- تموز عقيدة الخلود والتقمص، أنطون موريقات.

٢٩- الثالوثيات، د. موريس تاوضروس.

٣٠- حضارة الهند، د. غوستاف لوبون.

٣١- الحقائق الجلية، أغناطيوس يعقوب الثالث.

٣٢- الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة.

٣٣- خلاصة تاريخ الكنيسة، لومند الفرنسي.

٣٤- خلاصة تاريخ الكنيسة الملكية، الأب يوسف الشماس المخلصي.

٣٥- الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية، أفلاطون مطران موسكو.

٣٦- دراسات في الأناجيل، وليم مورهيد، ترجمة القس فايز عزيز.

٣٧- دراسة في الإنجيل كما رواه متى، أسطفان شربنتييه، ترجمة روفائيل اليسوعي.
٣٨- دراسة في الإنجيل كما رواه لوقا، أوغسطينس جورج.
٣٩- دراسة في الرسالة إلى العبرانيين، الأب ألبير اليسوعي.
٤٠- دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، د. موريس بوكاي.
٤١- دليل إلى قراءة الكتاب المقدس، أسطفان شربنتييه، ترجمة الأب صبحي اليسوعي.
٤٢- ديانة بابل وآشور، س.هـ. هوك.
٤٣- الديانة الفرعونية، واليس بدج.
٤٤- الديانة المصرية القديمة، ياروسلاف تشرني.
٤٥- رد على اليهودية واليهودية المسيحية، ندرة اليازجي.
٤٦- رسائل أثناسيوس عن الروح القدس.
٤٧- الروح القدس الرب المحيي، الأب متّى المسكين.
٤٨- الروح القدس، مجموعة من المؤلفين.
٤٩- الروح القدس، فهيم عزيز.
٥٠- رؤيا القديس يوحنا، مجموعة من الباحثين.
٥١- زاد الأرثوذكسية، انطونيوس اليفيزوبولس.
٥٢- سر التدبير الإلهي، أسبيروجبور.
٥٣- السلام عليك يا مريم، متري أثناسيو.
٥٤- شخصيات الكتاب المقدس، البابا شنودة الثالث.
٥٥- شرح بشارة يوحنا، د. وليم باركلي.

٥٦ـ صدى المنابر، أغناطيوس يعقوب الثالث.

٥٧ـ الصورة الإلهية في الإنسان لدى القديس غريغوريوس بالاماس، البطريرك إلياس معوض.

٥٨ـ الطبيعة وما بعد الطبيعة، يوسف كرم.

٥٩ـ العظات، كيرلس الأورشليمي.

٦٠ـ على عتبة الكتاب المقدس، جورج سابا.

٦١ـ علم اللاهوت العقيدي، د. موريس تاوضروس.

٦٢ـ علم اللاهوت، ميخائيل مينا.

٦٣ـ الفكر اللاهوتي في رسائل بولس، القس فهيم عزيز.

٦٤ـ فلسفة الغفران، عوض سمعان.

٦٥ـ في البدء كان الكلمة، باسيليوس الكبير.

٦٦ـ في الرد على أتباع سيفيلوس وآريوس، باسيليوس الكبير.

٦٧ـ قاموس الكتاب المقدس، د. بوست.

٦٨ـ القديس أثناسيوس الرسولي، متى المسكين.

٦٩ـ قراءات على إنجيل يوحنا، دونا اليسوعي.

٧٠ـ قصة الحضارة. ول ديورانت.

٧١ـ القيامة العامة، إسحاق ساكا.

٧٢ـ الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد).

٧٣ـ الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد، الأب جورج فلورفسكي.

٧٤ـ الكنيسة الأرثوذكسية، تيموثي وير.

٧٥- الكنيسة السريانية الأنطاكية، أغناطيوس، يعقوب الثالث.

٧٦- كنيستي السريانية، إسحق ساكا.

٧٧- كنيسة مدينة اللّه أنطاكية، د. أسد رستم.

٧٨- اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، سليم بسترس.

٧٩- اللّه ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان.

٨٠- لغز عشتار، فراس السواح.

٨١- المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، يوحنا الدمشقي.

٨٢- المجلة البطريركية، عدد ٦٣-٦٤.

٨٣- مجلة النور، عدد ٩-١٠.

٨٤- مختصر في علم اللاهوت العقائدي، لوديغ أوت.

٨٥- مدخل إلى العقيدة المسيحية، كوستي بندلي وآخرون.

٨٦- مدخل إلى العقيدية المسيحية، الأب توماس اليسوعي.

٨٧- مذكرة الأب جورج عطية، مدرس في دير البلمند في لبنان.

٨٨- المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جينيبر.

٨٩- المسيحية والإسلام، خليل أدّه اليسوعي.

٩٠- المسيح في سرّ الإفخارستيا.

٩١- مصباح العقل، ساويروس بن المقفع.

٩٢- مفهوم الإنسان وعلاقة الإنسان باللّه، الأب تادريس يعقوب.

٩٣- مقال عن الروح القدس، باسيليوس الكبير.

٩٤- المقالة الثانية ضد الأديوسيين، أثناسيوس الرسولي.

٩٥- مقالة في التثليث والتجسد، بولس البوشي.
٩٦- معجم اللاهوت الكاثوليكي، كارل راهرنر.
٩٧- مع المسيح في آلامه حتى الصليب، متى المسكين.
٩٨- المعمودية في الكنيسة الواحدة الجامعة، د. جورج بباوي.
٩٩- المعمودية والملء، جون و.ستوت.
١٠٠- موسوعة تاريخ الأقباط، زكي شنودة.
١٠١- نحو نص عربي موحّد لقانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني، د. موريس تاوضروس.
١٠٢- الهيبوستاس، د. شرابي.
١٠٣- يسوع المسيح، إلياس نجمة.
١٠٤- يسوع المسيح في تقليد الكنيسة، فاضل سيداروس اليسوعي.
١٠٥- The orthodxway, Kallistos ware.
١٠٦- In the image of God, vladimir lossky.

الفهرس

فهرس الموضوعات **الصفحة**

صدر للمؤلفة:

١ـ تاريخ الفتوى وأحكامها الشرعية.

٢ـ المفتون العامون في سورية.

٣ـ مسيرة النور بين المسلمين والمسيحيين عبر العصور.

٤ـ الفوائد المصرفية وشهادات الاستثمار وحكم الشرع فيها.

٥ـ ابتلعته أمريكا (قصص اجتماعية).

٦ـ عمر بن عبد العزيز (قصص للناشئة).

٧ـ يوميات فهيم وسرحان (مجموعة قصصية للأطفال).

٨ ـ همسات ج١.